النَّهرُ المادّ
مِنَ البَحْرِ المُحيط

تصنيف
الإمام أبي حيّان الأندلسي
٦٥٤ - ٧٤٥هـ

تحقيق
الدكتور عمر الأسعد

المجلّد الخامس
ص - النّاس

دار الجيل
بيروت

النَّهرُ المادّ

مِنَ البَحْرِ المُحِيط

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

سورة ص(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴿٢﴾ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ﴾ الآية، هذه السورةُ مكيةٌ بلا خلاف. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه لمّا ذكر عن الكفار [٤٧٦/ أ] أنهم كانوا يقولون ﴿ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ [الصافات] لأخلصنا(٢) العبادةَ لله تعالى، وأخبر أنهم أتاهم الذكر، فكفروا به، فبدأ هذه السورةَ بالقسم بالقرآن ذي الذِّكْرِ الذي جاءهم، وأخبر عنهم أنهم كافرونَ به وأنهم في تَعَزُّزٍ ومشاقّةٍ للرسولِ الذي جاء به. ثم ذكر مَنْ أهلكَ من القرونِ التي شاقّت الرُّسُلَ ليتّعظوا بذلك.

---

(١) مكية وهي ثمان وثمانون آية.

(٢) ق: ذكر.. لأخلصوا.

وروي[١] أنه لمّا مرض أبو طالب، جاءت قريش ورسولُ الله ﷺ عند[٢] رأس أبي طالب مجلس رجل، فقام أبو جهلٍ كي يمنعه، وشكوه إلى أبي طالب فقال: يا بن أخي، ما تريدُ من قومك؟. فقال: يا عمّ إنما أُريدُ منهم كلمةً تَذِلُّ بها لهم العربُ وتُؤدي إليهم الجزية بها العجمُ. قال: وما الكلمة؟. قال: كلمة واحدة. قال: وما هي؟. قال: لا إله إلا الله. قال: فقاموا وقالوا: جعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً. قال: فنزل فيهم القرآن «ص والقرآن ذي الذكر» حتى بلغ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص]. وجوابُ القسم فيه أقوالٌ ضعيفة ذكرت في «البحر»[٣].

وينبغي أن يقدر هنا ما أثبت جواباً للقرآن حين أقسم به، وذلك في قوله تعالى ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ [يس] فيكون التقدير هنا: ص والقرآن ذي الذكر إنك لمن المرسلين. ويقوّي هذا التقديرَ ذِكْرُ النذارة هنا في قوله ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ وقال هناك ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا ۝٦﴾ [يس] فالرسالة تتضمنُ النذارةَ والبشارة.

و«بل» للانتقال من هذا القسم والمُقْسَمِ عليه إلى حال تعزُّزِ الكفار ومشاقَّتهم في قبولِ رسالتكَ وامتثالِ ما جئتَ به واعتراف بالحق.

و«كم» خبرية مفعولة بـ«أهلكنا» أي: كثيراً أهلكنا.

﴿فَنَادَوا۟﴾ أي: استغاثوا، أو نادوا بالتوبة، ورفعوا أصواتهم، يقال: فلان أندى صوتاً أي: أرفع، وذلك بعد معاينةِ العذاب.

---

(١) انظر السيرة النبوية ٢: ٥٨.

(٢) ق: وعند.

(٣) انظر ٧: ٣٨٣.

﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ على قول سيبويه[١] عملت عملَ ليس واسمها محذوفٌ تقديره: ولات الحينُ حينَ فوتٍ ولا فرار.

وعلى قول الأخفش تكون «حين» اسم لات، عملتْ عملَ إنَّ، نصبت الاسمَ ورفعت الخبرَ، والخبرُ محذوفٌ تقديره: ولات حين مناص لهم، أي: كائن لهم. والمناص: المنجى والفوت؛ يقال: ناصه ينوصه إذا فاته. وقال الفرّاء[٢]: النّوص: التأخُّر، يقال: ناص عن قِرنه ينوصُ نوصاً ومناصاً إذا فرَّ وزاغ.

والضمير في «وعجبوا» عائد على الكفار، أي: استغربوا مجيءَ رسولٍ من أنفسهم.

و﴿عُجَابٌ﴾ بناء مبالغة كرجلٍ طُوال وسُراع في طويل وسريع.

والذين قالوا ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ قال ابن عباس: صناديد قريش وهم ستة وعشرون رجلاً.

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ الظاهر انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا والرسول عليه [٤٧٦/ب] السلام عنده، وشكوه على ما تقدم[٣] في سببِ النزول. ويكون ثَمّ محذوفٌ تقديرهُ: يتحاورون أن امشوا، وتكون «أن» مفسّرة لذلك المحذوف.

و﴿ٱمْشُوا۟﴾ أمرٌ بالمشي وهو نقلُ الأقدامِ عن ذلك المجلس.

---

(١) انظر الكتاب ١ : ٦٠.

(٢) معاني القرآن ٢ : ٣٩٧. وليس فيه إلا: النّوص: التأخر.

(٣) ق: وشكوه عاما تقدم.

﴿وَٱصۡبِرُواْ﴾ أمرٌ بالصبر على الآلهة، أي: على عبادتها والتَّمسُّكِ بها.

والإشارة بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى ظهورِ محمدٍ ﷺ وعُلُوِّهِ بالنبوة. ﴿لَشَيۡءٞ يُرَادُ﴾ أي: يراد منّا الانقيادَ إليه أو يريده الله ويحكم بإمضائه، فليس فيه إلا الصبر.

﴿مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ أي: بتوحيد المعبود وهو الله تعالى.

﴿فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: ملّة النصارى لأن فيها التثليثَ ولا تُوحِّد.

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾ أي: افتعال وكذب.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾ أنكروا أنْ يختص بالشرفِ من بين أشرافهم، وينزل عليه الكتابُ من بينهم. وهذا الإنكارُ هو ناشىءٌ عن حَسَدٍ عظيم، انطوتْ عليه صدورهم، فنطقتْ[1] به ألسنتهم.

﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ﴾ أي: من القرآن الذي أنزلته على رسولي يرتابون فيه. والإخبار بأنهم في شكٍّ يقتضي كذبهم في قولهم «إن هذا إلا اختلاق».

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ أي: بعدُ، فإذا ذاقوه، عرفوا أنَّ ما جاءَ به حقٌّ وزالَ عنهم الشَّكُّ. ونفى الذوقَ بلمّا، وهي تقتضي النفيَ إلى زمانِ الإخبار.

و﴿عَذَابِ﴾ مضاف إلى ياء[2] المتكلم وحُذفت. وتُحذف كثيراً في الفواصل كقوله ﴿أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [الفجر].

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ﴾ أي: ليسوا متصرّفين في خزائنِ الرحمةِ، فيعطوا

---

(١) ق: فأنطقت.

(٢) ق: الياء.

ما شاؤوا لِمَنْ شاؤوا، ويَمْنَعُوا مَنْ شاؤوا ما شاؤوا، ويصطفوا[١] للرسالة مَنْ أرادوا، وإنما يملكها ويتصرفُ فيها العزيز الذي لا يُغالَبُ، الوهابُ ما شاءَ لمن شاء.

لمّا استفهم استفهامَ إنكارٍ في قوله ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ وكان ذلك دليلاً على انتفاءِ تصرُّفهم في خزائنِ رحمةِ الله تعالى، أتى الإنكارُ والتوبيخُ بانتفاء ما هو أعمُّ فقال ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ليس لهم شيء من ذلك.

﴿فَلْيَرْتَقُواْ﴾ أي: أَلَهُمْ شيءٌ من ذلك فليصعدوا في الأسبابِ الموصِلَةِ إلى السماءِ والمعارجِ التي يُتوصَلُ بها إلى تدبيرِ العالم، فيضعوا[٢] الرسالةَ فيمن اختاروا.

ثم صَغَّرهم وحَقَّرهم وأخبرَ بما يؤولُ إليه أمرهم من الهزيمةِ والخيبةِ [فقال ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾]. قيل: وما زائدة، ويجوز أنْ تكون صفةً أُريدَ بها[٣] التعظيم على سبيل الهُزْءِ بهم أو التحقير؛ لأنّ «ما» الصفة تشتملُ على هذين المعنيين. و«هنالك» ظرف مكان يُشارُ به للبعيد. والظاهر أنه يُشار به للمكانِ الذين تفاوضوا فيه مع رسولِ الله ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكة، فيكون ذلك إخباراً بالغيب [٤٧٧/ أ] عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح، فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ

(١) ق: فيعطون.. ويمنعون.. ويصطفون الرسالة.
(٢) ق: فيضعون.
(٣) ق: به.

هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرۡنَا
ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا
مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.

و﴿ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴾ أي: صاحب الأوتاد، وأصله من ثباتِ البيتِ المطنَّب بأوتادِه، قال الأفوه الأَوْدي(١): **[من البسيط]**

والبيت لا يُبتنى إلا على عمد ... ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

فاستعير لثبات(٢) العزِّ والملك واستقامة الأمر.

﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴾ الآية، «وما ينظر» أي: ما ينتظر. «هؤلاء» إشارةٌ إلى كفار(٣) قريش ومَنْ جرى مجراهم. والصيحةُ: ما نالهم من قتلٍ وأسرٍ وغلبة، كما تقول: صاح فيهم الدهرُ. والفواق: بضم الفاء وفتحها، الزمانُ الذي ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع. والمعنى من زمانٍ يسيرٍ قَدْرَ ما بين الحلبتين يستريحون فيه من العذاب.

﴿ عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ قال أبو عبيدة والكسائي: [القطّ]: الكتاب بالجوائز. وقال ابن عباس: «قِطَّنا» نصيبنا من الجنة لنتنعَّمَ به في الدنيا.

ومعنى ﴿ قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾ أي: الذي تزعمون(٤) أنه واقع في العالم إذ هم

---

(١) ديوانه ص١٠.

(٢) ق: لبيان.

(٣) ق: الكفار.

(٤) ق: يزعمون.

كفَرةٌ لا يؤمنون بالبعث.

ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفافَ، أمَرَ تعالى نبيَّهُ عليه السلام بالصبرِ على أذاهم، وذكرَ قصصاً للأنبياء عليهم السلام داود وسليمان وأيوب وغيرهم، وما عَرَضَ لهم، فصبروا حتى فَرَّجَ الله تعالى عنهم، وصارتْ عاقبتهم أحسن عاقبة. فكذلك أنتَ تصبرُ، ويؤولُ أمرك إلى أحسنِ مآلٍ.

﴿ذَا ٱلْأَيْدِۖ﴾ ذا القُوَّةِ في الدين والشرع. وفي ذلك تأنيسٌ للرسولِ عليه السلام بالظَّفَرِ بأعدائهِ كما أظفرَ داودَ بالأعداء وقتل داود جالوت. والأَوَّاب: الراجعُ إلى طاعة الله تعالى.

«والإشراق» مصدر أشرق أي: صَفَتْ وأضاءت، وشرقت بمعنى طلعت.

﴿وَشَدَدْنَا﴾ تقدم الكلامُ عليه[1].

«وفصل الخطاب» قال ابن عباس: القضاء بين الناس بالحقِّ وإصابته وفهمه.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا

(١) انظر تفسير الآية ٣٥ من القصص.

نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ
فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ
وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ ۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ مجيء مثل هذا الاستفهام إنما يكونُ لغرابةِ ما يجيء معه من القصص كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾ [طه] فيتهيأ المخاطَبُ بهذا الاستفهام لما يأتي بعده، ويصغي لذلك. و«الخصم» مصدر ينطلقُ على الواحد والجمع.

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ روي أنَّ الله تعالى بعثَ إليه ملكين في صورةِ إنسانين، فطلبا أنْ يدخلا عليه، فوجداه في يومِ عبادته، فمنعهما الحُرَّاسُ فتسوَّرا[(١)] عليه المحرابَ، فلم يَشْعُرْ إلا وهما بين يديهِ جالسان. تسوّر الحائط والسور: تسنَّمه، والبعير: علا أعلاه.

قال ابن عباس: جزَّأَ أيامَهُ أربعةَ أجزاء: يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخواص أمرِه ويوماً لجميعِ بني إسرائيل فَيَعِظُهم ويبكيهم، فجاؤوه [٤٧٧/ب] في غيرِ يومِ القضاء، ففزِعَ منهم، لأنهم نَزلُوا عليه من فوق، وفي يوم الاحتجابِ، والحرس حوله لا يتركون مَنْ يدخل عليه، فخاف أنْ يُؤذُوه وكان ذلك ليلاً، وكان كُلُّ واحدٍ منهما آخذاً برأس صاحبه. ولمّا أدركوا منه الفزعَ «قالوا لا تخف» أي: لسنا مِمَّنْ جاء إلاّ لأجلِ التحاكم. «خصمان» يحتمل أن يكون هذا موصولاً بقولهما «لا تخف» بادرا بإخبار ما جاءا إليه، ويحتمل أن يكون سألهم: ما أمْرُكم؟ فقالوا: خصمان. أي: نحن

(١) ق: فتسوروا.

خصمان. «بغى» أي: جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر[(١)]:

ولكن الفتى حَمْلَ ابن بدر بغى والبغيُ مَرْتَعهُ وخيمُ

وفي أَمْرِهما له ونهيهما بعضُ فظاظةٍ على الحكام، حملَ على ذلك ما هما فيه من التخاصم والتشاجرِ، فاستدعيا عَدْلَهُ من غير ارتيابٍ [بأنه] يحكمُ بالعدل. ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ مِن أشطَّ رباعيّاً. و﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ وسطُ طريقِ الحق لا ميل فيه من هنا ولا هنا. والظاهر أنهم كانوا جماعةً فلذلك أتى بضمير الجمع، فإنْ كان المتحاكمان اثنين فيكون قد جاء معهما غيرهما[(٢)] على جهةِ المعاضدةِ والمؤانسة.

و«أخي» بدل. والأُخُوَّةُ هنا مستعارةٌ إذ هما مَلَكان لمّا ظهرا في صورةِ إنسانين، تكلَّما[(٣)] بالأخوّة، ومجازها أنها أُخُوَّةٌ في الدين والإيمان.

﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ وكنّى بالنعجةِ عن الزوجةِ، والعربُ تذكر ذلك كثيراً في شعرها، وقال الشاعر[(٤)]: **[من الطويل]**

أغادي الصَّبوح عند هرٍّ وفَرْتنى وليداً وهل أفنى شبابيَ غيرُ هِرّْ
همـا نعجتـان مـن نعـاج تَبـالـةٍ لدى جؤذُرَيْن أو كبعض دُمى هَكِرْ

هرّ: عَلَمٌ لامرأةٍ، وفرتنى كذلك، وتبالة: مكان فيه النعاج الحسان. ودمى: جمع دمية وهي صور الرخام. وهكر: موضع فيه هذه الصور.

---

(١) البيت لقيس بن زهير في العقد ٦ : ١٩.

(٢) ق: معهم غيرهم.

(٣) ق: فكلما.

(٤) هو امرؤ القيس، والبيتان في ديوانه ص١١٠.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: رُدَّها في كفالتي. وقال ابن كيسان: اجعلها كفلي، أي: نصيبي. وكفل يتعدَّى لواحدٍ ولاثنين بالتضعيفِ والهمزة؛ فمن التضعيفِ قراءة من قرأ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّآ ۝٣٧﴾ [آل عمران] بالتشديد ونَصْب «زكريا»، وبالهمزة كقوله[1] «أكفلنيها» فالنون للوقاية والياء المفعول الأول و«ها» المفعول الثاني. والفصيح اتصاله، ولو كان في غير القرآنِ لجازَ أنْ يجيءَ منفصلاً فكان يكون: أكفلني إياها، والأحسن الاتصال. «وعزني» أي: غلبني، ومضارعه يَعُزُّ بضم العين.

وروي أنَّ داود عليه السلام لمّا سمع كلام الشاكي قال للآخر: ما تقولُ؟ فأقرَّ. فقال له: لئن لم ترجع للحقِّ لأكسرنَّ الذي فيه عيناكَ. وقال للثاني: لقد ظلمكَ. فتبسَّما عند ذلك وذهبا [ولم يرهما] لحينه.

و«بسؤال» مصدر أُضيف إلى المفعولِ، وهو على حذفِ مضافٍ والتقدير: [٤٧٨/أ] بسؤالِ ضَمِّ نعجتكَ إلى نِعاجِهِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الظاهر أنه من كلامِ داود عليه السلام. و«الخلطاء» جمع خليط وهو الرفيق، قال الشاعر[2]: **[من البسيط]**

إنَّ الخليطَ أجدَّ البينَ فافترقا ... وعُلِّقَ القلبُ من أسماءَ ما عَلِقا

«وقليل» خبر مقدم. و«ما» زائدة تُفيدُ معنى التعظيمِ والتَّعجيبِ. و«هم» مبتدأ.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾ لمّا كان الظَّنُّ الغالبُ يقاربُ العِلْمَ استعيرَ له، ومعناه: وعَلِمَ داودُ، وأيقنَ أنَّا ابتليناهُ بمحاكمةِ [الخصمين].

---

(١) ق: لقوله.

(٢) البيت لزهير في ديوانه ص٣٣.

﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ حال. والخرور: الهُوِيُّ إلى الأرضِ. فإما أنه عبَّرَ بالركوع عن السجود، وإما أنه[1] ذكرَ أول أحوالِ الخرور أي: راكعاً ليسجد، وخرَّ ساجداً ورجع إلى الله تعالى غفرَ له ذلك الظنَّ ولذلك أشار بقوله «فغفرنا له ذلك». ولم يتقدم سوى قوله «وظن داود أنما فتناه» ويعلم قطعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية، «فيضلك» منصوب بإضمار أن بعد الفاء في جواب النهي. والفاعل في «فيضلك» ضمير الهوى أو ضمير المصدر المفهوم من قوله «ولا تتبع». «بما نسوا» ما مصدرية تقديره: بنسيانهم.

ثم ذكر ما بينَ المؤمنِ عاملِ الصالحاتِ[2] والمُفْسِدِ من التَّباينِ وأنهما ليسا سِيَّيْن[3]. وقابلَ الصلاحَ بالفسادِ، والتقوى بالفجور. والاستفهامُ بـ«أم» في الموضعين استفهامُ إنكارٍ، والمعنى أنه لا يستوي عندَ الله مَنْ أصلحَ ومَنْ أفسدَ، ولا مَن اتّقى ومَنْ فجرَ.

ولمّا انتفت[4] التسويةُ بَيّنَ ما يصلح به لمتبّعه السعادة الأبدية وهو كتاب الله فقال ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾. وارتفاعهُ على إضمارِ مبتدأ أي: هذا كتابٌ. وقرىء: مباركاً، على الحالِ اللازمةِ لأنَّ البركةَ لا تفارقه. واللام في «ليدبروا» لامُ كَيْ. وأسند التدبيرَ إلى الجميع وهو التفكُّر في الآياتِ والتأمُّلُ الذي يُفْضِي بصاحبِهِ إلى النظر في عواقبِ الأشياء. وأسند التذكُّرَ إلى أولي العقولِ لأنَّ ذا العقلِ فيه ما يهديه إلى الحقِّ وهو عقله، فلا يحتاجُ إلا إلى ما يذكِّره فيتذكَّرُ.

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: للصالحات.

(٣) مِثْلين (متماثلان) القاموس.

(٤) ق: انفت.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾ المخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ تقديرُهُ: نِعْمَ العبدُ هو، أي: سليمان عليه السلام.

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ﴾ قال الجمهور: عُرضت عليه الخيلُ تركها أبوهُ له، فأُجريتْ بين يديه عَشيًّا فتشاغلَ بِحُسْنِها وجَرْيها ومَحَبَّتها عن ذكرٍ له فقال: رُدُّوها، فطفق يضربُ أعناقها وعراقيبها بالسيفِ لمّا كانت سببَ الذُّهولِ عن ذلك الذكر، فأبدله اللهُ تعالى أسرعَ منها: الريح. والصافنُ من الخيل: الذي يرفع إحدى يديه ويقفُ على طرف سُنْبُكِه[1]، وقد يفعل ذلك برجله وهي علامةُ الفراهة، وأنشد الزّجاج[2]: [من الكامل]

أَلِفَ الصُّفونَ فلا يزالُ كأنه ... ممّا يقومُ على الثلاث كَسِيرا

وقال أبو عبيدة: الصافنُ: الذي يجمع يديه ويسوِّيهما. وأما الذي يقف على طرفِ السُّنْبك فهو المتخيِّمُ. و«الجياد» جمع جواد وهو الفرس.

---

(١) السنبك: طرف الحافر.

(٢) البيت في أمالي ابن الشجري ١: ٥٦، وهو من شواهد المغني ١: ٣١٨، وانظر شرح أبيات المغني ٥: ٣٠١.

وانتصب «حب [٤٧٨/ب] الخير» على أنه مفعول به لتضمُّن[١] «أحببت» معنى آثرت.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «توارت» للشمس وإن[٢] لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لدلالة العشيِّ عليها. و«حتى» غاية لما قبلها، فالمعنى: داومتُ حُبَّ الخيرِ ذاهلاً عن ذِكْرِ ربي.

و«فطفق» من أفعال المقاربة للشروع في الفعل، وحُذِفَ خبرها لدلالة المصدر عليه، أي: فطفقَ يمسحُ مَسْحاً، يمسح أعرافها وسوقها محبةً لها.

وقال ابن عباس: ﴿مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ لم يكن بالسيفِ بل بيديه تكريماً لها ومحبَّةً. والباء في «بالسوق» زائدة كهي في قوله ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ[٣] ﴿٦﴾﴾[المائدة].

وحكى سيبويه[٤]: مسحتُ برأسه ورأسه، بمعنى واحد. وقرىء: بالسوق، على وزن فُعْل وهو جمع ساق. وقرىء بهمزة بعدها واو: بالسؤوق على وزن فعول.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ أي: ابتلينا سليمان. ذكر المفسرون أشياءَ لا يصحُّ نقلها، وأقربُ ما قيل فيه أنَّ المرادَ بالفتنةِ كونه لم يستثن في الحديث [الذي] قال فيه: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأة كُلُّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله. ولم يقل: إنْ شاء الله. فطاف عليهنَّ فلم تحملْ إلا امرأةٌ واحدة وجاءت

(١) ق: التضمّن.

(٢) ق: فإن.

(٣) ق: فامسحوا.

(٤) انظر الكتاب ١: ٩٢.

بشقِّ رجلٍ. قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قال: إنْ شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون»[١].

فالمرادُ بقوله ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ هو هذا، والجسدُ المُلْقى هو المولود شق رجل. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: بعد امتحانِنَا إياهُ دوام الإنابة والرجوع.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ هذا دأبُ الأنبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله تعالى هضماً للنفس وإظهاراً للذّلة والخشوع وطلباً للترقّي في المقامات. والظاهر أنه طلبَ مُلْكاً زائداً على المماليكِ زيادةً خارقةً للعادةِ بالغة حَدَّ الإعجازِ، ليكون ذلك دليلاً على نُبوَّتِه عليه السلام. ولمّا بالغ[٢] في صِفَةِ هذا المُلْكِ الذي طلبه، أتى[٣] في صفته تعالى باللفظ الدالِّ على المبالغة فقال ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ أي: الكثير الهبات لا يتعاظمُ عنده هبةٌ.

ولمّا طلب الهبة التي اختصَّ بها، وهبه وأعطاه ما ذكر تعالى من قوله ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾. «تجري» جملة [حالية] أي: جارية. «رخاء» أي: لَيِّنَة مشتقة من الرخاوة. ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث قصدَ وأراد.

«الشياطين» معطوف على «الريح» و«كل بناء وغواص» بدل. وأتي بِبُنْيَةِ المبالغةِ كما قال ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ]. وقال النابغة[٤]: **[من البسيط]**

(١) رواه البخاري ٣: ١٠٣٨، ومسلم ٣: ١٢٧٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) ق: بلغ.

(٣) ق: أي.

(٤) ديوانه ص١٣.

إلَّا سليمــانَ إذْ قــال الإلــهُ لــه ... قُمْ في البريَّةِ فاحدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّسِ الجن[١] إني قد أذنتُ لهم ... يبنـون تـدمـرَ بـالصُّفَّـاحِ والعَمَـدِ

والمعطوف على العام عام فالتقدير: وكل غوّاص، أي: في البحر يستخرجون له الحلية، وهو أول مَن استخرجَ الدرَّ.

«وآخرين» عطف على «كل» فهو داخلٌ في البدل إذْ هو بدلُ كلٍّ من كلٍّ بدل التفصيل، أي: من الجنِّ وهم المَرَدة. سَخَّرهم له حتى قرنهم في الأصفادِ لكفرهم وقال النابغة في ذلك[٢]: [من البسيط]

[٤٧٩/أ] فمن أطاعكَ فانفعه بطاعته ... كمـا أطاعـكَ وادْلُلـه على الرَّشَـدِ
ومَــنْ عَصَــاكَ فعــاقبــه معــاقبــةً ... تنهى الظلومَ ولا تقعد على ضَمَدِ

و﴿مُقَرَّنِينَ﴾ تقدّم الكلامُ عليه في إبراهيم[٣].

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾ إشارةٌ لما أعطاهُ الله تعالى من الملك الضخم، وتسخيرِ الجنِّ والإنسِ والطير، وأمره بأن يَمُنَّ على مَنْ يشاء ويمسك عَمَّنْ يشاء. وَقَفَهُ على قَدْرِ النعمة، ثم أباحَ له التَّصَرُّفَ فيها بمشيئتِه، وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرفُ إلا بطاعة الله تعالى. و«بغير حساب» في موضع الحال من «عطاؤنا» تقديره: كائناً بغير حساب.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى

(١) ق: وجيش الجند.
(٢) ديوانه ص١٣-١٤.
(٣) انظر تفسير الآية ٤٩ من إبراهيم.

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ
أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ
أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ
إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ[١] إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ الآية، و«أيوب» عطف بيان أو بدل من «عبدنا». النُّصْب والنَّصَب كالرُّشْد والرَّشَد، وهو التعب والمشقة. والعذاب: الألم. والظاهر أنه تعالى ابتلى أيوبَ عليه السلام في جسدِه وأهلِه ومالِه على ما رُوِيَ في الأخبار.

وروى أنس عن النبيِّ ﷺ[٢] أنَّ أيوبَ بقي في محنته ثماني عشرة سنة، يتساقطُ لحمه حتى مَلَّهُ العالم ولم يصبر عليه إلا امرأته.

ولم يُبَيِّنْ لنا تعالى السببَ المقتضي لعلَّته. وأما إسناده المسَّ إلى الشيطان فسببُ ذلك أنه كان يعوده ثلاثةٌ من المؤمنين، فارتدَّ أحدهم فسأل عنه فقيل: ألقى إليه الشيطانُ أنَّ الله لا يبتلي الأنبياءَ والصالحين، فحينئذ قال «مسني الشيطان»، نَزَّلَ - لشفقتِه على المؤمنين - مَسَّ الشيطانِ ذلك المؤمنَ حتى ارتدَّ، [منزلةَ] مَسِّه لنفسِه، لأنَّ [المؤمنَ] الخيِّرَ يتألَّمُ برجوعِ المؤمنِ الخيِّرِ[٣] إلى الكفر.

وفي الكلامِ حَذْفٌ تقديرُه: فاستجبنا له وقلنا له: اركض برجلك. فركض فنبعتْ عينٌ، فقلنا له: هذا مُغْتَسلٌ باردٌ وشرابٌ فيه شفاؤك، فاغتسل فَبَرأ[٤]

(١) ق: وأيوب.

(٢) انظر الفتح الرّباني ٢٠: ٧٩، والقرطبي ١٥: ٢٠٨.

(٣) ق: الخير المؤمن.

(٤) برىء من المرض بُرءاً بالضم. وأهل الحجاز يقولون: بَرَأَ بَرْءاً بالفتح.

ووهبنا له. ويدلُّ[١] على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ قيل: وهبه[٢] مَنْ كان حيًّا منهم وعافاه من الأسقامِ وأرغدَ لهم العيشَ، فتَناسَلُوا حتى تَضاعفَ عددهم وصار مثلهم. و«رحمة» و«ذكرى» مفعولان لهما، أي: أن الهبة كانت لرحمتنا إياه وليتذكر أربابُ العقولِ ما يحصلُ للصابرِ من الخيرِ وما يؤولُ إليه من الأجر.

وفي الكلامِ حذفٌ تقديرُه: وكان حَلَفَ ليضربنَّ امرأتَهُ مئةَ ضربةٍ لسببٍ جرى منها - وكانت محسنةً له - فجعلنا له خلاصاً من يمينه بقولنا[٣] ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾. قال ابن عباس: الضِغث: عثكال النخل.

ومحصولُ أقوالهم هو تَمَثُّلُ الشيطانِ لها في صورةِ ناصحٍ أو مداوٍ وعرض لها بشفاءِ أيوب على يديه على شرطٍ لا يمكن وقوعه. فذكَرَتْ ذلك له، فعلم أنَّ الذي عَرَضَ لها[٤] هو الشيطان، وغَضِبَ لعرضها ذلكَ عليه، فحلفَ فَحلَّلَ اللهُ تعالى يمينَهُ بأهونِ شيءٍ عليه وعليها، لِحُسْنِ خدمتها إياهُ ورضاه عنها.

وقرىء: عبادنا، وعبدنا.

﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي﴾ لمّا كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غُلِّبَتْ، فقيل في كُلِّ [٤٧٩/ب] عمل: هذا مما عَمِلَتْ أيديهم.

و«الأبصار» عبارة عن البصائر التي يبصرون بها الحقائقَ وينظرونَ بنورِ الله

(١) ق: يدلّ.
(٢) ق: أوهبه.
(٣) ق: بقوله.
(٤) ق: له.

تعالى.

﴿ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم﴾ أي: جعلناهم لنا خالصين.

وقرىء: بخالصةِ، بالتنوين وبغير تنوين بالإضافة. و﴿ٱلدَّارِ﴾ دار الآخرة.

﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ الآية، لما كان ما يذكره نوعاً من أنواعِ التنزيل قال «هذا ذكر» كأنه فَصَلَ بين ما قبله وما بعده. ألا ترى أنه لمّا ذكرَ أهلَ الجنةِ، وأعقبه بذكرِ أهلِ النارِ قال ﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [ص].

وقال الزمخشريُّ[1]: «جنات» معرفة لقوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿٦١﴾﴾ [مريم]. وانتصابها[2] على أنها عطف بيان «لحسن مآب». و«مفتحة» حال والعامل فيها ما في «المتّقين» من معنى الفعل. وفي «مفتحة» ضمير الجنّات، و«الأبواب» بدل من الضمير تقديره: مفتّحة هي الأبواب، كقولهم ضَرْب زيد اليد والرِّجْل وهو من بدل الاشتمال انتهى.

ولا يتعيَّن أنْ تكون «جنات عدن» معرفة بالدليل الذي استدلَّ به، وهو قوله ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي ﴿٦١﴾﴾ [مريم]، لأنه اعتقد أن «التي» صفة لـ «جنات عدن». ولا يتعيّن ما ذكره إذ يجوز أن تكون «التي» بدلاً من «جنات عدن»، ألا ترى أن الذي والتي وجموعهما تُستعملُ استعمالَ الأسماء، فتلي العوامل،

(١) الكشاف ٣: ٣٧٨.

(٢) ق: وانتصب بها.

فلا يلزم أنْ تكون صفةً.

وأما انتصابها على أنها عطف بيان، فلا يجوز، لأنَّ للنحويِّين في ذلك مذهبين:

أحدهما: أنَّ ذلك لا يكونُ إلاَّ في المعارف، فلا يكون عطفُ البيانِ إلا تابعاً لمعرفة وهو مذهبُ البصريين.

والثاني: أنه يجوز أن يكون في النكرات، فيكون عطف البيان تابعاً لنكرةٍ، كما تكونُ المعرفة فيه تابعةً[1] لمعرفة، وهذا مذهب الكوفيين، وتبعهم الفارسي.

وأما تَخَالُفها في التنكيرِ والتعريفِ فلم يذهبْ إليه أحدٌ سوى هذا المصنِّف، وقد أجاز ذلك في قوله تعالى ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۝٩٧﴾ [آل عمران] فأعربه عطف بيان تابعاً لنكره وهو «آيات بينات» و«مقام إبراهيم» معرفة.

وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران[2].

وأما قوله: وفي «مفتّحة» ضمير الجنّات، فجمهور النحويين أعربوا «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه مرفوعاً بـ«مفتَّحة».

وجاء أبو علي فقال: إذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضميرٌ يعود على «جنات عدن» من الحال إن أعرب «مفتّحة» حالاً[3]، أو من النعت إنْ أعرب نعتاً لـ«جنات عدن» فقال: في «مفتّحة» ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط

(١) ق: تابعاً.

(٢) انظر تفسير الآية ٩٧ من آل عمران.

(٣) ق: حال.

الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته، و«الأبواب» بدل.

وقال من أعرب «الأبواب» مفعولاً[١] لم يُسَمَّ فاعله: العائدُ على الجناتِ محذوفٌ تقديرُه: الأبواب منها.

وألزم أبو علي أنَّ البدل في مثل هذا لا بدَّ فيه من الضمير، إمَّا ملفوظاً به، أو مقدَّراً.

وإذا كان الكلامُ محتاجاً إلى تقدير [٤٨٠/أ] واحد، كان أولى مما يحتاج إلى تقديرين.

وأما الكوفيون فالرابطُ عندهم هو أل، لقيامهِ مقامَ الضميرِ، فكأنه قال: مفتَّحة لهم أبوابها.

وأما قوله: وهو من بدلِ الاشتمالِ، فإنْ عنى بقوله «وهو» قوله: اليد والرجل، فهو وهمٌ، وإنما هو بدلُ بعضٍ من كُلٍّ، وإنْ عنى «الأبواب» فقد[٢] يصحّ، لأنَّ أبوابَ الجنّاتِ ليست بعضاً من الجنَّات، وأما تشبيهه ما قدّره من قوله: مفتَّحة هي الأبواب، بقولهم: ضرب زيد اليد والرّجل - فوجْهُه أنَّ «الأبواب» بدل من ذلك الضمير المستكنِّ، كما أنَّ اليد والرّجل بدلٌ من الظاهر الذي هو زيد.

وقال أبو إسحاق وتبعه ابن عطيّة: «مفتّحة» نعتٌ لـ«جنات عدن». وقال الحوفي: «مفتّحة» حال والعاملُ فيها محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى تقديره: يدخلونها.

﴿أَتۡرَابٌ﴾ أي: أمثال على سِنٍّ واحدة.

---

(١) ق: مفعول.

(٢) ق: هو.

﴿ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا
فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ لَا
مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ
ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا
نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ
ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

«هذا» مبتدأ. و«حميم» خبره. و«فليذوقوه» جملة اعتراض.

وقرىء: وغَسّاق، بتخفيف السين وتشديدها، فإن كانت صفة فتكون ممّا حذف موصوفها، وإن كانت[1] اسماً ففعَّال قليلٌ في الأسماء كالفيّاد وهو ذكَرُ البوم.

وقرىء: وآخر، على الإفراد. وأُخر، على الجمع.

﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾ أي: من شكل العذاب. ﴿أَزۡوَٰجٌ﴾ أي: أصناف.

والظاهر أن قوله ﴿هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡۖ﴾ من قول رؤسائهم بعضهم لبعض. والفوجُ: الجمعُ الكثير. «مقتحم معكم» أي: النار وهم الأتباع. ثم دَعَوْا عليهم بقولهم «لا مرحباً بهم» لأنّ الرئيسَ إذا رأى الخسيسَ قد قُرِنَ معه في العذابِ ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذابِ ولم يكن هو السالم من العذاب. و«مرحباً» معناه: أتيت رحباً وسعة لا ضيقاً.

---

(١) ق: كان، في الموضعين.

﴿قَالُوا﴾ أي: الفوج. ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ ردٌّ على الرؤساء ما دَعَوْا[1] به عليهم. ثم ذكروا أنَّ ما وقعوا فيه من العذابِ وصَلْيِ النَّارِ إنما هو بما ألقيتم إلينا، وزَيَّنتُموه من الكفر، فكأنكم قَدَّمتم لنا العذابَ والصَّلي.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا﴾ روي أنَّ القائلينَ من كفّار عصر الرسول عليه السلام وهم[2] أبو جهل وأمية بن خلف وأصحابُ القليب، والذين لم يروهم عمّار وصهيب وسلمان ومَنْ جرى مجراهم.

وقرىء: أتخذناهم، بهمزة الاستفهام لتقرير أنفسهم على هذا على جهةِ التوبيخِ لها والأسف، أي: اتَّخذناهم سخرياً. وقرىء بوصل الهمزة على أنه خبر، ثم أضربوا عن هذا واستفهموا فقالوا: أزاغت عنهم أبصارنا وهم فيها؟. فنَفَوْا أوّلاً ما يدلُّ على كونهم ليسوا معهم، ثم جَوَّزُوا أنْ يكونوا معهم ولكن أبصارهم لم ترهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: التفاوض الذي حكيناه عنهم ﴿لَحَقٌّ﴾ أي: ثابتٌ واقعٌ لا بُدَّ أنْ يجري بينهم. و﴿تَخَاصُمُ﴾ بدل من «الحقّ».

﴿[قُلْ] إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أي: قل يا محمد: إنما أنا منذر المشركين عذابَ الله، وأنه لا إلهَ إلاّ الله [٤٨٠/ب] لا ندَّ له ولا شريكَ له وهو الواحدُ القهار لكلِّ شيءٍ وأنه مالكُ العالم علوه وسفله.

«العزيز» الذي لا يُغالَبُ. «الغفار» لمن تابَ وآمنَ به واتَّبعَ دينه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ

(١) ق: فادعوا.

(٢) ق: وهو.

يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾.

«قل هو نبأ عظيم» الآية، ما قَصَّهُ الله تعالى من مناظرةِ أهلِ النار ومقاولاتِ الأتباعِ مع السادات، لأنه من أحوال البعث، وقريشٌ كانت تنكرُ البعثَ والحساب والعقاب، وهم مُعْرِضُونَ عن ذلك.

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أمرَ نبيَّهُ عليه السلام بأنْ يقول: ما كان لي من علمٍ باختصامِ الملأ الأعلى. واختصامُهم هو في آدم وذرِّيتهِ في جَعْلِهم في الأرض.

ثم قال: ﴿إِن يُوحَىٰٓ﴾ إلى آخره، فنفى أنْ يكونَ عِلْمُ ذلك من غير جهةِ الوحي الإلهي[1].

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ
كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا
فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ
ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

---

(١) ق: إلهي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ تقدّم الكلامُ عليه[١] والبشرُ هو آدمُ عليه السلام. وذكر هنا أنَّ خلقه ﴿مِّن طِينٍ﴾، وفي آل عمران ﴿مِن تُرَابٍ﴿٥٩﴾﴾، وفي الحجر ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴿٢٦﴾﴾، وفي الأنبياء ﴿مِنْ عَجَلٍ﴿٣٧﴾﴾. ولا منافاة؛ ذكر المادةَ البعيدةَ وهي[٢] التراب، ثم ما يليه وهو الطّين، ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون، ثم المادة الأخيرة تلي الحمأ وهي[٣] الصلصال. والاستثناء في جميع هذه الأيات يدلُّ على أنه لم يسجد؛ فتارة أكَّدَ بالنفي المحض، وتارة ذكر إباءه عن السجود وهو الأَنَفَة من ذلك، وتارة نَصَّ على أنَّ ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار[٤].

﴿مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي: ممّن علوتَ وفُقْتَ. فأجاب أنه من العالين حيث قال ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾.

قال ابن عطية: وذهب كثيرٌ من النحويين إلى أن «أم» لا تكون معادلةً للألفِ مع اختلاف الفعلين، وإنما تكون معادلة إذا دخلتا على فِعْلٍ واحد كقولك: أزيد قام أم عمرو، وقولك: أقام زيد أم عمرو؟. فإذا اختلف الفِعلان كهذه الآية فليست معادلة. ومعنى الآية: أَحَدَثَ لكَ الاستكبارُ الآنَ أم كنتَ قديماً مِمَّنْ لا يليق[٥] أن يُكَلَّفَ مثل هذا لعلوِّ مكانك، وهذا على جهةِ التوبيخ انتهى.

هذا الذي ذكره عن كثيرٍ من النحويين مذهبٌ غير صحيح.

---

(١) انظر تفسير الآية ٣٠من البقرة.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: وهو.

(٤) انظر مثلاً على التوالي: الأعراف: ١١، ١٢ والبقرة: ٣٤.

(٥) ق: ممكن لا تليق.

قال سيبويه[1]: وتقول أضربت زيداً أم قتلته؟ فالبدءُ هنا بالفعلِ أحسنُ، لأنك إنما تسألُ عن أحدهما لا تدري أيُّهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما، كأنك قلت: أي ذلك كان؟ انتهى.

فعادل بأم الألف مع اختلاف الفعلين.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ﴾ قرىء بالنصب وبالرفع. وهو قَسَم جوابهُ ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾. ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ جملة اعتراض بين القَسَمِ وجوابِهِ. والمعنى: وأقولُ الحق. وإذا رفعنا «فالحقّ» مبتدأ خبره محذوفٌ وتقديره: فالحقُّ يميني. وإذا نصبنا فعلى إسقاطِ حرفِ الجر، تقديره: أُقْسِمُ بالحقِّ.

قال ابن عطيّة: أما الأول فرفع على الابتداء، وخبره في قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ لأن المعنى: أن أملأ. انتهى.

هذا ليس بشيء، لأن ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ جواب قسم [٤٨١/آ] ويجب أن يكون جملة، فلا يتقدَّرْ بمفردٍ، وأيضاً ليس مصدراً مُقَدَّراً بحرفٍ مصدري والفعل، حتّى ينحلّ إليهما، ولكنَّه لمَّا صحَّ له إسناد ما قَدَّر إلى المبتدأ، حكم أنه خبر.

و«منهم» بدل مِن «مَن» في قوله ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ﴾. و﴿أَجْمَعِينَ﴾ تأكيد للمتّبِع والمتَّبَع.

﴿عَلَيْهِ﴾ أي: على القرآن. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: المُتَصَنِّعين المتحلِّين بما ليسوا من أهله.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: من الله. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ الثقلين الإنس والجن.

---

(١) الكتاب ٣: ١٧١.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ أي: عاقبة خبره وما ترتَّبَ عليه لمن آمن به ومَنْ أعرض عنه.

﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ قال ابن عباس: هو يوم القيامة.

سورة الزمر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن
يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ
ٱلْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا
هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ۝٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى
ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦ إِن
تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا
تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ
عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ ﴾.

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية إلا قوله ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ ۝٢٣ ﴾ و﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ [ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟] ۝٥٣ ﴾ قاله ابن

---

(١) مكية وهي خمس وسبعون آية.

عباس.

«والذين اتخذوا» مبتدأ. و «هم» المشركون. والخبرُ محذوفٌ وهو: قالوا المحكيّ به قوله «ما نعبدهم» أي: والمشركون المُتَّخذونَ من دونِ الله أولياء قالوا ما نعبدُ تلك[1] الأولياء إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفى.

«إن الله لا يهدي من هو كاذب» في دعواه أنَّ للهِ تعالى شريكاً. «كفار» لِأَنْعُمِ الله حيث جعلَ مكانَ الشكرِ الكفرَ. والمعنى: لا يهدي مَنْ ختم عليه بالموافاة على الكفر، فهو عام والمعنى على الخصوص، فكم قد هدى مَنْ سبقَ منه الكذب والكفر.

ولمّا كان مِن كذبهم دعوى بعضِهم أنَّ الملائكة بنات الله وعَبَدُوها، عقبه بقوله ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ تشريفاً له وتبنياً إذْ يستحيل أنْ يكونَ ذلك في حقِّه تعالى بالتوالدِ المعروف. «لاصطفى» أي: اختار من مخلوقاته. «ما يشاء» ولداً على سبيل التَّبني، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك لقوله[2] تعالى ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ [مريم]. وهو عام في اتخاذ النَّسل واتخاذ الاصطفاء. ويدلُّ على أنَّ الاتخاذَ هو التَّبني والاصطفاء قوله «مما يخلق» أي: من [الخلائقِ] التي أنشأها واخترعها. ثم نَزَّه تعالى نفسَهُ تنزيهاً مطلقاً فقال «سبحانه». ثم وصف نفسَهُ بالوحدانيةِ وبالقهر، وهما الصفتان الدَّالَّتانِ على انفرادِه بالألوهيةِ والقهرِ لجميعِ العالمِ كُلِّهم.

﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ يطولُ كُلٌّ منهما على الآخر فكأنَّ الآخر صار عليه جزء منه.

---

(١) ق: ما نعبد أي زائد تلك.

(٢) ق: كقوله.

ووصْفُ الأنعامِ بالإنزالِ مجاز. والأنعام: الإبلُ والبقر والضأن والمعز. «ثمانية أزواج» لأن من كل منهما ذكراً وأنثى. والزوج: ما كان معه آخرُ من جنسه، فإذا انفردَ فهو [٤٨١/ب] فَرْدٌ ووتر، قال تعالى ﴿فَجَعَلَ[1] مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾﴾ [القيامة].

ومعنى ﴿خَلْقًا﴾ رَتَّبها[2] خَلْقاً من بعد خلقٍ على المضغة والعلقة وغير ذلك. والظلماتُ الثلاث: البطنُ والرحمُ والمَشِيمةُ. «ذلكم» إشارةٌ إلى المُتَّصفِ بتلك الأوصافِ السابقة من خلق السماوات وما بعد ذلك من الأفعال.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف تعدلون[3] عن عبادته إلى عبادةِ غيره.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ قال ابن عباس: خطابٌ للكفار الذين[4] لم يرد الله أنْ يطهِّرَ قلوبهم، وعباده: هم المؤمنون، ويؤيده قَبْلُ: «فأنى تصرفون»، وهذا للكفار فجاء «إن تكفروا» خطاباً لهم.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ وعن عبادتكم إذْ لا يرجعُ إليه تعالى منفعةٌ بكم ولا بعبادتكم، إذ هو الغنيُّ المطلق.

وقال الزمخشري[5]: وقد تَمَحَّلَ بعضُ الغُواةِ ليثبت لله تعالى ما نَفَاهُ عن ذاتِه من الرضا لعبادِه الكفرَ فقال: هذا من العام الذي أُريدَ به الخاص. وما أرادَ إلا عباده الذين عَنَاهم في قوله ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴿٤٢﴾﴾

(١) ق: فخلق.

(٢) ق: ربنا.

(٣) ق: يصرفون.. يعدلون.

(٤) ق: الذي.

(٥) الكشاف ٣: ٣٨٩.

[الحجر] يريد المعصومين كقوله(١) ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ۝٦﴾ [الإنسان] تعالى اللهُ عَمَّا يقولُ الظالمون انتهى.

فَسمَّى عبد الله بن عباس ترجمان [القرآنِ] وأعلام أهلِ السنّةِ بعض الغُواةِ، وأطلقَ عليهم اسم الظالمين، وذلك من سفهه وجرأته، كما قلت في القصيدة التي ذكرتُ فيها ما يُنتقد عليه(٢): [من الطويل]

ويشتم أعلام الأئمة ضِلَّـةً ولا سيّما أن أولجوه المضايقا

﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال ابن عباس: يضاعف لكم، وكأنه يريدُ ثوابَ الشكر. وقرىء: يرضه، بصلة الهاء بواو، وباختلاسِ الحركة، وإسكانِ الهاء.

قال أبو حاتم: السكونُ غلطٌ لا يجوز. انتهى.

وليس بغلطٍ؛ بل ذلك لغةٌ لبني كلاب وبني عقيل.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝٩ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ

(١) ق: لقوله.
(٢) ديوان أبي حيّان ص٣٢٨.

قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ ﴾ الآية، الظاهر أن «الإنسان» هنا جنس الكافر، وقيل: معيّن كعتبة بن ربيعة. «نسي» أي: ترك. والظاهر أن «ما» بمعنى الذي، أي: نسي الضرّ الذي كان يدعو الله إلى كشفه.

﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ أي: أمثالاً يضادّ بعضها بعضاً ويعارض.

﴿ قُلْ تَمَتَّعْ ﴾ أتى[1] بصيغة الأمر فقال «تمتع بكفرك» أي: تلذّذ به، واصنع ما شئت «قليلاً» أي: عمراً قليلاً، والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله تعالى.

﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ أي: من سكانها المخلّدين فيها.

ولمّا شرح تعالى شيئاً من أحوال الضالّين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحّدين فقال ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ﴾. والقانت المطيع. والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير، ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير: [٤٨٢/أ] أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله «تمتع بكفرك»، ويدل عليه قوله ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. ومن حذف المقابل قول الشاعر[2]:

دعاني إليها القلب إني لأمرها[3]   سميع فما أدري أرشدٌ طلابها

[من الطويل]

تقديره: أم غيّ.

---

(١) ق: أي.

(٢) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين ١ : ٧١.

(٣) ق: لأمر.

«قل يا عبادي» روي أنها نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة إلى أرض الحبشة، وعدهم تعالى فقال ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾. [والظاهر تعلّق «في هذه» بـ«أحسنوا» وأن المحسنين في الدنيا لهم في الآخرة حسنة] أي: حسنة عظيمة وهي الجنة. والصفة محذوفة يدل عليها المعنى؛ لأن من أحسن في الدنيا، لا يوعد أن يكون له في الآخرة مطلق حسنة.

ثم حضّ على الهجرة فقال ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ أي: لا عذر للمفرطين البتّة حتى إن اعتلّوا بأوطانهم، وأنهم لا يتمكّنون فيها من أعمال الطاعات، قيل لهم إن بلاد الله كبيرة واسعة، فتحوّلوا إلى الأماكن التي يمكنكم فيها الطاعات.

﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم﴾ صيغة أمر على جهة التّهديد كقوله ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

«قل إن الخاسرين» أي: هم الذين(١) خسروا أنفسهم، حيث صاروا من أهل النار. «وأهليهم» حيث كانوا معهم في النار.

ولمّا ذكر خسرانهم أنفسهم وأهليهم، ذكر حالهم في جهنم وأنه من فوقهم ظُلل ومن تحتهم ظلل، فيظهر أن النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم. وسمّى(٢) ما تحتهم ظللاً، لمقابلة ما فوقهم كما قال ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت]. والإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب، أي: ذلك العذاب يخوّف الله به عباده، ليعملوا ما يخلّصهم منه. ثم ناداهم وأمرهم فقال ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ أي: اتّقوا عذابي.

---

(١) ق: أي الذين هم خسروا.

(٢) ق: ويسمّي.

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ
الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا
يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ
ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن
رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا ﴾ الآية، قال ابن زيد: نزلت «والذين اجتنبوا الطاغوت» في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر. وقال ابن إسحاق[١]: الإشارة بها إلى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير؛ وذلك أنه لمّا أسلم أبو بكر، سمعوا ذلك، فجاؤوا وقالوا: أسلمت؟ قال: نعم، وذكّرهم بالله تعالى، فآمنوا بأجمعهم، فنزلت فيهم. وهي محكمة في الناس إلى يوم القيامة. و«الطاغوت» تقدم الكلام عليه[٢]. «أن يعبدوها» أي: عبادتها، وهو بدل اشتمال.

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾ أي: من الله تعالى بالثواب.

﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [هم] المجتنبون الطاغوت المنيبون إلى الله تعالى. وضع الظاهر موضع المضمر، ليدلّ على أنهم هم، وليترتّب على الظاهر الوصف وهو «الذين يستمعون القول»، وهو عام في جميع الأقوال.

---

(١) انظر السيرة النبوية ١: ٢٦٧.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٥٦ من البقرة.

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم. و«الذين» مبتدأ خبره «أولئك» وما بعده.

[٤٨٢/ب] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ قيل: نزلت في أبي جهل، أي: نفذ عليه الوعيد بالعذاب. والظاهر أنها جملة مستقلّة. و«من» موصولة مبتدأ. والخبر محذوف تقديره: تتأسف عليه.

ولمّا ذكر حال الكفار في النار، وأن الخاسرين لهم ظُلل، ذكر حال المؤمنين. وناسب الاستدراك هنا، إذ هو واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ ففي ذلك حضٌّ على التقوى. لهم علاليّ مرتفعة فوقها(١) علاليّ «مبنية» أي: بناء المنازل التي سُوّيت على الأرض. والضمير في «من تحتها» عائد على الجمعين، أي: تحت الغرف السفلى والغرف العليا لا تفاوت بين أعلاها وأسفلها.

وانتصب «وعد الله» على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله إذ تضمنت معنى الوعد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطاب للسامع وتوقيف.

﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أي: أدخله مسالك وعيوناً. والظاهر أن ماء العيون هو من ماء المطر تحبسه الأرض وتخرجه شيئاً فشيئاً.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ ذكر مِنَنَه تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا.

﴿مُّخْتَلِفًا(٢) أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من أحمر وأصفر وأخضر وأبيض. وشمل لفظ الزّرع

(١) ق: فوقه.
(٢) ق: مختلفة.

جميع ما يُزرع من مُقْتات وغيره.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: يقارب[1] التّمام.

﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرًّا﴾ أي: زالت خضرته ونضارته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما ذكر من إنزال المطر وإخراج الزرع به، وتنقّلاته إلى حال الحطامية. ﴿لَذِكۡرَىٰ﴾ أي: لتذكيراً وتنبيهاً على حكمة فاعل ذلك وقدرته.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ نزلت[2] في حمزة وعلي. و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوف يدلّ عليه «فويل للقاسية» تقديره: كالقاسي المعرض عن الإسلام. وأبو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم.

وشرح الصدر استعارة عن قبوله للإيمان والخير. والنّور: الهداية. وفي الحديث[3] «كيف انشراح الصدر؟ [قال]: إذا دخل النور القلب، انشرح وانفسح. قلنا: وما علامة ذلك؟. قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتّجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل الموت».

﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ [قُلُوبُهُم]﴾ إذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم. «أولئك» أي: القاسية [قلوبهم]. «في ضلال [مبين]» أي: في حيرة واضحة لا تخفى.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ

---

(١) ق: قارب.

(٢) انظر القرطبي ١٥: ٢٤٧.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن مسعود، انظر الدرّ المنثور ٥: ٣٢٥. ونقله الزمخشري في الكشاف ٣: ٣٩٤.

يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ
مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن
كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ
مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ
رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الآية، عن ابن عباس أنّ قوماً من الصحابة قالوا: يا رسول الله، حدِّثْنا بأحاديث حسان، وأخبار الدهر فنزل «الله نزّل أحسن الحديث» الأية.

و﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ مطلق في مشابهة بعضه بعضاً، فمعانيه متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض، وألفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث أعجزت الفصحاء والبلغاء.

و﴿مَّثَانِىَ﴾ جمع مثنى ومعناه [٤٨٣/أ] موضع تثنية القصص والأحكام والعقائد والوعد والوعيد. والظاهر حمل القشعريرة على الحقيقة، إذ هو موجود عند الخشية، محسوس يدركه الإنسان من نفسه، وهو حاصل من التأثر القلبي. والمعنى أنه حين يسمعونه يُتلى ما فيه من آيات الوعيد، عَرَتْهم خشية تنقبض منها جلودهم. ثم إذا ذكروا الله ورحمته، لانت جلودهم، أي: زال عنها ذلك التقبّض الناشىء عن خشية القلوب بزوال الخشية عنها.

وضمّن ﴿تَلِينُ﴾ معنى تطمئن جلودهم ليّنة غير منقبضة، وقلوبهم راجية

غير خاشية، ولذلك عدّاه بإلى. وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثّرها عند السّماع، فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب، لقيام المسبّب مقامَ السبب، فلما ذكر اللّين ذكرهما. وفي ذكر اللّين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله تعالى.

وقال العباس بن عبد المطّلب: قال النبي ﷺ[1] «من اقشعرّ جلده من خشية الله، تحاتّت عنه ذنوبه كما يتحاتُّ عن [الشجرة] اليابسة ورقها».

﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ أي: يستقبل. والظاهر حمل «بوجهه» على حقيقته؛ لمّا كان يُلقى في النار مغلولة يداه إلى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتّقي به النار إلّا وجهه، قيل: يُجرّ على وجهه في النار. ويجوز أن يُعبّر بالوجه عن الجملة. وفي قوله ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر] حذف المذموم وهو القاسي القلب، وهنا حذف الممدوح [وهو] المنعَّم في الجنة.

ولمّا ذكر تعالى أنه ضرب في القرآن ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: محتاج إليه، ضرب هنا مثلاً لعابدِ آلهةً كثيرة ومن يعبد الله وحده، ومثّل برجل مملوك اشترك فيه مُلاّك سيّئو الأخلاق، فهو لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصودة، إذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم[2] وطلب كلٌّ منهم أن يقضي حاجته على التمام والكمال، فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كلّ منهم. ورجلٍ آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معنيّ بشغله لا يشغله عنه شيء، ومالكه راضٍ عنه، إذ قد خلص لخدمته، وبذل جهده في قضاء

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن العباس بن عبد المطلب، انظر الدّر المنثور ٥ : ٣٢٦.

(٢) ق: بمشاحتهم. والمشاحة: الحرص.

حوائجه، فلا يلقى من سيده إلا إحساناً. وتقدّم الكلام في ضرب[1] المثل وما بعده.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ خطاب للرسول عليه السلام وتدخل معه أمته في ذلك. «وإنهم» عائد على الكفّار. ثم قال «ثم إنكم[2]» خطاب للجميع. ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ بين يديه يوم القيامة، وهو الحكم العدل، فيتميز المحقّ من المبطل.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

(١) ق: في نصب. وانظر تفسير الآية ٢٦ من البقرة.

(٢) ق: وإنكم.

﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية، هذا تفسير وبيان للذين يكون بينهم الخصومة. وهذا يدل على أن الاختصام السابق يكون بين[1] المؤمنين والكافرين. والمعنى: لا أحد في المكذبين أظلم ممن افترى على الله [٤٨٣/ب] الكذب، فنسب إليه الولد والصاحبة والشريك، وحرّم وحلّل من غير أمر الله.

﴿ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ وهو ما جاء به رسول الله ﷺ. ﴿ إِذْ جَآءَهُۥٓ[2] ﴾ أي: وقت مجيئه، فاجأه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا نظر، بل وقت مجيئه كذّب به. ثم توعّدهم توعّداً فيه احتقارهم على جهة التوقيف. و﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ مما قام فيه الظاهر مقام المضمر، أي: مثوى لهم. وفيه تنبيه على علّة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر.

«والذي جاء بالصدق» معادل لقوله «فمن أظلم». و«وصدق به» مقابل لقوله «وكذب بالصدق». و«الذي» جنس كأنه قال: والفريق الذي جاء بالصبدق، ويدلّ عليه «أولئك هم المتقون» فجمع. كما أن المراد بقوله «فمن أظلم» يراد به جمع، ولذلك قال «مثوى للكافرين».

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ قالت قريش: لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا، لنسلطنّها[3] عليه فتصيبه بخبل أو تعتريه بسوء. فأنزل الله[4] تعالى «أليس الله بكاف عبده» أي: شرّ من يريده بشرّ. والهمزة الداخلة على النّفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبده. وفي إضافته إليه تشريف عظيم لنبيّه عليه

(١) ق: تكون من.

(٢) ق: جاء.

(٣) ق: لنسلطها.

(٤) انظر القرطبي ١٥ : ٢٥٨.

السلام.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ﴾ وهي الأصنام.

ولما بُعث خالد إلى كسر العزّى، قال له سادنها[١]: إني أخاف عليك منها، فلها قوة لا يقوم لها شيء، فأخذ خالد الفأس؛ فهشّم وجهها، ثم انصرف.

وقوله «ويخوفونك» تهكّم بهم، لأنهم خوّفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر.

وقرىء: بكافي عبدِه[٢]، على الإضافة. ويكافي عبادَه، مضارع كافى ونصب عباده، فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية [كقولك]: يجازي في يجزي. وهو أبلغ من كفى، لبنائه على لفظ المبالغة، وهو الظاهر لكثرة تردّد هذا المعنى في القرآن كقوله ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۝١٣٧﴾ [البقرة]. ويحتمل أن يكون مهموزاً، من المكافأة، وهي المجازاة، أي: يجزيهم أجرهم. ولما كان تعالى كافي عبده، كان التخويف بغيره عبثاً باطلاً. ولمّا اشتملت الآية على مهتدين وضالّين، أخبر أن ذلك كله هو فاعله، ثم قال ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ أي: غالب منيع ذي انتقام. وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين.

ولمّا أقرّوا بالصانع، وهو الله تعالى، أخبرهم أنه تعالى هو المتصرّف في نبيّه بما أراد، وأن تلك الأصنام التي يدعونها آلهة من دونه، لا تكشف ضرّاً، ولا تمسك[٣] رحمة، أي: صحّة وسعة في الرزق ونحو ذلك. و«أفرأيتم» هنا جارية على وضعها، تعدّت إلى مفعولها الأول وهو «ما تدعون[٤]» وجاء

---

(١) ق: سادتها.

(٢) ق: عباده.

(٣) ق: يكشف.. يمسك.

(٤) ق: يدعون.

المفعول الثاني جملة استفهامية وفيها العائد على «ما» وهو لفظ «هنّ» وأنّث تحقيراً لها وتعجيزاً وتضعيفاً. وكان فيها من سُمّي تسمية[1] الإناث [٤٨٤/أ] كالعزّى ومناة واللاّت. وأضاف إرادة الله تعالى الضرّ إلى نفسه والرحمة إليها لأنهم خوّفوه مضرّتها[2]. واستسلف منهم الإقرار بأن خالق العالم هو الله تعالى، ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرًّا أو تجلب خيراً. وقرىء: كاشفات وممسكات، على الإضافة وعلى الإعمال. ولما تقرّر أن الله تعالى كافيه وأن أصنامهم لا تضرّ ولا تنفع، أمره تعالى أن يعلم أنه تعالى هو حسبه أي: كافيه. والجواب في هذا الاستخبار محذوف والتقدير: فإنهم سيقولون لا نقدر على شيء من ذلك.

«قل يا قوم» تقدم الكلام عليه[3].

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا

(١) ق: لتسمية.

(٢) ق: معرتها.

(٣) انظر تفسير الآية ١٣٥ من الأنعام.

لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه أنزل الكتاب على رسوله بالحق للناس، نبّه على آية من آياته الكُبَر، تدلّ على وحدانيّته، لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره فقال «الله يتوفى الأنفس» و«الأنفس» هي الأرواح. قال ابن عباس: الروح لها تدبير عالم الحياة والنفس لها تدبير عالم الإحساس. ومعنى «يتوفى الأنفس» يميتها. «والتي» أي: والأنفس التي. «لم تمت في منامها» أي: يتوفّاها حين تنام تشبيهاً للنوّام[1] بالأموات ومنه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام] فبين الميت والنائم قدر مشترك، وهو كونهما لا يميّزان ولا يتصرّفان. فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي، فلا يردّها في وقتها حيّة، ويرسل النائمة لجسدها إلى أجل ضربه لموتها.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ فهو مالكها يأذن فيها لمن يشاء.

ثم أتى بعامٍّ وهو ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فاندرج فيه ملك الشفاعة.

ولمّا كانت الشفاعة من غيره موقوفة على إذنه، كانت الشفاعات كلها له تعالى.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: مفرداً بالذكر، ولم يُذكر معه آلهتهم، وقيل: إذا قيل لا إله إلا الله.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ وهي الأصنام. والاشمئزاز[2] والاستبشار

---

(١) ق: للنوم.

(٢) هذه الجملة حتى آخرها أخذها من كلام الزمخشري وتصرف فيها؛ انظر الكشاف ٣:٤٠١.

متقابلان غاية؛ لأن الاشمئزاز امتلاء القلب غمًّا وغيظاً، فيظهر أثره، وهو الانقباض، في الوجه، والاستبشار امتلاؤه سروراً، فيظهر أثره، وهو الانبساط والتهلّل، في الوجه.

قال الزمخشري[(١)]: فإن قلت: ما العامل في «وإذا ذكر»؟. قلت: العامل في إذا الفجائية تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار انتهى.

ما قاله الزمخشري لا أعلمه من قول من ينتمي للنّحو، وهو أن الظرفين معمولان لفاجؤوا، ثم إذا الأولى تنتصب على الظرف والثانية على المفعول به.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ تقدّم الكلام عليه[(٢)].

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ أي: كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة على حسب ضلالتهم وتخيّلاتهم فيما يعتقدونه، فإذا عاينوا العذاب يوم القيامة، ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون [٤٨٤/ب] وما كان في حسابهم.

﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا﴾ أي: جزاء ما كانوا. و«ما» في «ما كسبوا» يحتمل أن تكون بمعنى الذي، أي: سيئات أعمالهم، وأن تكون مصدرية أي: سيئات كسبهم. والسيئات: أنواع العذاب، سميت سيئات كما قال ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ

(١) الكشاف ٣: ٤٠١.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٦ من المائدة.

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ
ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ
ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن
يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ الآية، تقدم في غير آية كون الإنسان إذا مسّه الضّر، التجأ إلى الله، مع اعتقادهم الأوثان وعبادتها، فإذا أصابتهم شدة، نبذوها ودعوا ربّ السماوات والأرض. وهذا يدلّ على تناقض آرائهم وشدة اضطرابها.

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى مشركي قريش. ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيساً في الزمان من سوف. وهو خبر غيب، أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره: قُتل رؤساؤهم، وحُبس عنهم الرزق، فلم يُمطَروا سبع سنين، ثم بسط لهم، فمطروا سبع سنين، فقيل لهم: ألم يعلموا أنه لا قابض ولا باسط إلا الله تعالى.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ نزلت[١] في وحشي قاتل حمزة، أو في قوم آمنوا: عياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، ونفر معهما، ففتنتهم قريش، فافتتنوا، وظنّوا أن لا توبة لهم، فكتب لهم عمر بهذه الآية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا شدّد على الكفّار، وذكر ما أعدّ لهم من العذاب، وأنهم لو كان لأحدهم ما في الأرض ومثله معه، لافتدى به من عذاب الله - ذكر ما في

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٤٨، ولباب النقول ص١٨٥.

إحسانه من غفران الذنوب، إذا آمن العبد، ورجع إلى الله تعالى. وكثيراً تأتي آيات الرحمة مع آيات النقمة، ليرجو العبد ويخاف. وهذه الآية عامة في كل كافر يتوب، ومؤمن عاصٍ يتوب، يمحو الذّنبَ توبتُه.

وقال عبد الله وغيره: هذه أرجى آية في كتاب الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ عام يُراد به ما سوى الشرك.

وفي قوله «يا عبادي» بإضافتهم إليه وندائهم إقبال وتشريف. و« أسرفوا على أنفسهم» أي: بالمعاصي. والمعنى أن ضرر تلك الذنوب إنما هو عائد عليهم، والنّهي عن القنوط يقتضي الأمر بالرجاء. وإضافة الرحمة إلى الله تعالى التفات من ضمير التكلم إلى الاسم الغائب، لأن في إضافتها إليه سعة الرحمة، إذا أضيفت إلى الله تعالى الذي هو أعظم الأسماء، لأنه العلم المحتوي على معاني جميع الأسماء.

ثم أعاد الاسم الأعظم وأكّد الجملة بإنّ مبالغة في الوعد بالغفران. ثم وصف نفسه بما سبق في الجملتين من الرحمة والغفران بصفتي المبالغة. وأكّد بلفظ «هو» المقتضي عند بعضهم الحصر.

ولمّا كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة للمسرف [٤٨٥/أ] أَتْبعها بأن الإنابة - وهي الرجوع - مطلوبة مأمور بها. ثم توعّد من لم يَتُب بالعذاب حتى لا يبقى المرء كالمُهْمَلِ من الطاعة والمتكل على الغفران دون إنابة.

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

«أن تقول نفس يا حسرتا» الآية، الألف منقلبة عن ياء المتكلم وأصله ياحسرتي، كما قالوا في يا غلامي: يا غلاما، فقلبوا الياء ألفاً. والجنب: الجانب، ومستحيل على الله تعالى الجارحة فإضافة الجنب إليه مجاز.

﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ لم يَكْفِهِ أن ضيّع طاعة الله تعالى حتى سخر من أهلها.

ولمّا كان قوله «لو أن الله هداني» وجوابه متضمّناً نفي الهداية كأنه قال: ما هداني الله، فقيل له: بلى وقد جاءتك آياتي مرشدة لك فكذبت.

﴿فَأَكُونَ﴾ يجوز أن يكون جواب «لو» وقد أُشربت معنى التّمني كأنه قيل: تمنّيت [أنّ] لي كرّة، فأكون من المحسنين. ويجوز أن يكون معطوفاً على «كرة» كأنه قيل: [فلو أنّ] لي كرّةً فكوناً من المحسنين، ويكون جواب «لو» محذوف تقديره: لنجوت.

قال ابن عطية: وحقّ «بلى» أن تجيء بعد نفي عليه تقرير[1]. وقوله «بلى» جواب لنفي مقدّر كأن النفس قالت: فعمري في الدنيا لم يتّسع للنظر[2]، أو قالت: فإني لم يتبيّن لي الأمر في الدنيا، ونحو هذا، انتهى.

---

(١) ق: تقدير.

(٢) ق: في النظر، وفوقها: كذا.

ليس حق «بلى» ما ذكر، بل حقّها أن تكون جواب نفي، ثم حمل التقرير على النفي، ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب، وأجابه بنعم، ووقع ذلك أيضاً في كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتّباعاً لبعض العرب.

وكذبهم على الله تعالى نِسْبَتُهم إليه البنات والصاحبة والولد، وشَرْعُهم ما لم يأذن به الله. والظاهر أنه عامّ في الكاذبين على الله تعالى. والرؤية هنا من رؤية البصر.

و﴿ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ جملة في موضع الحال، وفيها ردّ على الزمخشري، إذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذلك الحال شاذ، وتبع في ذلك الفراء. وقد أعرب هو هذه الجملة حالاً[(١)]، فكأنه رجع عن مذهبه ذلك.

وقرىء: وجوهَهم مسودّةً، بنصبهما فهو بدل من «الذين» و«مسودة» حال، كأنه قيل: وترى وجوه الذين كذبوا[(٢)] على الله في حال اسودادها.

وقرىء: بمفازتهم، على الإفراد. وبمفازاتهم، على الجمع.

«والذين كفروا» معطوف على قوله «وينجي» وإن كانت تلك جملة اسمية و«ينجي» جملة فعلية، إذ صار المعنى: وينجّي - مع ما بعده - ويخسر[(٣)] من كفر بآيات الله.

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) الكشاف ٣: ٤٠٦. وليس الزّعم المذكور في هذا الموضع من الكشاف.

(٢) ق: كفروا.

(٣) ق: ونحشر.

مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾ الآية، «أفغير» منصوب بقوله «أعبد»، و«تأمرونّي» جملة اعتراضية بين الفعل ومعموله كأنه قيل: أعبد غير الله تأمرونني بذلك. وقرىء: تأمرونّي، بإدغام نون الرفع في نون الوقاية.

قال ابن عطية: وهذا على حذف النون الواحدة وهي الموطئة [٤٨٥/ب] لياء المتكلم، يعني في قراءة من قرأ بحذف النون. قال: ولا يجوز حذف النون الأولى، وهو لحن، لأنها علامة رفع الفعل انتهى.

في المسألة خلاف: منهم من يقول: المحذوفة نون الرفع، ومنهم من يقول: نون الوقاية. وليس بلحن، لأن التركيب متفق عليه، والخلاف جرى في أيّهما حُذف. ونختار أنها نون الرفع. ويجوز أن تكون «تأمروني» في موضع الحال؛ أنكر عليهم أن يعبد غير الله آمريه[1] بذلك.

ولمّا كان الإشراك مستحيلاً على من عصمه الله تعالى، وجب تأويل قوله «لئن أشركت» على حمله على ضمير السامع دون الموحى إليه، أي: أوحي إلى الرسول عليه السلام لئن أشركت أيها السامع، ومضى الخطاب على هذا

(١) ق: أمر به.

التأويل. ويدل على هذا التأويل، وأنه ليس براجعٍ الخطاب [فيه] للرسول عليه السلام، إفراد الخطاب في «لئن أشركت» إذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب: لئن أشركتم، فيشمل ضميره وضمير الذين من قبله ويُغَلَّب الخطاب.

و﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾ خطاب للسامع، أمره الله تعالى بالعبادة والشكر.

قال الزمخشري[١]: «فاعبد» ردٌّ لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم، كأنه قال: لا تعبد ما أمروك بعبادته، بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله. فحذف الشرط وجعل تقدم المفعول عوضاً منه انتهى.

لا يكون تقدّم المفعول عوضاً من الشرط، لجواز أن يجيء: زيد فعمراً اضرب[٢]، فلو كان عوضاً لم يَجُز الجمع بينهما.

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ تقدم الكلام عليه في الأنعام[٣].

ولمّا أخبر أنهم ما عرفوه حق معرفته، نبّههم على عظمته وجلالة شأنه، على طريق التصوير والتخييل فقال ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾. والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز.

ولما قرر كمال عظمته بما سبق، أردفه أيضاً بما يناسب من ذلك - إذ كان فيما تقدّم ذكر حال الأرض والسماوات يوم القيامة - فقال: ﴿ وَنُفِخَ فِى

(١) الكشاف ٣: ٤٠٧.

(٢) ق: وعمرو الضرب.

(٣) انظر تفسير الآية ٩١ من الأنعام.

﴿ٱلصُّورِ﴾.

وقرىء: وأشرقت، مبنيًّا للفاعل أي: أضاءت. وقرىء مبنيًّا للمفعول مِن: شرقت بالضوء تشرق إذا امتلأت به واغتصت، وأشرقها الله تعالى كما تقول[1]: ملأ الأرض عدلاً، وطبقها عدلاً.

«وجاء بالنبيين» ليشهدوا على أممهم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ أي: جوزيت مكمّلاً. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى كاتب ولا شاهد. وفي ذلك وعيد وزيادة تهديد.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ الآية، لمّا ذكر شيئاً من أحوال يوم القيامة على سبيل الإجمال، بيّن بعدُ كيفية أحوال الفريقين، وما أفضى إليه كل واحد منهما، فقال «وسيق». والسوق يقتضي الحثّ على المسير

(١) ق: يقول.

[٤٨٦/أ] بعنف وهو الغالب فيه. وجواب إذا: «فتحت أبوابها»، ودلّ ذلك على أنها لا تفتح إلا إذا جيئت[1] كسائر أبواب السجون، فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فتُفتح ثم تُغلق عليهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ على سبيل التقريع والتوبيخ. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم يقصّون ما ينبئونكم به ويسهل عليكم مراجعتهم.

﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: الكتب المنزلة للتبشير والنّذارة. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ وهو يوم القيامة وما يلقى فيه المسيء من العذاب. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: قد جاءتنا وتَلَوْا وأنذروا. وهذا اعتراف بقيام الحجّة عليهم.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: قوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف]. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر أي: علينا. صرّحوا بالوصف الموجب لهم العقاب. ولما فرغت محاورتهم مع الملائكة، أُمروا بدخول النار.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ﴾ عبّر عن الإسراع بهم إلى الجنة مكّرمين، بالسَّوق. و«إذا» شرطية، وجوابها: قال الكوفيون: «وفتحت»، والواو زائدة. وقال غيرهم: محذوف تقديره: لسُرّوا بذلك.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الداخلون الجنة. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة، أي: ملكناها نتصرّف فيها كما نشاء.

﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف تقديره: أجرنا.

---

(١) ق: جاءت.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ خطاب للرسول عليه السلام.

﴿حَآفِّينَ﴾ حال. والحفوف: الإحداق بالشيء من جميع جهاته، أي: حافّين حول العرش. ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ختم للأمر وقول جزم عند فصل القضاء. أي: هذا الحاكم العدل ينبغي أن يُحمد عند نفوذ حكمه وإكمال قضائه. ومن هذه الآية جُعلت «الحمد لله رب العالمين» خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم.

سورة غافر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ الآية، سبع الحواميم مكيات قالوا بإجماع. وفي الحديث «إن الحواميم ديباج القرآن»[2]. وفيه «من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم»[3]. وفيه «مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب»[4]. وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزّجر وطرق الآخرة. وهي قصار لا يلحق فيها سآمة. ومناسبة أول هذه السورة لآخر الزّمر أنه تعالى لمّا ذكر ما يؤول إليه [٤٨٦/ب] حال الكافر وحال المؤمن، ذكر هنا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب، ليكون ذلك

---

(١) مكية وهي خمس وثمانون آية.

(٢) موضوع. انظر ضعيف الجامع الصغير ٣: ١١٤. وانظر فتح القدير ٤: ٤٧٩.

(٣) أخرجه بمعناه الديلمي عن سمرة بن جندب مرفوعاً، انظر الدر المنثور ٥: ٣٤٤.

(٤) لم أجده.

استدعاءً للكافر إلى الإيمان وإلى الإقلاع عما هو فيه، وأن باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم إليه ليرتدع عما هو فيه، وأن رجوعه إليه فيجازيه بما عمل من خير أو شرّ. «شديد العقاب» بدل[١] لأنه من باب الصفة المشبّهة ولا يتعرف بالإضافة إلى المعرفة.

ووقع في كلام الزمخشري في قوله تعالى «شديد العقاب» ما نصّه[٢] «والوجه أن يقال لمّا صودف[٣] بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت».

وهذا تركيب غير عربي لأنه جعل «فقد آذنت» جواب لمّا. وليس من كلامهم: لمّا جاء زيد فقد قام عمرو.

﴿ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ قال ابن عباس: «الطول» السّعة والغنى.

«ما يجادل» جدالهم فيها قولهم مرةً: سحر، ومرة شعر، ومرة كهانة، ومرة ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام]، ومرة ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل]. فهو جدال بالباطل.

ولمّا كان جدال الكفار ناشئاً عن تكذيب ما جاء به الرسول عليه السلام من آيات الله، ذكر من كذّب قبلهم من الأمم السالفة وما صار إليه حالهم من حلول نقمات الله تعالى بهم، ليرتدع بهم كفار من بُعث الرسول عليه السلام إليهم، فبدأ بقوم نوح إذ كان عليه السلام أول رسول في الأرض. وعطف على قومه « الأحزاب» وهم الذين تحزّبوا على الرسّلِ ولم يقبلوا منهم ما

---

(١) ق: بدلاً.

(٢) الكشاف ٣: ٤١٢.

(٣) ق: مودف، وفوقها: كذا.

جاؤوا به من عند الله تعالى، ومنهم عاد وثمود وفرعون وأتباعه.

وقدّم الهمّ بالأخذ على الجدال بالباطل، لأن الرسل عليهم السلام لمّا عصمهم الله تعالى منهم أن يقتلوهم، رجعوا إلى الجدال بالباطل.

«فكيف» استفهام في موضع خبر «كان». و«عقاب» اسم كان حذفت منه ياء الإضافة لكونه فاصلة.

«وكذلك حقت» الكاف للتشبيه، أي: مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار. و«أنهم» مع ما بعده يتقدّر بالمصدر، أي: كونهم، وهو بدل من قوله[1] «كلمة».

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ۝١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ الآية، لمّا ذكر جدال الكفار ذكر طاعة هؤلاء

---

(١) ق: قولهم.

المصطفَيْن من خلقه، وهم حملة العرش، ومن حوله، وهم الحافّون به من الملائكة. و«الذين» مبتدأ. و«من» معطوف عليه. و«يسبحون» الخبر. و«ويؤمنون به» فائدة قوله «ويؤمنون» شرف الإيمان وفضله وشرف من تحلّى به. «ويستغفرون للذين آمنوا» يدلّ على شرف المؤمنين حيث جعل استغفارهم [٤٨٧/أ] معطوفاً على إيمان الملائكة، معطوفاً(١) على تنزيه الملائكة لله تعالى. «ربنا» منصوب على إضمار القول. و«ربّنا» منادى مضاف.

و﴿رَّحۡمَةً وَعِلۡمًا﴾ تمييزان محوّلان من الفاعل تقديره: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء.

ولمّا سألوا إزالة العقاب، سألوا اتّصال الثواب وكرّروا الدعاء بـ«ربنا» فقالوا ﴿رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾.

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ أي: امنعهم من الوقوع فيها حتى لا يترتب عليها جزاؤها.

و«من» شرطية مفعول أول بـ«تَقِ» تقديره: أي شخص، و«السيئات» مفعول ثان. «فقد رحمته» جواب الشرط.

ونداؤهم: قيل في النار، والمنادون لهم الزّبانية على جهة التوبيخ والتقريع.

واللام في ﴿لَمَقۡتُ﴾ لام الابتداء أو لام القسم. و«مقت» مصدر مضاف إلى الفاعل التقدير: لمقت الله إياكم، أو لمقت الله أنفسكم، وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه في قوله ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾.

والظاهر أن مقت الله إياهم هو في الدنيا، ويضعف أن يكون في الآخرة

(١) فوقها في ق: كذا.

كما قال بعضهم، لبقاء «إذ تدعون» مفلتاً من الكلام، لكونه ليس له عامل تقدَّم ولا مفسّر لعامل. وإذا كان المقت السابق في الدنيا أمكن أن يُضمر له عامل تقديره: مقتكم إذ تُدعون.

وقال الزمخشري[١]: و«إذ تدعون» منصوب بالمقت الأول، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة أن الله مقت أنفسكم الأمّارة بالسّوء والكفر حين[٢] كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون قبوله وتختارون[٣] عليه الكفر أشدّ مما تمقتونهنّ اليوم وأنتم في النار إذ[٤] أوقعتكم فيها باتّباعكم هواهنّ انتهى.

وفيه دسيسة الاعتزال. وأخطأ في قوله «وإذ تدعون» منصوب بالمقت الأول، لأن المقت مصدر ومعموله من صلته، ولا يجوز أن يُخبَر عنه إلا بعد استيفائه صلته، وقد أخبر عنه بقوله «أكبر من مقتكم أنفسكم» وهذا من ظواهر علم النحو التي لا تكاد تخفى على المبتدئين فضلاً عمّن يدّعي العجمُ أنه في العربية شيخ العرب والعجم وليس كذلك!.

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ وجه اتصال هذه بما قبلها أنهم كانوا ينكرون البعث، وعظَّم مقتهم أنفسهم هذا الإنكار. فلمّا مقتوا أنفسهم، ورأوا حزناً طويلاً، رجعوا إلى الإقرار بالبعث، فأقرّوا أنه تعالى أماتهم اثنتين وأحياهم اثنتين، تعظيماً لقدرته وتوسّلاً إلى رضاه. ثم أطعموا أنفسهم - بالاعتراف بالذنوب - أن يُرَدّوا إلى الدنيا، أي: إن رجعنا إلى الدنيا ودُعينا إلى الإيمان

---

(١) الكشاف ٣: ٤١٧.

(٢) ق: خبر.

(٣) ق: فيأبون.. ويختارون.

(٤) ق: إذا.

بادرنا إليه. وتقدّم الكلام في الإماتة والإحياء في البقرة[1].

«ذلكم» الظاهر أن الخطاب للكفار في الآخرة. والإشارة إلى العذاب [٤٨٧/ب] الذي هم فيه. و«ذلكم» مبتدأ خبره «بأنه»[2] لأنه ينسبك ما بعد الباء بمصدر، فيكون التقدير: عذابكم كائن بسبب كفركم وإشراككم المذكورين. والضمير في «بأنه» ضمير الشأن.

﴿ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾ أي: إذا أفرد بالإلهيّة ونُفيت عن سواه كفرتم.

﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ أي: ذُكرت اللات والعزّى وأمثالهما من الأصنام، صدقتم بألوهيّتها وسكنت نفوسكم إليها.

﴿ فَٱلْحُكْمُ﴾ بعذابكم اليوم لله تعالى لا لتلك الأصنام التي أشركتموها مع الله. «العلي» عن الشريك. «الكبير» العظيم الكبرياء.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا
مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ
ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ
ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ
يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥٨ من البقرة.

(٢) ق: بأنكم.

ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فَٱدْعُوا۟[1] ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية، الأمر للمنيبين.

و«رفيع» خبر مبتدأ محذوف. و«الروح» النبوّة، وقيل: جبريل عليه السلام يرسله لمن يشاء. والأَولى الوحي، استعار له الروح لحياة الأديان المرضية به. وسمّي «يوم التلاق» لالتقاء الخلائق فيه، قاله ابن عباس.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾ أي: ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شيء حفاة عراة. و«يوم» بدل من «يوم التلاق» وكلاهما ظرف مستقبل. والظرف المستقبل عند سيبويه لا يجوز إضافته إلى الجملة الإسمية، لا يجوز: أجيئك يومَ زيدٌ ذاهب، إجراءً له، فكما لا يجوز أن تقول: أجيئك إذا زيد ذاهب، فكذلك لا يجوز هذا، وذهب أبو الحسن إلى جواز ذلك.

قال ابن عباس: إذا هلك من في السماوات ومن في الأرض، فلم يبق إلا الله تعالى قال: لمن الملك اليوم؟. فلا يجيبه أحد، فيردّ على نفسه: لله الواحد القهّار.

و«يوم الآزفة» هو يوم القيامة.

﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ تقدم الكلام عليه في الأحزاب[2].

---

(١) ق: فادعوه.

(٢) انظر تفسير الآية ١٠ من الأحزاب.

«خائنة الأعين» الظاهر أنه من إضافة الصفة إلى موصوفه، أي: الأعين الخائنة. وخيانتها من كسر جفنٍ وغمزٍ ونظرٍ يُفهم منه ما يراد.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا
أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ
دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ
مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ
الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ
ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا
مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا
اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا
لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن
قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ
اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ
آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا ﴾ الآية، ابتدأ تعالى قصة موسى عليه السلام

مع فرعون تسلية للرسول عليه السلام ووعيداً[١] لقريش أن يحلّ بهم ما حلّ بفرعون وقومه من نقمات الله تعالى. «بآياتنا» أشهرها العصا واليد.

وقرىء: وأن. وقرىء: أو أن. وقرىء: يَظهر، مضارع ظهر والفسادُ فاعل. وقرىء: يُظهر مضارع أظهر والفسادَ مفعول به والفاعل ضمير موسى.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ قيل: كان قبطياً وهو ابن عمّ فرعون، وقيل: كان إسرائيلياً واسمه سمعان، وقيل غير ذلك. «من آل فرعون» في موضع الصفة. ورُدّ قول من علّق «من آل فرعون» بـ«يكتم» بأنه لا يقال: كتمت من فلان كذا، إنما يقال: كتمت فلاناً، قال الله ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء]، وقال الشاعر[٢]: [من الطويل]

كتمتُك ليلاً بالجَمومَيْن ساهرا [وهمَّين همّاً مستكنّاً وظاهرا]

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ هذا إنكار منه عظيم وتبكيت لهم كأنه قال: [٤٨٨/أ] أترتكبون الفعلة الشنعاء التي [هي] قتل[٣] نفس محرّمة وما لكم علّة في ارتكابها إلاّ كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله: ربي الله، مع أنه قد جاءكم بالبيّنات من ربكم، أي: من عند من نسب إليه الربوبية وهو ربكم لا ربّه وحده. وهذا استدراج إلى الاعتراف بالبيّنات، بالدلائل على التوحيد، وهي التي ذكرها في طه والشعراء[٤] حالة محاورته له في سؤاله عن ربّه تعالى. ولمّا صرّح بالإنكار عليهم، غالطهم بعدُ في أن قسم أمره إلى كذب وصدق،

---

(١) ق: ووعيد.

(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص١٣٠.

(٣) ق: قيل.

(٤) انظر الآية ٤٩ وما بعدها من طه، والآية ٢٣ من الشعراء وما بعدها.

وأبدى ذلك في صورة احتمال ونصيحة، وبدأ في التقسيم بقوله ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ﴾ مداراةً منه وسلوكاً[١] طريق الإنصاف في القول، وخوفاً إذا أنكر عليهم قتله أنه ممّن يعاضده وينصره، فأوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يسلم من شرّهم[٢]، ويكون ذلك أدنى إلى تسليمهم.

ومعنى «فعليه كذبه» أنه لا يتخطّاه ضرره.

﴿وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمۡۖ﴾ وهو يعتقد أنه نبي قطعاً لكنه أتى بلفظ «بعض» لإلزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس فيه نفي أن يصيبهم [كل] ما يعدهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى﴾ فيه إشارة إلى علوّ شأن موسى عليه السلام وأنّ من اصطفاه الله تعالى للنبوّة، لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب.

وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين، وفي غاية الكذب، إذ ادّعى الإلهيّة[٣] والربوبية، ومَن هذا شأنه لا يهديه الله أبداً. وفي الحديث[٤] «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النّجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه». وفي الحديث أنه عليه السلام طاف بالبيت، فحين فرغ أخذوا بمجامع ردائه فقالوا له: أنت الذي تنهانا عمّا كان يعبد آباؤنا؟. فقال: أنا ذاك. فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله وقد

(١) ق: وسالكاً.

(٢) ق: شرّه.

(٣) إلاهيّة.

(٤) موضوع. انظر الأحاديث الضعيفة ١: ٣٥٨، وضعيف الجامع الصغير ٣: ٢٨٣.

جاءكم بالبيّنات من ربكم»[١] رافعاً صوته بذلك وعيناه تسفحان بالدموع حتى أرسلوه.

ثم قال ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ نداء متلطّف في موعظتهم. ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ [ٱلۡيَوۡمَ] ظَٰهِرِينَ﴾ أي: غالبين عالين. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض مصر، قد غلبتم بني إسرائيل فيها، وقهرتموهم، واستعبدتموهم. وناداهم[٢] بالمُلْك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلّها، وهو من جهة شهواتهم. وانتصب «ظاهرين» على الحال، والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور، وذو الحال هو ضمير «لكم».

ثم حذّرهم أن يفسدوا على أنفسهم بأنه إن جاءهم بأس الله لم يجدوا لهم دافعاً ولا ناصراً. وأدرج [نفسه فيه] «ينصرنا» و«جاءنا» لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم أن الذي ينصحهم [٤٨٨/ب] به هو مشارك لهم فيه.

وأقوال هذا المؤمن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه، ولذلك استكان فرعون وقال ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا ذلك. وهذا قول من لا تحكّم له. وأتى بـ«ما» و«إلا» للحصر والتأكيد. وما أهديكم إلا سبيل الصواب لا ما تقولونه من ترك قتله. وقد كذب بل كان خائفاً وجلاً وقد علم أنّ ما جاء به موسى عليه السلام حق، ولكنه كان يتجلّد ويُري ظاهره خلاف ما أبطن.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ﴾ الآية، الجمهور على أن هذا المؤمن هو الرجل القائل «أتقتلونِ رجلاً» قصّ[٣] الله تعالى أقاويله إلى آخر الآيات. لمّا رأى ما لحق

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٨١٤ من حديث عبد الله بن عمرو بألفاظ مقاربة.
(٢) ق: وبدأهم.
(٣) ق: نصّ.

فرعون من الخور والخوف، أتى بنوع آخر من التهديد، وخوّفهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من استئصال الهلاك حين كذبوا رسلهم، وقويت نفسه حتى سرد عليهم ما سرد، ولم يَهَبْ فرعون.

«يوم التناد» وهو يوم الحشر. والتنادي مصدر تنادى القوم، أي: نادى بعضهم بعضاً، قال الشاعر(١): [من الطويل]

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارساً   فقلت: أعبد الله ذلكم الرّدي؟

وسمّي يوم التناد إما لنداء بعضهم لبعض بالويل والثّبور، وإما لتنادي أهل الجنة وأهل النار على ما ذكر في الأعراف(٢).

وفي الحديث(٣) «إنّ للناس جولة يوم القيامة يندّون يظنّون أنهم يجدون مهرباً [ثم تلا]: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ(٤) مُدْبِرِينَ﴾».

﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ﴾ في فراركم حتى تقذفوا في النار. ولمّا يئس المؤمن من قبولهم قوله قال ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

قال الزمخشري(٥): ويحتمل أن يكون «الذين يجادلون» مبتدأ، و«بغير سلطان أتاهم» خبراً. وفاعل «كبر» قوله «كذلك» أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال. و«يطبع الله» كلام مستأنف. ومن قال: كبر مقتاً عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصحّ حذفه انتهى.

---

(١) البيت لدريد بن الصمّة في الأصمعيات ص١٠٨، وفي الشعر والشعراء ٢: ٧٥٠.
(٢) انظر تفسير الآية ٤٤ من الأعراف.
(٣) لم أجده.
(٤) ق: يقولون.
(٥) الكشاف ٣: ٤٢٧.

وهذا الذي أجازه لا يجوز أن يكون مثله في كلام فصيح، فكيف في كلام الله تعالى؟ لأنّ فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض، وارتكاب مذهبٍ الصحيحُ خلافه.

أمّا تفكيك الكلام فالظاهر أن «بغير سلطان» متعلق بـ«يجادلون» ولا يُتعقّل جَعْلُه خبراً لـ«الذين» لأنه جار ومجرور، فيصير التقدير: الذين يجادلون في آيات الله كائنون أو مستقرّون بغير سلطان، أي: في غير سلطان، لأن الباء إذا ذاك ظرفية خبر عن الجثث. وكذلك في قوله «يطبع» إنه مستأنف، فيه تفكيك الكلام؛ لأن ما جاء في القرآن من: كذلك يطبع أو نطبع، إنما جاء مربوطاً بعضه ببعض فكذلك هذا. وأما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه [فجعَلْ] الكاف اسماً فاعلاً بـ«كبر» وذلك [٤٨٩/أ] لا يجوز على مذهب البصريين إلا الأخفش، ولم يثبت في كلام العرب، أعني نَثْرها: جاءني كزيد، تريد: مثل زيد. فلم تثبت اسميّتها فتكون[1] فاعلة.

وأما قوله: ومن قال إلى آخره فإن قائل ذلك هو[2] الحوفي، والظنّ به أنه فسّر المعنى ولم يرد الإعراب. وإنما تفسير الإعراب أن الفاعل بـ«كبر» ضمير يعود على الجدال المفهوم من «يجادلون» كما قالوا: من كذب كان شرًّا له، أي: كان هو، أي: الكذب المفهوم من كذب. والأولى في إعراب هذا الكلام أن يكون «الذين» مبتدأ وخبره «كبر» والفاعل ضمير المصدر المفهوم من «يجادلون»، وهذه الصفة[3] موجودة في فرعون وقومه. ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب لحسن

(١) ق: يثبت.. فيكون.

(٢) ق: وهو.

(٣) ق: القصة.

محاورته[١] لهم واستجلاب قلوبهم، وأبرز[٢] ذلك في صورةٍ تذكّرهم ولا تفجؤهم[٣] بالخطاب.

وفي قوله ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه[٤] عن حدّ أشكاله من الكبائر.

«كذلك» أي: مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين. «يطبع» أي: يختم بالضلال ويحجب عن الهدى. وقرىء: قلب، بالإضافة، وبالتنوين فـ«متكبّر» صفة له.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى
ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى
بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ
دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ

(١) ق: مجاورته.
(٢) ق: وإبراز.
(٣) ق: تجفوهم.
(٤) ق: حروبه.

ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

«وقال فرعون يا هامان» أقوال فرعون: ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر] ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر] ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ حيدة عن محاجّة موسى ورجوع إلى أشياء لا تصحّ، وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة والتعرّف أن هلاكه وهلاك قومه على يدي موسى عليه السلام، وأن قدرته عجزت عن التأثير في موسى، هذا على كثرة سفكه الدّماء. والصّرح تقدّم الكلام عليه(١).

وقرىء: فأطّلعُ، بالرفع عطفاً على «أبلغ». وقرىء بالنصب.

قال الزمخشري(٢): على جواب الترجّي، تشبيهاً للترجّي بالتّمني انتهى. فالتّرجي لا يكون إلا في الممكن، وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن، لأنّ فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويهاً على سامعيه. وأمّا النّصب بعد الفاء في جواب الترجّي فشيء أجازه الكوفيون [ومنعه البصريون، واحتجّ الكوفيون] بهذه القراءة. وقرىء: وصَدَّ، مبنيًّا للفاعل. وصُدّ، مبنيًّا للمفعول.

﴿۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ الآية، بدأ المؤمن بذكر المتسبّب عن دعوتهم، وأبدى التفاضل بينهما.

---

(١) انظر شرح الآية ٤٤ من النمل، والآية ٣٨ من القصص.

(٢) الكشاف ٣: ٤٢٨.

ولما ذكر المسبّبين ذكر سببهما وهو دعاؤهم إياه إلى الكفر والشرك، ودعاؤه إياهم إلى الإيمان والتوحيد. وأتى بصفة «العزيز» وهو الذي لا نظير له، «الغفار» لذنوب من رجع إليه وآمن به [٤٨٩/ب] وأوصل سبب دعائهم بمسبّبه وهو الكفر والنار، وأخّر سبب مسبّبه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو إلى الخير. وبدأ أولاً بجملة اسمية [وهو الاستفهام المتضمّن التعجب من حالتهم، وختم أيضاً بجملة اسمية] ليكون أبلغ في توكيد الإخبار. وجاء في حقهم و«تدعونني» بالجملة الفعلية التي لا تقتضي التوكيد، إذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتؤكَّد. و«ما ليس لي به علم» هي الأوثان، أي: لم يتعلّق علمي بها إذ ليس لها مدخل في الألوهية ولا لفرعون.

﴿لَاجَرَمَ﴾ تقدم الكلام عليه[1]. ولمّا ذكر انتفاء دعوة ما عُبد من دون الله، ذكر أن مردّ الجميع إلى الله أي: إلى جزائه.

«فَوَقَاهُ الله سيئات ما مكروا» قال مقاتل: لمّا قال هذه الكلمات قصدوا قتله، فهرب[2] هذا المؤمن إلى الجبل، فلم يقدروا عليه. «فوقاه الله سيئات ما مكروا» أي: شدائد مكرهم التي تسوؤه[3] وما همّوا به من أنواع العذاب لمن خالفهم.

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ قال ابن عباس: هو ما حاق بالألف الذين بعثهم فرعون في طلب المؤمن من أكل السّباع والموت بالعطش والقتل والصّلب كما تقدّم[4].

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من هود.

(٢) ق: هرب.

(٣) ق: تسوؤهم.

(٤) ابحث عنها.

والظاهر أن العرض خلاف الإحراق.

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا
كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى
ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ
تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ
مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴾.

وقرىء: كلٌّ، بالرفع مبتدأ خبره «فيها»، والجملة في موضع خبر «إنا».

وقرىء بالنصب، وخرّجه الزمخشري وابن عطية على التوكيد. قال الزمخشري[1]: لاسم إنّ وهو معرفة، والتنوين عوض من المضاف إليه، يريد: إنّا كلّنا فيها انتهى.

وخبر إنّ هو «فيها»، ومن رفع «كلًّا» فعلى الابتداء وخبره «فيها» والجملة خبر إنّ.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣٠.

وقال ابن مالك في تصنيفه وقد تكلّم على كلّ: ولا يستغنى بنيّة إضافته خلافاً للفرّاء والزمخشري انتهى.

وهذا المذهب منقول عن الكوفيين.

وقال الزمخشري[1] أيضاً: فإن قلت: هلِ يجوز أن يكون «كلًّا» [حالاً] قد عمل [فيها] «فيها»؟. قلت: لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدّمة كما يعمل في الظرف متقدّماً، تقول: كلّ يوم لك ثوب، ولا تقول: قائماً في الدار زيد انتهى.

هذا الذي منعه أجازه الأخفش، إذا توسطت الحال نحو: زيد قائماً في الدار، وزيد قائماً عندك. والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقاً لما في الآية، لأن الآية تقدّم فيها المسند إليه الحكم، وهو اسم إنّ، وتوسّطت الحال - إذا قلنا إنها حال - وتأخر العامل فيها. [وأما] تمثيله بقوله: ولا تقول: قائماً في الدار زيد، فتأخر فيه المسند والمسند إليه.

وقد ذكر بعضهم أن المنع في ذلك إجماع من النّحاة.

والذي أختاره في تخريج هذه القراءة أن «كلًّا» بدل من اسم إنّ، لأنّ «كلًّا» يُتصرّف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك، فكأنه قال: إنّ كلًّا فيها. [٤٩٠/أ] وإذا كانوا قد تأوّلوا: حولا أكتعاً ويوماً أجمعاً على البدل، مع أنهما لا يليان العوامل، فأن يُدّعى في «كلّ» البدل أولى. وأيضاً فتنكير كلّ ونصبه حالاً في غاية الشذوذ.

والمشهور أن «كلًّا» معرفة إذا قُطعت عن الإضافة، حُكي: مررت بكلٍّ

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣١.

قائماً، وببعضٍ جالساً، في الفصيح الكثير من كلامهم. وقد شذّ نصب «كلّ» على الحال في قولهم: مررت بهم كلاًّ، أي: جميعاً. فإن قلت: كيف تجعله بدلاً وهو بدل كلّ من كلّ من ضمير المتكلم، وهو لا يجوز على مذهب جمهور البصريين؟. قلت: مذهب الأخفش والكوفيين [جوازه] وهو الصحيح. على أن هذا ليس مما وقع فيه الخلاف، بل إذا كان البدل يفيد الإحاطة جاز أن يُبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب، لا نعلم[1] خلافاً في ذلك كقوله تعالى ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة] وكذلك: مررت بكم صغيركم وكبيركم، معناه: مررت بكم كلّكم، وتكون لنا عيداً كلّنا. فإذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الإحاطة، فجوازه فيما دلّ على الإحاطة وهو «كلّ» أولى. ولا التفات لمنع المبرّد البدل فيه لأنه بدل من ضمير المتكلم، لأنه لم يتحقّق[2] مناط الخلاف.

ولمّا أجاب الضعفاءَ المستكبرون، قالوا جميعاً لخزنة جهنم. وأبرزَ ما أضيف إليه الخزنة، ولم يأت ضميراً، فكان يكون التركيب: لخزنتها، لما في ذكر جهنم من التّهويل. فراجعتهم الخزنة [على سبيل التوبيخ] والتقريع: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم﴾ فأجابوهم بأنهم أتتهم. قالوا لهم: فادعوا أنتم، على سبيل الهزء بهم، فإنّا لا نجترىء على ذلك.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ الدّلائل التي أوردها على فرعون وقومه.

و«الكتاب» التوراة توارثوها خلفاً عن سلف.

ثم أمره تعالى بتنزيهه في هذين الوقتين اللذين الناس مشغولون فيهما

---

(١) ق: يعلم.

(٢) ق: يحقق.

بمصالحهم[١] المهمّة.

ثم نبّه تعالى على أنه لا ينبغي أن يجادلَ في آيات [الله] ولا يتكبّر الإنسان لقوله.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ
فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ
لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ
خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ
بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ
رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ
أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ
وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ

---

(١) ق: بمصالهما.

يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ
يَعۡلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي
ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ
ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم
بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ
جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ أي: أن مخلوقاته أكبر وأجلّ من خلق البشر، فما لأحدهم يجادل ويتكبر[1] على خالقه؟!.

﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ أي: اعبدوني. و﴿أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ أي: أُثِبْكم على العبادة. وكثيراً جاء الدعاء في القرآن بمعنى العبادة، ويقوّي هذا التأويل قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾ وما روى النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال[2] «الدعاء هو العبادة». وقرأ هذه الآية. «إن الذين يستكبرون عن عبادتي» أي: يتعاظمون عن توحيدي. وقرىء: سيدخلون، مبنيًّا للفاعل والمفعول.

«كذلك» أي: مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب الجاحدين بآيات الله من الأمم عن طريق [٤٩٠/ ب] الهدى.

و«الطيبات» المستلذّات طعماً ولباساً.

ومعنى ﴿يُسۡجَرُونَ﴾ يطرحون في النار، فيكونون وقوداً لها، وقيل

---

(١) ق: تجادل وتكبّر.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ٢٧٦ من حديث النعمان بن بشير، وانظر صحيح الجامع الصغير ٣: ١٥٠.

يحرقون.

ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: [أين] الأصنام التي [كنتم] تعبدون في الدنيا؟ فيقولون: ضلّوا عنا أي: تلفوا منّا وغابوا واضمحلّوا. ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون إلى الكذب فيقولون: بل لم نكن نعبد شيئاً. وهذا من أشد الاختلاط في الذهن والنظر.

«ذلكم» أي: الإضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق، وهو الشرك وعبادة الأوثان. وفي الحديث «إن الله يبغض المرحين الفرحين ويحب كل قلب حزين»[1]. و«تفرحون» و«تمرحون» من باب تجنيس التحريف المذكور في علم البديع، وهو أن يكون الحرف[2] فرقاً بين الكلمتين.

«ادخلوا»[3] الظاهر أنهم قيل لهم «ادخلوا» بعد المحاورة السابقة، وهم قد كانوا في النار، ولكن هذا أمر مقيّد بالخلود وهو الثواء الذي لا ينقطع، فليس أمراً بمطلق الدخول، إذ بعد الدخول فيها أُمروا أن يدخلوا سبعة الأبواب التي لكل باب منهم جزء مقسوم من الكفّار[4]، فكان ذلك أمراً بالدخول بقيد التجزئة[5] لكل باب.

---

(١) موضوع، أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بألفاظ مقاربة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٢: ١١٠.

(٢) ق: التحريف.

(٣) ق: ادخلوها.

(٤) الإشارة هنا إلى الآية ٤٤ من الحجر.

(٥) ق: التجربة.

و«خالدين» حال مقدّرة ودلّت على الثّواء الدائم فجاء التركيب «فبئس مثوى المتكبرين» ولم يجيء التركيب: فبئس مدخل المتكبرين، لأن نفس الدخول لا يدوم، فلم يبالغ في ذمّه بخلاف الثّواء الدائم الذي لا ينقطع فإنه بولغ في ذمّه.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ
نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ
قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ
لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي
صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ
اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ الآية، أخبر رسوله عليه السلام بأن ما وعده به من نصره وإعلاء كلمته حق ثابت لا بدّ من وقوعه.

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ أي: من أخبرناك به في القرآن وهم[1] ثمانية عشر نبيًّا، ومنهم من لم نقصص عليك.

---

(١) ق: وهو.

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ أي: ليس ذلك راجعاً إليهم. لمّا اقترحوا على الرسول عليه السلام [آية] قال: «ليس ذلك إليّ، لا تأتي آية إلا إن شاء الله»[1].

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ ردٌّ ووعيد بأثر اقتراحهم الآيات. و«أمر الله» القيامة. و«المبطلون» المعاندون مقترحو الآيات. وقد أتتهم الآيات، فأنكروها، وسمّوها سحراً.

ثم ذكر تعالى آيات اعتبار وتعداد نعم فقال ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ وهي ثمانية أزواج. ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ وهي الإبل إذ لم يُعهد ركوب غيرها. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ عامّ في ثمانية الأزواج، ولما كان المركوب منها هو أعظم منفعة، إذ فيه منفعة الأكل والركوب - وذكر أيضاً أن في الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك - أكّد منفعة الركوب بقوله ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ من بلوغ الأسفار الطويلة، وحمل الأثقال إلى البلاد [٤٩١/أ] الشاشعة، وما أشبه ذلك من المنافع الدنياوية والدينية. ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتب عليه، قد يتوصل به إلى الانتقال لأمر واجب أو مندوب، كالحج وغيره، دخل حرف التعليل على الركوب، وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات، فجعل ذلك علّة لجعل الأنعام لنا. ولمّا كان الأكل وإصابة المنافع من جنس المباحات[2]، لم يجعل ذلك علّة في الجَعْل، بل ذكر أنّ منها نأكل، ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك. كما أدخل لام التعليل في «لتركبوا» ولم يدخلها على الزينة في قوله ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۝٨﴾ [النحل]. ولمّا ذكر ما امتنّ به من منّة الركوب للإبل في البرّ، ذكر ما امتنّ به من نعمة الركوب في البحر

(١) لم أجده.

(٢) ق: حسن المناجات.

فقال ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي: حججه وأدلّته على وحدانيته. ﴿ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ أي: أنها كثيرة فأيُّها يُنكر؟ أي: لا يمكن إنكار شيء منها في العقول. و«أي آيات الله» منصوب بـ«تنكرون».

قال الزمخشري[1]: «فأي آيات الله» جاءت على اللغة المستفيضة. وقولك: فأيّة آيات الله، قليل. لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب، وهي في «أيّ» أغرب لإبهامه انتهى.

ومن قلة تأنيث أيّ، قوله[2]: [من الطويل]

بــأي كتــاب أم بــأيــة سنــة ترى حبّهم عاراً علي وتحسب

وقوله: «وهي في أيّ أغرب» إن عنى أيًّا على الإطلاق، فليس بصحيح؛ لأن المستفيض في النّداء أن تؤنث في نداء المؤنث كقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفجر] ولا يُعلم [من] ذكر تذكيرها فيه فيقول: يا أيها المرأة، إلا صاحب كتاب البديع في النحو[3]. وإن عنى غير المناداة، فكلامه صحيح: يقلّ تأنيثها في الاستفهام وموصولةً وشرطيّةً.

و«ما» في قوله ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾ نافية أو استفهامية في معنى النفي.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٣٩.

(٢) البيت للكميت في الهاشميات ص٣٨.

(٣) لعلي بن عيسى الربعي (- ٤٢٠هـ) تصانيف في النحو منها كتاب البديع، وقال عنه الأنباري: حسن جدًّا. انظر الإنباه ٢: ٢٩٧.

والضمير في «جاءتهم» عائد على «الذين من قبلهم» وجاء قوله «من العلم» على جهة التهكّم بهم، أي: في الحقيقة لا علم لهم، وإنّما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به الرسل. وكانوا يدفعون ما جاءت به الرسل بنحو قولهم ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف]، أو اعتقدوا أن عندهم علماً يستغنون به عن علم الأنبياء عليهم السلام كما تزعم الفلاسفة والدهريّون؛ كانوا إذا سمعوا بوحي الله تعالى دفعوه، وصغّروا علم الأنبياء إلى علمهم.

ولما سمع سقراط - لعنه الله - بموسى عليه السلام قيل له: لو هاجرت إليه. فقال: نحن قوم مهذّبون، فلا حاجة بنا إلى من يهذّبنا!.

وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسبة [٤٩١/ب] عائدة على مدلول واحد.

﴿بَأْسَنَا﴾ أي: عذابنا الشديد. حكى حال من آمن بعد تلبّس العذاب به، وأن ذلك لم يكن نافعاً[١]. وفي ذلك حضٌّ على المبادرة إلى الإيمان وتخويف من التأنّي.

و«إيمانهم» [رُفع] بـ«يَكُ» اسماً لها. أو فاعل «ينفعهم»، وفي «يك» ضمير الشأن على الخلاف الذي في: كان يقوم زيد. ودخل حرف النفي على الكون لا على النفع، لأنه يؤدي إلى نفي الصحّة، أي: لم يصحّ ولم يستقم كقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴿٣٥﴾﴾ [مريم]. وترادف هذه الفاءات أما في ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴿٨٢﴾﴾ [غافر] فلأنه كان نتيجة قوله ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾. و﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم ﴿٨٣﴾﴾ [غافر] جارٍ مجرى البيان والتفسير لقوله ﴿فَمَآ

(١) ق: نافعلاً.

﴿أَغۡنَىٰ﴾. و﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا ٨٤﴾ [غافر] تابع لقوله ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ﴾ كأنه قال: فكفروا به فلما رأوا بأسنا آمنوا. و﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ﴾ تابع لإيمانهم لمّا رأوا بأس الله. وانتصب «سنة» على أنه مصدر لمضمون الجملة السابقة؛ أي: أن ما فُعل بهم هي سنة الله التي قد مضت، وسبقت، في عباده، من إرسال الرسل، والإعذار بهم، وتعذيب من كذّبهم، واستئصالهم بالهلاك، وعدم الانتفاع بالإيمان حالة تلبّس العذاب بهم. و«هنالك» ظرف مكان استعير للزمان، أي: وخسر في ذلك الوقت الكافرون.

سورة فصلت(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا
لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا
فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا
عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ
إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞قُلۡ
أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ
سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ
كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ
أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ .

﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال في آخر ما قبلها ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ ﴿٨٢﴾﴾ [غافر] إلى آخرها، فتضمّن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزّل كتاباً مفصّلاً آياته، بشيراً لمن اتّبعه، نذيراً لمن

(١) مكية، وهي أربع وخمسون آية.

أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي، ثم قال ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ ۝١٣﴾ [فصلت]. وهذا كله مناسب لآخر سورة المؤمن.

«تنزيل» مبتدأ خبره «كتاب فصلت آياته» أي: بُيّنت وفُسّرت معانيه، ففصل بين حرامه وحلاله وزجره وأمره[1] ووعده ووعيده.

وانتصب «بشيراً ونذيراً» على النعت لـ«قرآناً عربياً».

﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: أكثر أولئك القوم، أي: كانوا من أهل العلم، ولكن لم ينظروا النظر التام بل أعرضوا.

﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ لإعراضهم عمّا[2] احتوى عليه من الحجج والبراهين.

روي[3] أن عتبة بن ربيعة ذهب إلى رسول الله ﷺ ليعظّم عليه أمر مخالفته [٤٩٢/أ] لقومه، وليقبّح عليه فيما بينه وبينه، وليعبد ما جاء به، فلما تكلّم عتبة قرأ رسول الله ﷺ «حم» ومرّ في صدرها حتى انتهى إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ فأرعد الشيخ، ووقف شعره، وأمسك على فم رسول الله ﷺ بيده، وناشده بالرحم أن يمسك، وقال حين فارقه: والله لقد سمعت شيئاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي.

(١) ق: وأمره ونهيه. وانظر أصل العبارة في البحر ٧: ٤٨٣.
(٢) ق: ما، وفوقها: كذا.
(٣) انظر القرطبي ١٥: ٣٣٨.

﴿ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: هلاّ قيل: على قلوبنا أكنّة كما قيل: وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت: هو على نمط واحد، لأنه لافرق في المعنى بين قولك: قلوبنا في أكنّة، وعلى قلوبنا أكنّة، والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف]. ولو قيل: إنّا جعلنا قلوبهم في أكنّة، لم يختلف المعنى. وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني انتهى.

نقول إن «في» أبلغ في هذا [الموضع] من «على» لأنهم قصدوا إفراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنّة، احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف، فلا يمكن أن يصل إليها شيء كما تقول: المال في الكيس، بخلاف قولك: على المال كيس، فإنه لا يدلّ على الحصر، وعدم الحصول دلالة الوعاء. وأما في قوله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الكهف] فهو من إخبار الله تعالى، لا يحتاج إلى مبالغة بخلاف قولهم[٣].

وقول الزمخشري: وترى المطابيع منهم، يعني من العرب من شعرائهم، ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب، ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه، قالوا: وأحسنه ما جاء من غير تكلف. والحجاب: الستر المانع من الإجابة وهو خلاف في الدين لأنه يعبد الله، وهم يعبدون الأصنام.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٥ من الأنعام.

(٢) الكشاف ٣: ٤٤٢.

(٣) فراغ في ق بمقدار كلمة وفوقه: كذا.

وروي[١] أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوباً وقال: يا محمد بيننا وبينك حجاب، استهزاء منه. «فاعمل» قال مقاتل: اعمل لإلهك الذي أرسلك، فإننا عاملون لآلهتنا التي نعبدها.

وضمّن «فاستقيموا» معنى التوجّه فلذلك تعدّى بإلى، أي: وجّهوا استقامتكم إليه. ولمّا كان العقل ناطقاً بأن السعادة مربوطة بأمرين: التعظيم لله تعالى والشفقة على خلقه، ذكر أن الويل والثّبور والخزي[٢] للمشركين الذين لم يعظّموا الله بتوحيده ونفي الشريك عنه، ولم يشفقوا على خلقه بإيصال الخير إليهم، وأضافوا إلى ذلك إنكار البعث.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال السدّي: نزلت في المرضى والزّمنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات يكتب لهم من الأجر كأصحّ ما كانوا يعملون. والممنون: المنقوص [٤٩٢/ب] قاله ابن عباس.

﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣].

ومعنى ﴿فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي: في مقدار يومين.

«وبارك فيها» أكثر خيرها. «وقدر فيها أقواتها» أي: أرزاق ساكنيها ومعايشهم. «في أربعة أيام» أي: في تمام أربعة أيام باليومين المتقدّمين. وقرىء: سواء، بالجرّ صفة لـ «أربعة»، وبالنصب[٤] على الحال، وبالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي سواء.

---

(١) انظر القرطبي ١٥: ٣٣٩.
(٢) ق: والحزن.
(٣) انظر الآية الأولى من الأنعام، والآية ٢٢ من البقرة.
(٤) ق: وبالنصب نصباً.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: قصد إليها. والظاهر أن المادة التي خلقت منها السماء كانت دخاناً.

وفي أول الكتاب الذي تزعم اليهود [أنه] التوراة أن عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، فأحدث الله تعالى في ذلك سخونة فارتفع زبد ودخان. أما الزّبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الأرض، وأما الدخان فارتفع وعلا وخلق الله منه السماوات. وفيه أيضاً أنه خلق السماوات من أجزاء مظلمة انتهى.

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ هذا القول مجاز، وهو كناية عن انفعال هذه الأجرام العظيمة لما يريد الله تعالى منها. ونحوه قول القائل: قال الجدار للوتد: لِمَ تشقُّني؟ قال الوتد: سل من يدقّني.

قال ابن عطية: وقوله «قالتا» أراد الفرقتين؛ جعل السماوات سماءً والأرضين أرضاً، وهذا نحو قول الشاعر[1]: [من الوافر]

ألم يحزنكِ أنّ حبال قومي وقومك قد تباينتا انقطاعا

[جعلها فرقتين وعبّر عنها بتباينتا انتهى].

هذا ليس كما ذكر، لأنه إنما تقدّم ذكر الأرض مفردة والسماء مفردة، فحسن التعبير عنها بالتثنية. والبيت هو من وضع الجمع موضع التثنية، كأنه قال: ألم يحزنك أن حبلَيْ قومي وقومك، فلذلك ثنّى في قوله: قد تباينتا، وأنّث على معنى الحبل، لأنه لا يريد الحبل حقيقةً إنما عنى به الذّمة[2]

(١) البيت للقطامي في ديوانه ص٣٢ مع اختلاف في الرواية.
(٢) ق: الفرقة.

والمودّة التي كانت بين قوميهما[١].

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ﴾ أي: صنعهنّ وأوجدهن، وقال الشاعر[٢].

[من الكامل]

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صَنَعُ السوابغ تُبَّعُ

وعلى هذا انتصب «سبع» على الحال. «وحفظاً» أي: حفظناها حفظاً من المسترقة بالثواقب. «ذلك» إشارة إلى جميع ما ذكر، أي: أوجده بقدرته وعزّه وعلمه.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ الآية، ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ التفات خرج من ضمير الخطاب في قوله: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [فصلت] إلى ضمير الغيبة، إعراضاً عن خطابهم، إذ كانوا قد ذُكّروا بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالّة على الوحدانية والقدرة الباهرة. «فقل أنذرتكم» أي: أعلمتكم. «صاعقة» أي: حلول صاعقة.

(١) ق: قوميها.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ١: ١٩.

«قالوا» ضمير غيبة انتقل منه [٤٩٣/أ] إلى ضمير الخطاب في قوله «فإنا». و«ما» في قوله «بما» موصولة بمعنى الذي، والعائد عليه قوله «به». و«بما» متعلق بـ«كافرون».

قال الزمخشري[١]: ومفعول «شاء» محذوف تقديره: لو شاء ربنا إرسال الرسل، لأنزل ملائكة انتهى.

تتبعت ما جاء في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفاً إلا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام] أي: لو شاء جَمْعَهم على الهدى لجَمَعَهم عليه. وكذلك ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام] ﴿لَوْ[٢] شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل]،

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد[٣]

[من الطويل]

وقال الراجز[٤]:

واللّذِ لو شاء لكنت صخرا ... أو جبــلاً أشـــمّ مشمخـــرّا

فعلى هذا الذي تقرر، لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشري، وإنما التقدير: لو شاء ربّنا إنزال الملائكة بالرسالة منه إلى الإنس، لأنزلهم

(١) الكشاف ٣: ٤٤٨.

(٢) ق: ولو.

(٣) البيت لطرفة من معلقته، انظر شرح القصائد السبع ص٢٠٩.

(٤) بيتان من الرجز المشطور، وهما غير منسوبين في الإنصاف ٢: ٦٧٦، والهمع ١: ٢٨٤، والخزانة ٢: ٤٩٨.

بها إليهم. وهذا أبلغ في الامتناع من إرسال البشر، إذ علّقوا ذلك بإنزال الملائكة، وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك في [البشر]؟.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ أي: بيّنا لهم وأرشدناهم[1].

﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ أي: اختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد. و«الهون» الهوان، وصف العذاب بالمصدر أو أبدل منه.

ثم ذكّر قريشاً بنجاة من آمن واتقى. قيل: وكان من نجا من المؤمنين ممّن استجاب لهود وصالح مئة وعشرة أنفس[2].

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم
بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟
فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا

(١) ق: ورشدناهم.

(٢) يذكّرونه لأنهم يرويدون به الإنسان، انظر الصحاح «نفس».

﴿تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ (٢٩)﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ الآية، «ويوم» منصوب باذكر. «يوزعون» تقدم الكلام عليه(١).

و«حتى» غاية لـ«يحشر». و«أعداء الله» هم الكفار من الأولين والآخرين. و«ما» بعد إذا زائدة للتأكيد. والظاهر أن الجلود هي المعروفة، وقيل: كنّى به عن الفروج وعليه أكثر المفسرين منهم ابن عباس.

ثم سألوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم، فلم تذكر سبباً غير أن الله أنطقها. ولما صدر منها ما صدر من العقلاء، وهي الشهادة، خاطبوها بقولهم «لمَ شهدتم» مخاطبة العقلاء.

والظاهر أن قوله ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ من كلام الله تعالى توبيخاً لهم. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ الخفيات من أعمالكم.

«وذلكم» إشارة إلى ظنّهم أن الله لا يعلم كثيراً من أعمالهم. وهو مبتدأ خبره «أرداكم». و«ظننتم» بدل من «ذلكم».

وقال الزمخشري(٢): و«ظنكم» و«أرادكم» خبران.

وقال ابن عطية: «أرادكم» يصلح أن يكون خبراً بعد خبر انتهى.

ولا يصح أن يكون «ظنكم الذي ظننتم بربكم» خبراً، لأنّ قوله «وذلكم» إشارة إلى ظنّهم [٤٩٣/ب] السابق، فيصير التقدير: وظنكم بأن ربكم لا

(١) انظر شرح الآية ١٧ من النّمل.
(٢) الكشاف ٣: ٤٥١.

يعلم ظنكم بربكم. فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز، وصار نظير ما منعه النحاة من قولك: سيّد الجارية مالكها.

﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ أي: يعتذروا فما هم من المعذورين.

ولمّا ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفرة، أردفه بذكر السبب الذي أوقعهم في الكفر فقال ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ أي: سبّبنا لهم من حيث لم يحتسبوا. و«قرناء» جمع قرين أي: قرناء سوء من غواة الجن والإنس.

﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ أي: حسّنوا وقرّروا في أنفسهم.

﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث. ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا من الضلالة والكفر ولذّات الدنيا.

﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي: كلمة العذاب، وهو القضاء الحتم أنهم معذّبون.

﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: في جملة أمم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟﴾ أي: لا تصغوا لهذا القرآن.

﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ قيل: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ في المسجد، أصغى إليه الناس من مؤمن وكافر، فخشي الكفار استمالته القلوب بذلك، فقالوا: متى قرأ محمد، فلنلغط نحن بالمكاء[1] والصفير والصياح وإنشاد الشعر والأرجاز حتى يخفى صوته، وهذا الفعل هو اللغو.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ بتشويشكم عليه على قراءته فلا يُصغَى إليها.

---

(١) ق: فلنغط. و«بالمكاء» فوقها في ق: كذا. والمكاء: الصفير.

«ذلك» خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلك. و«جزاء» مبتدأ، و«النار» خبره.

﴿لَهُمْ[1] فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: موضع البقاء الدائم الذي لا ينقطع.

والنار هي دار الخلد، فكيف قيل «فيها»؟. ثَمَّ محذوف تقديره: في عذابها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا
تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا
تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا
ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ
خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الآية، قال ابن عباس: نزلت في الصدّيق، قال المشركون: ربنا الله، والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاؤنا عنده. واليهود قالوا:

---

(١) ق: لكم.

ربنا الله، وعزير ابنه، ومحمّد عليه السلام ليس[١] بنبي، فلم يستقيما. والصديق قال: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد عبده ورسوله، فاستقام ولمّا أطنب تعالى في وعيد الكفار، أردفه بوعيد المؤمنين. وليس المراد التلفّظ بالقول فقط، بل لا بدّ من الاعتقاد المطابق للقول اللساني، وبدأ أولاً بالذي هو أمكن في الإسلام، وهو العلم بربوبية الله تعالى، ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني بأمر أعتصم به. قال: قل: ربي الله، ثم استقم. قال: قلت: ما أخوف ما نخافه؟. فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه وقال: هذا»[٢].

وقال ابن عطية: «نزلاً» نصب [٤٩٤/أ] على المصدر.

والمحفوظ أن مصدر نزل نزولاً لا نُزلاً.

ولمّا تقدّم قوله تعالى «إن الذين قالوا ربنا الله» ذكر من دعا إلى ذلك فقال «ومن أحسن» أي: لا أحد أحسن قولاً ممّن يدعو إلى توحيده ويعمل العمل الصالح، ويصرّح أنه من المستسلمين المنقادين له. ذُكر أنه يجوز أن يكون ثَمَّ محذوف تقديره: قولاً وعملاً، حتى يكون مقابله العمل والقول، ويجوز أن لا يكون ثَمّ محذوف، ويكون قوله «وعمل صالحا» جملة حالية، أي: لا أحد أحسن قولاً ممّن دعا إلى الله، وقد عمل صالحاً.

ولمّا تفاوتت الحسنة والسّيئة، أمر أن يدفع السيئة بالأحسن، وذلك مبالغة، ولم يقل: ادفع بالحسنة السيئة؛ لأنّ من هان عليه الدّفع بالأحسن،

---

(١) ق: ليبين.

(٢) أخرجه أحمد ٣: ٤١٢.

هان عليه الدفع بالحسن، أي: فإذا فعلت[١] ذلك، إذا الذي بينك وبينه عداوة صار لك كالولي الصديق الخالص الصداقة. و«لا» في قوله «ولا السيئة» زائدة للتوكيد كهي في قوله ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر] لأنّ استوى لا يكتفي بمفرد واحد. فإذا أُخذت الحسنة والسيئة جنساً لم تك زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا، إذ يصير المعنى: ولا تستوي الحسنات إذ هي[٢] متفاوتة في أنفسها، ولا السيئات لتفاوتها أيضاً.

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير عائد على الفعلة والسجيّة التي هي الدفع بالأحسن.

وكرّر «وما يُلَقَّاها» تأكيداً لهذه الفعلة الجميلة الجليلة.

و﴿ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ هو ثواب الآخرة.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ تقدّم الكلام عليه[٣] عليه.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ فيه انتقال من خطاب في قوله «لا تسجدوا، واسجدوا» إلى ضمير الغائب في قوله «فإن استكبروا».

ومعنى ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني الملائكة. و«عند» ظرف مكان وهو مجاز.

﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ أي: لا يملّون ذلك.

ولمّا ذكر شيئاً من الدلائل العلوية ذكر شيئاً من الدلائل السفلية فقال ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ أي: غبراء دارسة.

---

(١) ق: فعل.

(٢) ق: الحسنات أي متفاوتة.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٠٠ من الأعراف.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ الآية، تقدم الكلام عليه[1]. وذكر تعالى أنهم لا يخفون عليه، وفي ذلك تهديد لهم.

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾ وعيد وتهديد بصيغة الأمر ولذا جاء ﴿ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيجازيكم بأعمالكم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ هم قريش ومن تابعهم من الكفار غيرهم. والذكر: القرآن هنا بإجماع. وخبر «إنّ» اختلفوا فيه أمذكور هو أم محذوف؛ فقيل مذكور وهو قوله ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [فصلت] وهو قول أبي عمرو بن العلاء في حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبي بردة؛ سئل بلال في مجلسه عن هذا فقال: لم أجد لها نفاذاً. فقال له أبو عمرو: إنه منك لقريب [٤٩٤/ب] «أولئك ينادون» وقاله الحوفي. ويردّ على هذا القول كثرة

(١) انظر تفسير الآية ١٨٠ من الأعراف.

الفصل، وأنه ذكر هناك من تكون الإشارة إليهم وهو قوله ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ[1] أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ﴾. وقيل محذوف، وخبر إنّ يُحذف لفهم المعنى.

وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو: معناه في التفسير: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وإنه لكتاب. فقال له عيسى: أجدت يا أبا عثمان.

وقال قوم: تقديره: معاندون أو هالكون.

وقال الكسائي: قد سدّ مسدّه ما تقدّم من الكلام قبل «إنّ» وهو قوله «أفمن يلقى في النار» انتهى.

كأنه يريد: دلّ عليه ما قبله، فيمكن أن يقدّر: يخلَّدون في النار. ويجوز أن يكون خبر «إن» قوله «لا يأتيه [الباطل]» تكون الألف واللام نابت عن الضمير أي: لا يأتيه[2] باطلهم.

ولمّا ذكر تعالى الملحدين في آياته وأنهم لا يخفون عليه، والكافرين بالقرآن، ذكر ما دلّ على تعنّتهم[3] وما ظهر من تكذيبهم، وقولهم: هلاّ نزل بلغة العجم فقال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا﴾ أي: لا يُفصح ولا تبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم أو بلغة غير العرب، لم يتركوا الاعتراض والتّعنت ولقالوا ﴿لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي: بُيِّنَتْ لنا وأُوضِحَتْ حتى نفهمها.

---

(١) ق: والذين في قلوبهم عمى.

(٢) ق: يأتيهم.

(٣) ق: بعنتهم.

وقرىء: آعجمي، بهمزة الاستفهام بعدها مدّة هي همزة أعجمي. وقرىء: أعجمي، على الخبر. وهما بدل من قوله «آياته».

﴿قُلْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿هُدًى﴾ أي: إرشاد إلى الحق. ﴿وَشِفَآءٌ﴾ أي: لما في الصدور من الظن والشّك.

والظاهر أنّ «والذين لا يؤمنون» مبتدأ، و«في آذانهم وقر» في موضع الخبر. «وهو عليهم عمى» خبر ثانٍ. والظاهر أن الضمير في «وهو» عائد على القرآن، وقيل[1]: يعود على الوقر. «أولئك» إشارة لـ«الذين لا يؤمنون».

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ
وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن
شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا
يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ
رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ
إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو
دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ
مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى من عمل صالحاً، كان في ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة، فكأن سائلاً قال: متى ذلك؟ فقيل: لا

---

(١) ق: القرآن وهو يعود.

يعلمها إلا الله تعالى. «وما تخرج[١]» «ما» نافية. و«من ثمرات» «من» زائدة، و«ثمرات»[٢] فاعل. «من أكمامها» في موضع الصفة. «إلا بعلمه» استثناء بعد النفي، و«بعلمه» في موضع الحال؛ أي: لا تخرج ولا تحمل ولا تضع[٣] إلا ملتبساً ذلك بعلمه، فالباء في «بعلمه» للحال.

﴿وَظَنُّوا۟﴾ أي: أيقنوا. ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: من حيدة ورواغ عن العذاب.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ هذه الآيات نزلت في كفار [قريش] قيل في الوليد بن المغيرة، وقيل في عتبة بن ربيعة.

﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ أي: الفقر والضّيقة. ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ أي: فهو يؤوس قنوط.

وأتى بهما صيغتي مبالغة. واليأس من صفة القلب، وهو أن يقطع رجاءه من الخير. والقُنوط أن تظهر عليه آثار اليأس، فيتضاءل وينكسر. وبدأ [٤٩٥/أ] بصفة القلب، لأنها هي المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا﴾ سمّى النعمة رحمة إذ هي من آثار رحمة الله.

﴿مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ أي: ضرّ. ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ أي: بسعيي واجتهادي.

﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ[٤] إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: ولئن كان كما أخبرتِ الرُّسُلُ. ﴿إِنَّ

---

(١) ق: يخرج.

(٢) ق: ثمرة، في الموضعين.

(٣) ق: لا يخرج ولا يحمل ولا يضع.

(٤) ق: رددت.

[لِي] ﴿عِندَهُۥ﴾ أي: عند الله. ﴿لَلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ أي: الحالة الحسنى من الكرامة والنّعمة، كما أنعم عليّ في الدنيا. وأكّدوا ذلك باليمين وبتقديم «لي» و«عنده» على اسم إنّ، وبدخول لام التوكيد عليه أيضاً، وبصيغة «الحسنى» مؤنث الأحسن الذي هو أفعل التفضيل، ولم يقولوا: للحسنة أي: للحالة الحسنة.

﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا﴾ تقدم الكلام عليه في سبحان[١]، إلاّ أنّ في آخر تلك ﴿كَانَ يَـُٔوسٗا﴾ وفي آخر هذه ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾ أي: فهو ذو دعاء بإزالة الشرّ عنه وكشف ضرّه. والعرب تكني بالطول والعرض عن الكثرة؛ يقال: أطال فلان في الكلام، وأعرض في الدعاء، إذا أكثر، أي: مدّ وتضرّع واستغاث[٢]. وذكر تعالى في هذه الآية نوعاً من طغيان الإنسان، إذا أصابه الله بنعمة، أبطرته النعمة، وإذا مسّه الشّر، ابتهل إلى الله تعالى وتضرّع.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ﴾ القرآن من عند الله. أبرزه في صورة الاحتمال، وهو من عند الله بلا شكّ، ولكنه تنزّل معهم في الخطاب. والضمير في «أرأيتم» لكفار قريش. «من أضل» «من» مبتدأ و«أضلّ» خبره، والمعنى: لا أحد أضلّ. وهو في موضع المفعول الثاني لـ«أرأيتم».

ثم توعّدهم بما هو كائن لا محالة فقال ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ فقيل: هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الأقطار حول مكة وفي غير ذلك من الأرض كخيبر.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨٣ من الإسراء.

(٢) ق: واستغاثة.

﴿ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ أراد به فتح مكة، وتضمّن ذلك الإخبار بالغيب[١] ووقع كما أخبر.

و﴿ بِرَبِّكَ ﴾ الباء زائدة، التقدير: أولم يَكْفِ أو يَكْفِهم ربك.

و﴿ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ بدل من ربك. أما حالة كونه مجروراً بالباء، فيكون بدلاً على اللفظ، وأما حالة مراعاة الموضع، فيكون بدلاً على الموضع.

﴿ فِى مِرْيَةٍ[٢] ﴾ أي: في شك. وقرىء بضم الميم وكسرها. وإحاطته تعالى بالأشياء عِلْمُه بها جملة وتفصيلاً، فهو يجازيهم على كفرهم.

---

(١) ق: بالغيث.

(٢) ق: في من به.

سورة الشورى(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾﴾.

﴿حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ الآية، قال ابن عباس: هذه السورة مكية إلا أربع آيات من قوله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ ﴿٢٣﴾﴾ إلى آخر

---

(١) مكية وهي ثلاث وخمسون آية.

الأربع الآيات. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال [٤٩٥/ب] ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت] وكان في ذلك الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا «كذلك» أي: مثل الإيحاء السابق في القرآن الذي كفر به هؤلاء يوحي إليك. أي: أن وحيه تعالى إليك متصل غير منقطع، يتعهدك به وقتاً بعد وقت.

وقرىء: يوحي، مبنيًا للفاعل والجلالة فاعل. [وقرىء: يُوحى، مبنيًا للمفعول والجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، والجلالة فاعل] بفعل محذوف تقديره: يوحي الله.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصناماً وأوثاناً. ﴿اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ أعمالهم ومجازيهم عليها.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي: بمفوض إليك أمرهم ولا قائم. وما في هذا من الموادعة منسوخ بآية السيف[١].

«وكذلك» أي: مثل هذا الإيحاء والقضاء أنك لست بوكيل عليهم، أوحينا إليك قرآنا عربياً. [والظاهر أن «قرآناً» مفعول «أوحينا».

وقال الزمخشري[٢]: الكاف مفعول به لـ«أوحينا»، و«قرآنا عربيًا»] حال من المفعول به أي: أوحيناه إليك، وهو قرآن عربي، لا لبس فيه عليك إذ نزل بلسانك انتهى.

فاستعمل الكاف اسماً في الكلام وهو مذهب الأخفش.

﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ أي: سبب إيحائنا إليك وهو الإنذار، ولا تُكلَّف غيره.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) الكشاف ٣: ٤٦١.

و«أُمَّ القرى» مكة، أي: أهل أم القرى، ولذلك[1] عطف [عليها] «ومن حولها»، والمفعول الثاني محذوف. «ومن حولها» هم العرب. «وتنذر يوم الجمع» والمفعول الأول[2] محذوف، والثاني هو «يوم الجمع» أي: اجتماع الخلائق. والمنذَر [به] هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء، وانقسام الجمع إلى الفريقين، واجتماع الأرواح بالأجساد، وأهل الأرض بأهل السماء، والناس بأعمالهم.

﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ يقال: ذرأ الله الخلق، أي: بثّهم وكثّرهم. وقال ابن عباس: يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها. والضمير في «فيه» عائد على الجعل، أي: يخلقكم ويكثركم في الجعل.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تقول العرب: مثلك لا يفعل هذا، بمعنى أنت لا تفعل هذا[3]، فيكون المعنى في الآية: ليس كهو، أي: كالله شيء. وخرّج على أن الكاف زائدة فكأنه قيل: ليس مثله شيء أي: ليس شيء يماثل الله تعالى. ويجوز أن يكون «مثل» بمعنى الصفة فتكون الكاف باقية على تشبيهها، أي: ليس كصفته شيء من الصفات.

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ

(١) ق: وكذلك.

(٢) ق: الثاني.

(٣) ق: يفعل شيئاً.. تفعل ذلك.

مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ
يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ
مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾
ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ
حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ .

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ الآية، لمّا كان أول الرسل نوحاً عليه السلام وآخرهم محمداً[(١)] ﷺ قال ﴿ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾، ثم أتبع ذلك ما وصّى به إبراهيم إذ كان أبا العرب، وفي ذلك هزٌّ لهم وبعث على اتّباع طريقته وموسى[(٢)] وعيسى صلوات الله عليهم، لأنهما هما اللذان كان أتباعهما موجودين في زمان بعثة رسول الله ﷺ.

والشرائع متفقة في العقائد وفي كثير من الأحكام كتحريم الزنى[(٣)] والقتل بغير حق، والشرائع مشتملة [٤٩٦/ أ] على عقائد وأحكام.

ويقال إن نوحاً عليه السلام أول من أتى بتحريم البنات والأمّهات وذوات

---

(١) ق: محمد.

(٢) ق: طريقة موسى.

(٣) ق: الربا.

المحارم. ومعنى «شرع»: اختار. ويحتمل أن تكون [«أن»] مفسّرة، لأنّ ما قبلها هو بمعنى القول، فلا موضع لها من الإعراب. و«أن» تكون مصدرية فتكون في موضع نصب على البدل من «ما» وما عطف عليها. ثم نهى عن التفرق فيه، لأن التفرق سبب للهلاك، والاجتماع والألفة سبب للنجاة.

﴿ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عَظُمَ وشَقَّ. و«ما» فاعل بـ«كبر».

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟﴾ قال ابن عباس: يعني قريشاً. و«العلم» محمد ﷺ، وكانوا يتمنون أن يبعث إليهم نبيّ، كما قال ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فاطر] يريدون نبيًّا. وقيل: الضمير يعود على أمم الأنبياء؛ جاءهم العلم فطال عليهم الأمد، فآمن قوم وكفر قوم.

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ ﴾ أي: عِدَةُ التأخير إلى يوم القيامة، فحينئذ يقع الجزاء. ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لَجُوزُوا بأعمالهم في الدنيا.

﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ هم بقية أهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله ﷺ.

﴿ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد أسلافهم، أو هم المشركون أُورثوا القرآن من بعد ما أُورث أهل الكتاب التوراة والإنجيل.

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ في إيصال ما أُمرت به إليكم لا أخصّ شخصاً بشيء دون شخص، الشريعة واحدة والأحكام مشترك فيها.

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ أي: قد وضحت الحججُ وقامت البراهينُ وأنتم مَحْجُوجونَ فلا حاجة إلى إظهار حجة بعد ذلك. ﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ أي: يوم القيامة فيفصل بيننا.

وما يظهر في هذه الآية من الموادعة منسوخ بآية السيف[١].

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ﴾ أي: يخاصمون في دينه. قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني إسرائيل، همّت بردّ الناس عن الإسلام وإضلالهم ومحاجّتهم بأن قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيّكم فديننا أفضل، فنزلت[٢] الآية في ذلك.

﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أي: باطلة لا ثبوت لها.

ولما ذكر تعالى الرزق، ذكر حديث الكسب. ولمّا كان الحرث في الأرض أصلاً من أصول المكاسب، استعير لكل مكسب أريد به النّماء والفائدة [في قوله ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾] أي: من كان يريد عمل الآخرة ويسعى لها سعيها. ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ أي: في جزاء حرثه من تضعيف الحسنات. ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنه لم يعمل للآخرة شيئاً. فالجملة الأولى وعد مُنْجَز، والثانية مقيّدة بمشيئته تعالى لمن يشاء ما شاء. وجاء فعل الشرط ماضياً والجواب مجزوماً[٣] كقوله تعالى [٤٩٦/ب] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٥﴾﴾ [هود]. ولا نعلم خلافاً في جواز الجزم، وأنه فصيح مختار إلا ما ذكره صاحب كتاب الإعراب وهو أبو الحكم بن عذرة عن بعض النحويين، أنه لا يجيء في الكلام الفصيح، وإنما يجيء مع كان، لأنها أصل الأفعال، ولا يجيء مع غيرها من الأفعال. ونصّ كلام سيبويه[٤] والجماعة أنه لا يختصّ ذلك بكان، بل سائر الأفعال في

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) انظر القرطبي ١٦: ١٤.

(٣) ق: مجزوم.

(٤) انظر الكتاب ٣: ٦٨.

ذلك مثلها. وأنشد سيبويه كلام الفرزدق(١): [من البسيط]

دسّت رسولاً بأن القوم إن قَدَروا   عليك يَشْفُوا صدوراً ذاتَ توغيرِ

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ
ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ
أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم
مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ الآية، «أم لهم» استفهام تقرير وتوبيخ. لمّا ذكر تعالى أنه شرع للناس ما وصّى به نوحاً، أخذ ينكر ما شرع غيره تعالى. والضمير في «شرعوا» عائد على [الشركاء، وفي «لهم» عائد على] الكفّار المعاصرين للرسول عليه السلام.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: العِدَة بأن الفصل يكون في الآخرة. «لقضي بينهم» في الدنيا.

«ذلك» إشارة إلى ما أعدّ لهم من الكرامة، وهو مبتدأ خبره الموصول،

---

(١) الكتاب ٣: ٦٩، والبيت في ديوانه ١: ٢١٣.

والعائد عليه محذوف، أي: يبشر الله به عباده، حذف حرف الجر فانتصب الضمير ثم حذفه.

قال الزمخشري[١]: أو ذلك التبشير الذي يبشّر الله عباده انتهى.

لا يظهر هذا الوجه، إذ لم[٢] يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليه من بشير أو شبهه. ومن النحويين من جعل «الذي» مصدرية، حكاه ابن مالك عن يونس وتأوّل عليه هذه الآية، أي: ذلك تبشير الله عباده. وليس بشيء، لأنه إثبات للاشتراك بين مختلفي الحدّ بغير دليل. وقد ثبت اسمية «الذي» فلا يعدل عن ذلك بشيء لا يقوم به دليل بل ولا شبهه.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ روي أن الأنصار أتوا رسول الله ﷺ بمالٍ جمعوه وقالوا: يا رسول الله، قد هدانا الله تعالى بك، وأنت ابن أخينا وتعروك حقوق ومالك سعة، فاستعن بهذا على ما ينوبك. فنزلت[٣] الآية فردّه إليهم.

والظاهر أن قوله «إلا المودة» استثناء منقطع، لأن المودّة ليست أجراً. [فالمعنى: لا أسألكم مالاً ولا رئاسة ولكن أسألكم] أن تَرْعَوْا حق قرابتي، وتصدّقوني فيما جئتكم به، وتمسكوا عن أذيّتي وأذيّة من اتّبعني.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أضرب عن الكلام المتقدم من غير إبطال، واستفهم استفهام إنكار وتوبيخ على هذه المقالة، أي: مثله لا يُنسب إليه الكذب على الله مع اعترافكم له قبلُ بالصدق والأمانة.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٦٦.

(٢) ق: لا.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٥١، ولباب النقول ص١٨٨.

﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم حتى لا يشقَّ عليكَ قولُهم إنك مُفْتَرٍ[١].

﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ استئناف إخبار.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ
بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ
وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ
وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟
وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ قال عمرو بن حريث: طلب قوم من أهل الصفّة من الرسول عليه السلام [٤٩٧/أ] أن يغنيهم الله، ويبسط لهم الأموال والأرزاق، فنزلت[٢]. أعلم تعالى أن الرزق لو جاء على اقتراح البشر لكان سبب بغيهم وإفسادهم، ولكنه تعالى أعلم بالمصلحة، فربَّ إنسان لا يصلح ويكتفي شرّه إلا بالفقر وآخر بالغنى.

﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ أي: يقدّر لهم ما هو أصلح لهم.

﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ وهو ما يظهر من آثار الغيث من المنافع والخصب وغير ذلك.

---

(١) ق: مقترح.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٥١.

وقرىء: بما كسبت، بغير فاء. «فما» موصولة بمعنى الذي مبتدأة، والخبر محذوف تقديره: كائن بما كسبت، والباء للسببية و«ما» مصدرية تقديره: بكسب أيديكم. ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي، و«كسبت» صلته، والضمير محذوف تقديره: كسبته.

وقرىء: فبما، بالفاء. فالأحسن أن تكون «ما» شرطية والفاء جواب الشرط، وبعد الفاء محذوف تقديره: فهو، أي: فإصابتها بما كسبت أيديكم. وفي الحديث[١]: «لا يصيب ابن آدم خدش عود أو عثرة قدم ولا اختلاج عِرْقٍ إلا بذنب[٢]، وما يعفو عند أكثر».

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ الآية، «الجواري» هي السفن جمع جارية وهي صفة جرت مجرى الأسماء، فوليت[٣] العوامل. والأعلام هي الجبال واحدها علم، وقالت الخنساء ترثي أخاها[٤]: **[من البسيط]**

وإنّ صخراً لتأتمّ الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ أي: يقمن، قال الزمخشري[٥]: من ظل يظَلُّ ويَظِلُّ نحو ضل يضَلُّ ويَضِلُّ انتهى.

ليس كما ذكر؛ لأن يَضَلّ بفتح العين من ضلِلْت بكسرها في الماضي،

---

(١) أخرجه الترمذي ٩ : ٥ من حديث أبي موسى بألفاظ مقاربة، وانظر صحيح الجامع الصغير ٦ : ٢٤٠.

(٢) ق: ذنب.

(٣) ق: فلويت.

(٤) ديوانها ص٨٠.

(٥) الكشاف ٣ : ٤٧١.

ويضِل بكسرها من ضَلَلْت بفتحها في الماضي، وكلاهما مقيس.

﴿رَوَاكِدَ﴾ أي: ثوابت. ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي: ظهر البحر. ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على بلائه ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمائه.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهنّ أي: الجواري، وهو عطف على «يسكن».

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: علام عطف «يوبقهن»؟. قلت: على «يُسكن»، لأن المعنى: إن يشأ يسكن الريح، فيركدن أو يعصفها، فيغرقن بعصفها انتهى.

لا يتعيّن أن يكون التقدير: أو يعصفها فيغرقن لأن إهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح، بل قد يهلكها الله تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل، أو انكسار لوح يكون سبباً لإهلاكها، أو يعرض [لها] عدوّ يهلك أهلها.

والضمير في «كسبوا» عائد على ركاب السفن، أي: بذنوبهم. أخبره تعالى أنه يعفو عن كثير، أي: لا يؤاخذ بجميع ما اكتسب الإنسان.

وقرأ نافع وجماعة: ويعلمُ، بالرفع عطفاً على «ويعف».

وقرأ الجمهور بالنصب، فقال الكوفيون: هو منصوب بالواو التي تسمّى[2] واو الصرف، وهو أن تصرف الواو عطفه على ما قبله [٤٩٧/ب] من المرفوع.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٧١.

(٢) ق: الذي يسمّى.

وقال ابن عطية في قراءة النصب: وهذه الواو ونحوها، التي يسميها الكوفيون واو الصرف، لأن حقيقة واو الصرف التي يريدونها عطف فعل [على] اسم مقدر بتقدير أنْ، لتكون مع الفعل بتأويل المصدر، فيحسن عطفه على الاسم انتهى.

وليس قوله «لأنّ» تعليلاً لقولهم واو الصّرف؛ إنما هو تقرير لمذهب البصريين. وأما الكوفيون فإن واو الصرف ناصبة بنفسها لا بإضمار أنْ بعدها.

وخرّج الزمخشري النصب على أنه معطوف على تعليل محذوف، قال[1]: تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون. ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن، ومنه قوله تعالى ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴿٢١﴾﴾ [مريم] وقوله ﴿وَخَلَقَ[2] ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية] انتهى.

ويبعد تقديره: لينتقم منهم؛ لأنه ترتّب على الشرط إهلاك قوم ونجاة قوم، فلا يحسن: لينتقم منهم. وأما الآيتان فيمكن أن تكون اللام متعلقة بفعل محذوف أي: ولنجعله آية للناس فَعَلْنا ذلك، ولتجزى كل نفس بما كسبت [فَعَلْنا ذلك]. وهو كثير أن يقدَّر هذا الفعل محذوفاً قبل لام العلّة، إذا لم يكن فعل ظاهر يتعلّق به.

ومذهب البصريين في قراءة النصب أنه بإضمار أنْ فينسبك منها والفعل بعدها مصدر معطوف على مصدر متوهَّم وتقديره: فإظلالهن أو إيباقهنّ

(١) الكشاف ٣: ٤٧٢.

(٢) ق: خلق.

وعِلْم الذين يجادلون. ونظيره قراءة من قرأ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة] بالنصب، ينسبك منه مصدر معطوف على مصدر متوهَّم تقديره في تلك الآية: يكن حساب فمغفرة.

﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ جملة منفية في موضع نصب عُلّق عنها قوله «ويعلم». و«من محيص» «من» زائدة، و«محيص» مبتدأ خبره في الذي قبله.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ
يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم
مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ
مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن
طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم
مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ
يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ
أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾.

وعن علي رضي الله عنه: اجتمع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مال،

فتصدّق به كله في سبيل الله والخير، فلامه المسلمون وخطّأه الكافرون فنزلت[١] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ﴾. والظاهر أنه خطاب للناس وقيل للمشركين. و«ما» شرطية مفعول ثانٍ لـ«أُوتيتم». و«من شيء» تبيين لـ«ما» والمعنى: من شيء من رياش الدنيا ومالها[٢] والسّعة فيها. والفاء جواب الشرط، أي: فهو متاع أي: يُستمتع به في الحياة. ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: من ثوابه وما أعدّ لأوليائه. ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ ممّا أوتيتم لأنه لا انقطاع له.

والعامل في «إذا» «يغفرون» وهي جملة من مبتدأ وخبر، معطوفة على «يجتنبون». ويجوز أن يكون «هم» توكيداً للفاعل في «غضبوا»، فيكون «يغفرون» جواب إذا. وقال أبو البقاء[٣]: «هم» مبتدأ، و«يغفرون» الخبر، والجملة جواب إذا انتهى.

وهذا لا يجوز [٤٩٨/أ] لأن الجملة لو كانت جواب إذا لكانت بالفاء تقول: إذا جاء زيد فعمرٌ منطلق. ولا يجوز حذف الفاء إلا إن ورد في شعر.

والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور، وهو على حذف مضاف أي: وأمرهم ذو شورى بينهم.

«والذين» صلته «هم ينتصرون». و«إذا» معمولة لقوله «ينتصرون».

«إن ذلك» الإشارة بـ«ذلك» إلى ما يفهم من مصدر «صبر وغفر». والعائد على الموصول المبتدأ، من الخبر محذوف؛ أي: إن ذلك منه، لدلالة

(١) انظر القرطبي ١٦ : ٣٥.
(٢) ق: وإمالها.
(٣) إملاء ٢ : ٢٢٥.

المعنى عليه. «لمن عزم الأمور» إن كان «ذلك» إشارة إلى المصدر المفهوم من قوله «ولمن صبر وغفر» لم يكن في «عزم الأمور» حذف. وإن كان «ذلك» إشارة إلى المبتدأ كان هو الرابط، ولا يُحتاج إلى تقدير «منه»؛ وكان في «عزم الأمور» حذف، أي: أنه لمن ذوي عزم الأمور.

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: على النار، دلّ عليها ذكر العذاب. ﴿خَٰشِعِينَ﴾ متضائلين صاغرين بما يلحقهم من الذلّ والصغار. ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ قال ابن عباس: ذليل.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ الظاهر أنّ «وقال» ماضٍ لفظاً ومعنى، أي: وقال الذين آمنوا في الحياة الدنيا. ويكون «يوم القيامة» معمولاً لـ«خسروا».

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

وقدّم تعالى هبة الإناث تأنيساً بهنّ[1] وتشريفاً لهنّ ليُهتمّ بصونهنّ والإحسان إليهن. وفي الحديث[2] «من ابتلي بشيء من هذه البنات، فأحسن

(١) ق: لهن.

(٢) أخرجه الترمذي ٦: ١٦٧ عن عائشة بألفاظ مقاربة، وانظر صحيح الجامع الصغير ٥: ٢٢١.

إليهن كنّ له ستراً من النار».

ولمّا كان العقم ليس بمحمود قال ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ وهو قسيم لمن يولد له. ولما كان[1] الخنثى يُحزن بوجوده، لم يذكره تعالى. قالوا: وكانت الخلقة مستمرة ذكراً وأنثى إلى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى. فسئل فارض العرب ومعمّرها[2] عامر بن الظَّرِب عن ميراثه، فلم[3] يَدْرِ ما يقول فيه، وأرجأهم. فلمّا جن عليه الليل جعل يتقلب وتذهب به الأفكار، وأنكرت خادمه عليه الحالة التي هو فيها فسألتْه فقال: سهرتُ لأمرٍ لا أدري ما أقول فيه. فقالت له: ما هو؟ فقال: شخص له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث؟. قالت له الأمة: ورِّثه من حيث يبول. فعَقَلها، وأصبح فعرضها عليهم فرضُوا[4] بها. وجاء الإسلام على ذلك وقضى بذلك علي كرّم الله وجهه.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ أي: بمصالح العباد. ﴿قَدِيرٌ﴾ على تكوين ما يشاء.

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ بياناً لصورة تكليم الله تعالى عباده، أي: ما ينبغي ولا يمكن إلا [بأن] يوحي إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام، قال مجاهد: أو النَّفث في القلب. قال النقاش: أو وحي في المنام.

وقال النخعي: كان في الأنبياء من يخطّ له في الأرض، أو بأن يسمعه

---

(١) ق: كانت.

(٢) فارض العرب: مسنّها. ومعمّرها: لأنه عاش ثلاث مئة سنة فيما يقال. ويمكن أن تُقرأ: فريض العرب، وهو العالم بتقسيم المواريث نسبة إلى الفريضة.

(٣) ق: فلا.

(٤) ق: فصرحوا، ولعلها محرفة عن: ففرحوا.

كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيّزاً كموسى عليه [٤٩٨/ب] السلام وهذا معنى ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أي: من خفاء عن المتكلم لا[١] يحده، ولا يتصوره بذهنه وليس كالحجاب في المشاهَد[٢]، أو بأن يرسل إليه [ملكاً] يشافهه بوحي الله تعالى.

«إنه [عَلِيٌّ]» عن صفات المخلوقين. ﴿حَكِيمٌ﴾ تجري أفعاله على ما تقتضيه الحكمة، يكلّم بواسطة وبغير واسطة.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء المفصّل أوحينا إليك؛ إذ كان عليه السلام اجتمعت [له] الطرق الثلاث: النّفث في الرّوع والمنام، وتكليم الله له حقيقة ليلة الإسراء، وإرسال رسول إليه وهو جبريل عليه السلام.

﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي﴾ قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان.

﴿وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورًا﴾ يحتمل أن يعود إلى قوله «روحاً» وإلى «الكتاب» وإلى «الإيمان» وهو أقرب مذكور.

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقولك: زيد يعطي ويمنع، أي: من شأنه ذلك، ولا يراد به حقيقة المستقبل؛ إذ جميع الأمور صائرة إليه على الدوام.

(١) ق: ولا.
(٢) ق: الشاهد.

سورة الزخرف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ
تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ
ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم
بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ
فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ
بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ
وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ
وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ
مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ
مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي
ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ
خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم
بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ

---

(١) مكية، وهي تسع وثمانون آية.

مُّسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ ﴾ أي: صيّرناه وهو جواب القسم، وهو من الأقسام الحسنة لتناسب القسم والمقسم عليه، وكونهما من وادٍ واحد. «والكتاب» القرآن. و«أم الكتاب» اللوح المحفوظ. وهذا فيه تشريف للقرآن وترفيع بكونه[1] لديه عليًّا على جميع الكتب وعالياً عن جميع وجوه الفساد، حكيماً أي: حاكماً على سائر الكتب. وقرىء: إم، بكسر الهمزة.

﴿ أَفَنَضْرِبُ ﴾ قال ابن عباس: المعنى: أفنترك تذكيركم وتخويفكم عفواً عنكم وعفواً عن إجرامكم إذ كنتم. لمّا ذكر خطاباً لقريش «أفنضرب عنكم الذكر» وكان هذا الإنكار دليلاً على تكذيبهم للرسول عليه السلام وإنكاراً لما جاء به - آنسه الله تعالى بأن عادتهم عادة الأمم السابقة من استهزائهم بالرسل، وأنه تعالى أهلك من كان أشدّ منهم بطشاً، أي: أكثر عَدداً وعُدداً وجلداً.

﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فليحذر قريش أن يحلّ بهم مثل ما حلّ بالأولين مكذّبي الرسل من العقوبة.

---

(١) ق: تكونه.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ احتجاج على قريش بما يوجب التناقض وهو إقرارهم بأن موجد العالم العلوي والسفلي هو الله تعالى، ثم هم يتّخذون أصناماً آلهة من دون الله يعبدونها. والظاهر أنّ ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ[٤٩٩/ أ] ٱلْعَلِيمُ﴾ هو نفس المحكي من كلامهم، ولا يدلّ كونهم ذكروا في مكانٍ: خلقهنّ الله[1]، أن لا يقولوا في سؤال آخر «خلقهن العزيز العليم».

و﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ﴾ هو من كلام الله تعالى خطاباً لهم بتذكير نعمه السابغة. وكرر الفعل في الجواب في قولهم «خلقهن العزيز العليم» مبالغةً في التوكيد. وفي غيرها اقتصروا على ذكر اسم الله تعالى؛ إذ هو العلم الجامع للصفات العُلا. وجاء الجواب مطابقاً للسؤال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، لأنّ «من» مبتدأ، فلو طابق باللفظ لكان بالاسم مبتَدأً، ولم يكن بالفعل.

﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى مقاصدكم في السفر.

﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أي: أحيينا. ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ ذكّر على معنى القطر، و«بلدة» اسم جنس.

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ تقدم قوله «ما تركبون» وهي موصولة، ويراعى فيها اللفظ والمعنى. فمراعاة المعنى في قوله «ظهور» حيث جمع، ومراعاة اللفظ حيث أضاف الظهور إلى الضمير المفرد. وكذا فيما بعد ذلك في قوله «عليه» وفي الإشارة في قوله «هذا». وجاء في الحديث[2] «أنه عليه السلام كان إذا وضع رجله في الركاب قال: باسم الله. فإذا استوى على الدابّة قال: الحمد لله على كل حال، سبحان الذي سخّر لنا هذا، إلى قوله «لمنقلبون» وكبّر

---

(١) انظر مثلاً الآية ٦١ من العنكبوت.

(٢) أخرجه الترمذي ٩: ١٣٩ من حديث علي بن ربيعة.

ثلاثاً وهلّل ثلاثاً». والمقرن: الغالب الضابط المطيق للشيء، يقال: أقرن الشيء إذا أطاقه. والقَرَن: الحبل الذي يقرن به.

﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ﴾ أي: كفار قريش والعرب. «له» أي: لله. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ أي: ممّن هم عبيد الله. ﴿جُزْءًا﴾ أي: نصيباً، وهو قولهم: الملائكة بنات الله.

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ﴾ استفهام إنكار وتوبيخ[1] لقلّة عقولهم كيف زعموا أنه تعالى اتّخذ لنفسه ما أنتم تكرهونه. ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ جعل لكم صفوة ما هو محبوب لكم، وذلك هو البنون.

وقوله ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ تنبيه على استحالة الولد ذكراً كان أو أنثى.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ أي: ينتقل في عمره حالاً فحالاً في الحلية، وهو الحَلْي الذي لا يليق إلا بالإناث دون الرجال لتَزَيُّنهن بذلك لأزواجهن، وهو إن خاصم، لا يبينُ لضعفِ العقل ونقصِ التدبُّرِ والتأمّل.

أظهر بهذا تحقيرهن وشفوف[3] البنين عليهن. وكان في ذلك إشارة إلى أن الرجل لا يناسب له التّزين كما للمرأة، وأن يكون مخشوشناً.

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ الآية، لم يكفهم أن جعلوا لله ولداً [حتى] جعلوه أنثى، وجعلوهم من الملائكة، وهذا من جهلهم بالله تعالى وصفاته، واستخفافهم بالملائكة، حيث نسبوا إليهم الأنوثة. وقرىء:

---

(١) ق: وتوضيح.

(٢) انظر تفسير الآية ٥٨ من النحل.

(٣) في الصحاح «شفف»: أشففت بعض ولدي على بعض: فضّلتهم.

عند الرحمن، ظرفاً. وهذا [٤٩٩/ب] الاستفهام فيه تهكّم بهم، والمعنى إظهار فساد عقولهم، وأنّ دعاويهم مجرّدة عن الحجّة.

﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

ولمّا نفى عنهم عِلْمَ ترك عقابهم على عبادة غير الله - أي: ليس يدل على ذلك عقل - نفى أيضاً أن يدلّ على ذلك سمع، فقال ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا﴾ من قبل نزول القرآن، أو من قبل إنذار الرسول عليه السلام، يدلّ على تجويز عبادتهم غير الله، وأنه لا يترتّب على ذلك عقاب إذ هو وفق المشيئة. ﴿فَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك الكتاب.

﴿مُسْتَمْسِكُونَ﴾ في عبادة غير الله وانتفاء الإثم على ذلك.

ثم أخبر تعالى أنهم مقلّدون في ذلك لآبائهم، ولا دليل لهم من عقل ولا نقل.

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: [على] طريقة ودين وعادة، فقد سلكنا مسلكهم، ونحن مهتدون في اتّباع آثارهم.

والظاهر أن الضمير في «قال» أو في «قل»[٢] للرسول، أي: قل يا محمد لقومك: أتتّبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من الدين الذي وجدتم عليه آباءكم؟. وهذا تجهيل لهم حيث يقلّدون، ولا ينظرون في الدلائل. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أي: أنت والرسل قبلك، غلّب الخطاب على الغيبة.

﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بالقحط والقتل والسبي والجلاء، فانظر كيف كان عاقبة

---

(١) انظر تفسير الآية ١٤٨ من الأنعام.

(٢) وهي قراءة الجمهور، انظر البحر ٨: ١١.

من كذّبك.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى
فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ
هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ
وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ
بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾
وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن
فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾
وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾
وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ
ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ
مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا
عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ
لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا
مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ ذكّر العرب بحال جدّهم الأعلى، ونهيه عن عبادة غير الله، وإفراده بالتوحيد والعبادة، هزّاً لهم، ليكون لهم رجوع إلى دين جدّهم، إذ كان أشرف آبائهم والمُجْمَع على محبته، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقلّد أباه في عبادة الأصنام، فينبغي أن تقتدوا به في ترك تقليد آبائكم الأقربين، وترجعوا إلى النظر واتّباع الحق.

وقرأ الجمهور: بَراء، وهو مصدر يستوي فيه المفرد والمذكر ومقابلهما؛ يقال: نحن البراء منك. وقرىء بضم الباء. وقرىء بفتح الباء وكسر [الراء: بَرِيء].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ استثناء منقطع، إذ كانوا لا يعبدون الله مع أصنامهم.

وأجاز الزمخشري[1] أن يكون «الذي» مجروراً بدلاً من المجرور بـ«مِن» كأنه قال: إنني براء ممّا تعبدون إلا من الذي. وأن تكون «إلا» صفة بمعنى غير، على أنّ «ما» في «ما تعبدون» نكرة موصوفة، تقديره: إنني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني، فهو نظير قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء] انتهى.

فوجه البدل لا يجوز، لأنه إنما يكون في غير الموجب من النفي والنّهي والاستفهام؛ ألا ترى أنه يصلح ما بعد إلاّ لتفريغ العامل له، و«إنني براء» جملة موجبة، فلا يصحّ أن يفرّغ العامل فيها الذي هو «براء» لما بعد إلاّ. وغرّ الزمخشري كون «براء» فيه معنى الانتفاء، [٥٠٠/أ] ومع ذلك فهو موجب، لا يجوز أن يفرّغ لما بعد إلاّ. وأمّا تقديره «ما» نكرة موصوفة[2]، ولم يُبقها موصولة لاعتقاده أنّ «إلا» لا تكون صفة إلاّ لنكرة. وهذه المسألة فيها خلاف: من النحويين من قال: توصف بها النكرة والمعرفة. فعلى هذا تبقى «ما» موصولة، وتكون «إلا» في موضع الصفة للمعرفة.

﴿ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ تنبيه على أنه لا يستحق العبادة، ولا يُعبد إلا الخالق.

﴿ فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ أي: يُديمُ هدايتي.

---

(١) ق: أجاز. الكشاف ٣: ٤٨٤.

(٢) ق: موصولة.

والضمير في «وجعلها» المرفوع عائد على «إبراهيم» وقيل على الله تعالى. والضمير المنصوب عائد على كلمة التوحيد التي تكلّم بها وهي قوله ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾.

والإشارة بـ«هؤلاء» لقريش ومن كان من عقب إبراهيم عليه السلام من العرب. لمّا قال ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال تعالى: لكن متّعت هؤلاء وأنعمت عليهم على كفرهم، فليسوا ممّن بقيت كلمة التوحيد فيهم. ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ وهو القرآن. ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ هو محمد ﷺ.

والضمير المرفوع في «وقالوا» لقريش، كانوا قد استبعدوا أن يرسل الله تعالى رسولاً من البشر، واستفاض عندهم أمر إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين. فلمّا لم[1] يكن لهم في ذلك مدفع، ناقضوا فيما يخصّ محمداً ﷺ فقالوا: لِمَ كان محمداً ولَم يكن القرآن ينزل على رجل من القريتين عظيم؟ أشاروا إلى من عَظُم قدره بالسنّ والقِدَم والجاه وكثرة المال. [من القريتين] أي: من إحدى القريتين وهما مكّة والطائف. قال ابن عباس: والذي من مكة الوليد بن المغيرة المخزومي، ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. وكان الوليد بن المغيرة يسمّى ريحانة قريش، وكان يقول: لو كان ما يقول محمد حقًّا لنزل عليّ.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ فيه توبيخ وتعجيب من جهلهم، كأنه قيل: أَعَلى اختيارهم وإرادتهم تقسم الفضائل من النبوّة وغيرها؟. ثم في إضافته في قوله «رحمة ربك» تشريف له صلى الله عليه وسلم، وأنّ هذه الرحمة التي حصلت لك ليست إلا من ربّك المصلح لحالك. ثم أخبر تعالى أنه هو الذي قسم

---

(١) ق: أجمعين فلم.

المعيشة بينهم، فلم يحصل لأحد إلا ما قسمه الله تعالى [له]. وإذا كان تعالى هو الذي تولّى ذلك وفاوت بينهم، وذلك في الأمر الفاني، فكيف لا يتولّى ذلك في الأمر الخطير وهو إرسال من يشاء وتنبيء من يشاء. فليس لكم أن تتخيروا من يصلح لذلك، بل أنتم عاجزون عن تدبير أموركم.

وفي قوله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم﴾ تزهيد في الإكباب على طلب الدنيا، وعون على التوكّل على الله تعالى. وقال مقاتل: فاضلنا بينهم، فمن رئيس ومرؤوس. وأنشد الشافعي[1] رضي الله عنه: [من الكامل]

[[2] ومن الدليل على القضاء وكونِه   بؤسُ الفقير وطِيبُ عَيْشِ الأحمقِ

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ قيل: الجنة، وقيل غير ذلك. ﴿خَيْرٌ﴾ مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا. وفي هذا اللفظ تحقير للدنيا وما جمع فيها من متاعها.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ولولا أن يرغب الناس في الكفر، إذا رأوا الكافر في سعة، ويصيروا أمة واحدة في الكفر، قاله ابن عباس وغيره، لأعطيناهم من زينة الدنيا كذا وكذا، ولكنه تعالى اقتضت حكمته أن يغني ويفقر الكافر والمؤمن.

وقال ابن عطية: واللام في «لمن يكفر» لام الملك، وفي «لبيوتهم» لام تخصيص، كما تقول: هذا الكساء لزيد لدابّته، أي: هو لدابّته حِلْس ولزيد ملك انتهى.

ولا يصحّ ما قاله لأن «لبيوتهم» بدل اشتمال أعيد معه العامل، فلا يمكن

(١) ديوانه ص٦٥.

(٢) بداية ورقة ساقطة في ق: ٥٠٠/ب، ٥٠١/أ. وأكمل النقص من المطبوع.

من حيث هو بدل أن تكون اللام الثانية إلا بمعنى اللام الأولى، أمّا أن يختلف المدلول فلا. واللام في كليهما للتخصيص.

وقرىء: سُقُفاً على الجمع كرَهْن ورُهُن، وعلى الإفراد. ﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع مَعْرَج وهي المصاعد إلى العلاليّ. ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أي: يعلون السطوح.

وقال الزمخشري(١): سقوفاً ومصاعد وأبواباً وسُرراً كلّها من فضة انتهى.

كأنه يرى اشتراك المعاطيف في وصف ما عطفت عليه. ولا يتعيّن أن توصف المعاطيف بكونها من فضة.

والزخرف هنا الذهب قاله ابن عباس. وفي الحديث(٢) «إياكم والحمرة فإنها من أحب الزّينة إلى الشيطان». وقال الشاعر(٣): [من الكامل]

وصبغت درعك من دماء كماتهم   لمّا رأيت الحسنَ يُلبس أحمرا

«وإن كل» فـ«إنْ» مخففة من الثقيلة، واللام الفارقة بين الإيجاب والنفي و«ما» زائدة. و«متاع» خبر «كلّ». وقرىء: لمّا، بمعنى إلاّ، فـ«إنْ» نافية. ﴿وَٱلْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: ونعيم الآخرة، وفيه تحريض على التقوى.

﴿وَمَن يَعْشُ﴾ أي: يَعْمَ. ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وهو القرآن كقوله ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة]. ﴿نُقَيِّضْ﴾ أي: نهيّىء ونيسّر. وهذا عقاب على الكفر بالختم وعدم الفلاح.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٨٧.

(٢) ضعيف، أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين، انظر ضعيف الجامع الصغير ٢:٢٥٦.

(٣) لم أجده.

والظاهر أن ضمير النصب في «وإنهم ليصدونهم» عائد على «مَن» على المعنى. أعاد أولاً على اللفظ في إفراد الضّمير، ثم أعاد على المعنى. والضمير في «ليصدونهم» عائد على «شيطان» وإن كان مفرداً لأنه مبهم في جنسه، ولكل عاشٍ شيطان قرين فجاز أن يعود الضمير مجموعاً.

وقرىء: جاءانا، على التثنية، أي: العاشي والقرين، أعاد على لفظ مَن ولفظ الشيطان القرين، وإن كان من حيث المعنى صالحاً للجمع. وقرىء: جاءنا، على الأفراد، والضمير عائد على لفظ «مَن»؛ أعاد أولاً على اللفظ ثم جمع على المعنى ثم أفرد على اللفظ.

«قال» أي: الكافر للشيطان. ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ تمنّى لو كان ذلك في الدنيا حتى لا يصدّه عن سبيل الله، أو تمنّى ذلك في الآخرة وهو الظاهر، لأنه جواب «إذا» التي للاستقبال. [و«المشرقين»] أي: مشرقي الشمس: مشرقها في أقصر يوم من السنة ومشرقها في أطول يوم من السنة.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾ مبالغة منه في ذمّ قرينه إذ كان سبب إيراده النار. والمخصوص بالذّم محذوف تقديره: فبئس القرين أنت.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ حكاية حال تقال لهم يوم القيامة، وهي مقالة موحشة، حرمتهم روح التأسّي، لأنه وقَفَهم بها على أنه لا ينفعهم التأسّي لعظم المصيبة وطول العذاب واستمرار مدّته، إذ التأسّي راحة كل مصاب في الدنيا في الأغلب.

قال الزمخشري[١]: و«إذ» بدل من «اليوم» انتهى.

---

(١) الكشاف ٣: ٤٨٩. والنص التالي تبع له.

وحمل ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ على معنى: إذ تبيّن ووضح ظلمكم، ولم يبق لأحدٍ ولا لكم شبهة في أنكم كنتم ظالمين. «ونظيره قوله[1]: [من الطويل]

إذا مـا انتسبنـا لـم تلـدنـي لئيمـة . [ولم تجدي من أن تقرّي بها بُدّا]

أي: تبيّن[2] أني ولد كريمة» انتهى.

ولا يجوز فيه البدل على بقاء «إذ» على موضوعها من كونها ظرفاً لما مضى من الزّمان، فإن جعلت لمطلق الوقت جاز.

وتخريجها على البدل أخذه الزمخشري من ابن جنّي؛ قال في مساءلته أبا علي: راجعتُه مراراً فيها، وآخر ما حصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، فتكون «إذ» بدلاً من «اليوم» حتى كأنها مستقبلة أو كأن «اليوم» ماضٍ.

وقيل: التقدير: بعد إذ ظلمتم، فحذف المضاف للعلم به. وفاعل «ينفعكم» الاشتراك.

ولمّا كانت حواسُّهم لم ينتفعوا بها، أعاد الضمير عليهم في قوله ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ ولم يجرِ لهم ذكر إلا في قوله ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ والمعنى: إن قبضناك قبل نصرك عليهم فإنّا منهم منتقمون في الآخرة.

﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ أي: هم في قبضتنا لا يفوتوننا.

ولمّا ردّد تعالى بين حياته وموته صلى الله عليه وسلم أمره بأن يستمسك

---

(١) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي، انظر تنزيل الآيات ص٣٨٠.

(٢) ق: يتبيّن.

بما أوحاه إليه.

«وإنه» أي: وإن ما أوحينا إليك. ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ أي: شرفٌ، حيث نزل عليهم وبلسانهم وجعل سائر الناس تبعاً لهم. والقوم على هذا قريش ثم العرب.

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا﴾ الظاهر أنه خطاب للسّامع الذي يريد أن يفحص عن الديانات، فقيل له: اسأل أيها الناظر أتباع الرّسل، أجاءتهم[1] الرسّل بعبادة غير الله، فإنهم يخبرونك أن ذلك لم يقع، ولا يمكن أن يأتو به قبلك، أي: قبل بعثة رسولك أيها السامع، وعلّق «واسأل» فارتفع «مَن» وهو اسم استفهام على الابتداء، و«أرسلنا» خبره والجملة في موضع نصب بـ«اسأل» بعد إسقاط الخافض، كأنّ سؤاله: من أرسلت][2] [٥٠١/ب] ياربّ قبلي من رسلك أجعلت في رسالته [آلهَة] تُعبد؟. ثم سألهم السؤال فحكى المعنى، فردّ الخطاب إلى محمد في قوله «من قبلك».

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ
أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ
لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ
يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ
ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ
يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) ق: جاءتهم.

(٢) نهاية السقط في ق.

مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الآية، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ قبله كلام محذوف تقديره: فطالبوه بما يدلّ على صحّة دعواه الرسالة من الله تعالى، فلما جاءهم بآياتنا. ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ أي: فاجأهم الضحك بحيث لم يفكّروا، ولم يتأمّلوا، بل بنفس ما رأوا ذلك، ضحكوا سخرية واستهزاءً كما كانت قريش تضحك.

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف جاز أن تجاب «لمّا» بإذا المفاجأة؟. قلت: لأن فعل المفاجأة معها مقدّر، وهو عامل النصب في محلّها كأنه قيل: فلما جاءهم بآياتنا، فاجؤوا وقت ضحكهم انتهى.

ولا نعلم نحويًّا ذهب إلى ما ذهب إليه هذا الرجل من أن إذا الفجائية تكون منصوبة بفعل مقدّر تقديره فاجأ، بل المذاهب فيها ثلاثة: مذهب أنها[2] حرف فلا تحتاج إلى عامل، ومذهب أنها ظرف مكان، فإن صرّح بعد الاسم بعدها بخبرٍ له، كان ذلك الخبر عاملاً فيها نحو: خرجت فإذا زيد قائم. فقائم ناصب لإذا، كأنّ التقدير: خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم. ومذهب[3] أنها ظرف زمان والعامل فيه الخبر أيضاً كأنه قال: ففي الزمان الذي خرجت فيه زيد قائم. وإن لم يُذكر بعد الاسم خبر، أو ذكر

(١) الكشاف ٣: ٤٩٠.
(٢) ق: بأنها.
(٣) فوقها في ق: كذا.

اسم منصوب على الحال، كانت «إذا» خبراً[١] للمبتدأ. فإن كان المبتدأ جثّة وقلنا: إذا ظرف مكان، كان الأمر واضحا. وإن قلنا ظرف زمان كان الكلام على حذف أي: ففي الزمان حضور زيد.

وما ادّعاه الزمخشري من إضمار[٢] فعل المفاجأة لم يُنطق به ولا في موضع واحد.

ثم المفاجأة التي ادّعاها لا يدل المعنى على أنها تكون من الكلام السابق؛ بل المعنى يدلّ على أن المفاجأة تكون من الكلام الذي فيه إذا، تقول: خرجت فإذا الأسد، فالمعنى: ففاجأني الأسد، وليس المعنى: ففاجأت الأسد.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كانت آياته من كبار الآيات، وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها. فعلى هذا يكون ثَمَّ صفة محذوفة، أي: من أختها السابقة عليها. ولا يبقى في الكلام تعارض، ولا يكون ذلك الحكم في الآية الأولى، لأنه لم يسبقها شيء، فتكون أكبر منه. وقيل: الأولى تقتضي علماً، والثانية تقتضي علماً منضمًّا إلى علم الأولى، فيزداد الرجوح[٣]. ومعنى «أختها» مناسبتها، تقول: هذه الدرّة أخت هذه، أي: مناسبتها.

﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ خطاب استهزاء وانتقاص. ويكون قولهم ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: على زعمك وقولك. و﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ إخبار[٤] غير مطابق

(١) ق: خبر.

(٢) ق: إطلاق.

(٣) ق: الرجوع.

(٤) ق: اختار.

[٥٠٢/أ] معلّق على شرط دعائه وكشف العذاب عنهم، وعهد معزوم على نكثه، ألا ترى إلى قوله ﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾؟. وقوله ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ يحتمل أن يكون من أنّ دعوتك مستجابة.

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾ جعل القوم محلاً للنّداء. والظاهر أنه نادى عظماء القبط في محلّه الذي هو وهم يجتمعون [فيه] فرفع صوته فيما بينهم، لتنتشر[1] مقالته في جميع القبط. وسبب ندائه ذلك، أنّه لمّا رأى إجابة الله تعالى دعوة موسى عليه السلام، ورَفْع العذاب [عنهم] خاف ميل القلوب إليه، فنادى فقال ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أراد أن يبيّن فضله على موسى عليه السلام بملك مصر، وهي من اسكندرية إلى أسوان.

﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: الخلجان التي تخرج من النيل وأعظمها نهر الملك ونهر طولون ونهر تَنّيس[2] ونهر دمياط. والواو في «وهذه الأنهار» واو الحال. و«تجري» خبر. و«الأنهار»[3] صفة أو عطف بيان.

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي وقدرتي وعجز موسى.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾ الظاهر أنها «أم» المنقطعة المقدّرة ببل والهمزة، أي: بل أأنا خيرٌ. وهو إذا استفهمهم أهو خير ممّن هو ضعيف لا يكاد يفصح عن مقصوده إذا تكلّم، وهو الملك المتحكّم فيهم - قالوا له بلا شكّ أنت خير.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ قال مجاهد: كانوا إذا سوّدوا رجلاً، سوّروه بسوارين، وطوّقوه بطوق من ذهب علامة لسؤدده. فقال فرعون: هلاّ

(١) ق: لينشر.

(٢) ق: نيس، وانظر الروض المعطار ص١٣٧.

(٣) ق: وهذه الأنهار.

ألقى ربّ موسى عليه أساورة[١] من ذهب، إن كان صادقاً، فكان ذلك دليلاً على إلقاء مقاليد الملك إليه؟. لمّا وصف نفسه بالملك والعزة ووصفه[٢] بالضعف وقلّة الأعضاد، اعترض فقال: إن كان صادقاً فهلاّ ملّكه ربه وسوّره، وجعل الملائكة أنصاره؟. وقرىء: أَسْوِرة.

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ﴾ أي: استجهلهم لقلّة أحلامهم.

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ هو على حذف مضاف، قال ابن عباس: أحزنوا أولياءنا المؤمنين.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ قال ابن عباس: متقدّمين إلى النار.

﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ أي: حديثاً عجيب الشأن سائراً مسيرا لمثل يحدَّث به الآخِرون من الكفّار يقال لهم: مَثَلكم مَثَل قوم فرعون.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ

---

(١) قرىء: أساورة، انظر البحر ٨: ٢٣.

(٢) ق: وصفه.

يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية، لمّا ذكر طرفاً من قصة موسى عليه السلام، ذكر طرفاً من قصة عيسى. وعن ابن عباس وغيره: لما نزل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران] ونزل كيف خُلق من غير فحل قالت قريش: ما أراد محمد من ذكر عيسى إلا أن نعبده نحن كما عبدت النصارى عيسى. فهذا كان صدودهم من ضربه مثلاً.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ هذا [٥٠٢/ب] الاستفهام يتضمن أن آلهتهم خير من عيسى.

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ أي: ما مثّلوا هذا التّمثيل إلاّ لأجل الجدل والغلبة والمغالطة، لا لتمييز الحق واتّباعه. وانتصب «جدلاً» على أنه مفعول من أجله، وقيل مصدر في موضع الحال.

﴿خَصِمُونَ﴾ شديد الخصومة واللجاج. والظاهر أن الضمير في «أم هو» لعيسى عليه السلام لتناسق الضمائر في قوله ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا﴾ قال بعض النحويين: «مِن» تكون للبدل أي: لجعلنا بدلكم ملائكة، وجعل من ذلك قوله تعالى ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة] أي: بدل الآخرة، ومنه قول الشاعر[1]: [من الكامل]

أخذوا المخاض من الفصيل غُلُبَّةً ظلماً ويُكتب للأمير إفالا

---

(١) البيت للراعي في ديوانه ص١٤٢ برواية مختلفة. وروايته هنا كروايته في الخزانة ٣: ١٣٠. والأفيل من الإبل: الصغير، وجمعه إفال.

أي: بدل[١] الفصيل. ويجوز أن تكون «مِن» هنا للتعليل على حذف مضاف تقديره: من أجلكم.

﴿يَخْلُفُونَ﴾ أي: يكونون خلفاءكم، وقيل: يخلف بعضهم بعضاً.

والظاهر أن الضمير في ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود على عيسى، إذ الظاهر في الضمائر السابقة أنها عائدة عليه. وقرأ ابن عباس وجماعة: لعَلَم، أي: لعلامة للساعة تدلّ على قرب قيامها، إذ خروجه شرط من أشراطها، وهو نزوله من السماء في آخر الزمان.

﴿وَٱتَّبِعُونِۚ﴾ أي: هداي.

﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات، أو بآيات الإنجيل الواضحات. ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ أي: بما تقتضيه الحِكمةُ الإلهيّة من الشرائع. ﴿وَلِأُبَيِّنَ﴾ متعلّق بـ«جئتكم». ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ من أمر الديانات.

والضمير في ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْۖ﴾ عائد على مَنْ خاطبهم عيسى عليه السلام في قوله «قد جئتكم بالحكمة» وهم قومه المبعوث إليهم.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ تقدم الكلام عليه[٢].

«هل ينظرون» الضمير لقريش. و«أن تأتيهم» بدل من «الساعة» أي: إتيانها إيّاهم.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ﴾ قيل: نزلت[٣] في أبيّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط.

---

(١) ق: نزل.

(٢) انظر تفسير الآية ٣٧ من مريم.

(٣) انظر القرطبي ١٦: ١٠٩.

والتنوين في «يومئذ» عوض من الجملة المحذوفة، أي: يوم إذ تأتيهم الساعة.

﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ صفة لـ«يا عبادي».

﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ تُسَرُّون سروراً يظهر حباره أي: أثره عل وجوهكم.

والضمير في «وفيها» عائد على «الجنة».

﴿ مَا تَشْتَهِيهِ[1] ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ هذا حصرٌ لأنواع النعم، لأنها إما مشتهاة في القلب وإمّا مستلذّة في العيون.

«وتلك الجنة» مبتدأ وخبر. «أورثتموها» حال. ويجوز أن تكون «الجنة» بدلاً من «تلك»[2] و«أورثتموها» الخبر، و«بما كنتم» متعلّق بـ«أورثتموها».

ولمّا ذكر ما يتضمن الأكل والشرب ذكر الفاكهة. «منها تأكلون» مِن للتبعيض إذ لا يأكلون إلا بعضها.

﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا

---

(١) ق: تشتهي.

(٢) ق: تلكم.

ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم
مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا
مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ
إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ
ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ[٥٠٣/ أ] جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى حال أهل الجنّة، أعقبه بذكر حال الكفرة.

﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ﴾ تقدم أنهم ملبسون أي: ساكتون، وهذه أحوال لهم في أزمان متطاولة، فلا تعارض بين سكوتهم وندائهم. واللام في «ليقض» لام الطلب والرغبة، والمعنى: ليُمتنا مرّة حتى، لا يتكرر عذابنا. ﴿قَالَ﴾ أي: مالك.

﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ أي: مقيمون في النار لا تبرحون. وقال ابن عباس: يجيبهم بعد مضيّ ألف سنة.

﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ الظاهر أنه من كلام الله تعالى لهم.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ الضمير لقريش، أي: بل أحكموا أمراً من كيدهم للرسول ومكرهم.

﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم.

وكانوا يتناجون ويتسارّون في أمر الرسول عليه السلام فقال تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ وهو ما يحدّث به الرجل نفسه أو غيره في مكان خالٍ. «ونجواهم» وهو ما تكلّموا به فيما بينهم. «بلى» أي: نسمعها. ﴿وَرُسُلُنَا [لَدَيْهِمْ] يَكْتُبُونَ﴾ وهم الحَفَظَةُ.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ التعليق بإنْ لا يقتضي جواز الشيء، بل قد يُعلَّق بها الممتنع ويُجاب بالممتنع. ونظيره ما تقدّم من قوله تعالى ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام] وجوابه محذوف تقديره: فافعل. وهو عليه السلام لا يستطيع لا النّفق ولا السلّم. ويجوز أن يكون المعنى: إن كان للرحمن ولد فيما تدّعون وتزعمون فأنا أول الآنفين المنكرين. لذلك تقول العرب: عبد الرجل يعبد، بمعنى أنف يأنف.

ومعنى «إلٰه» معبود، وبه يتعلق الجار والمجرور، والمعنى أنه هو معبود في السماء ومعبود في الأرض. والعائد على الموصول محذوف تقديره: هو إله.

وقرىء: وقيلَه، منصوب على إضمار فعل أي: ويعلم قِيْلَهُ. وبالخفض، فقيل: معطوف على «الساعة». وقيل: هي واو القسم والجواب محذوف تقديره: ليُنْصَرَنَّ أو لأفعلنّ بهم ما أشاء. وبالرفع معطوف على «علم الساعة» تقديره: وعِلْمُ قيله، فحُذف[1] «وعِلمُ» وأُقيم المضاف إليه مقامه فرُفع. والضمير المجرور عائد على الرسول عليه السلام بدلالة قوله «فاصفح عنهم» أي: أعرِضْ عنهم وتارِكْهم.

---

(١) ق: محذوف.

﴿ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ ﴾ أي: الأمر سلام.

﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ وعيد لهم وتهديد وموادعة. وهي منسوخة بآية السيف[1].

(١) الآية ٥ من التوبة.

سورة الدخان(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً
مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم
مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ
هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ
هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ
إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٦﴾.

﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الآية، هذه [٥٠٣/ب] السورة مكية، قيل: إلا قوله ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ ۝١٥﴾. ومناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ ۝٨٣﴾ [الزخرف] فذكر تعالى يوماً غير معيّن ولا موصوف، فبيّن في أوائل هذه السورة ذلك اليوم بوصفٍ وصفه فقال: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾ [الدخان] وأن العذاب يأتيهم من قبله(2). «والكتاب المبين» هو القرآن، أقسم به تعالى.

---

(1) مكية وهي تسع وخمسون آية.

(2) ق: قبلك.

والضمير في «أنزلناه» يكون عائداً عليه. والليلة المباركة: ليلة القدر. قالوا: كُتُب الله كلها إنما أنزلت في رمضان. ﴿مُنذِرِينَ﴾ أي: مخوّفين.

«فيها» أي: في الليلة المباركة. ﴿يُفْرَقُ﴾ يُفصل من غيره ويخلص[1]. ووصف «أمراً» بـ«حكيم» أي: أمرٍ ذي حكمة، وقد أبهم تعالى هذا الأمر، وقال ابن عباس: في ليلة القدر يفصل كلّ ما في العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك، ويكتب لهم ذلك إلى مثلها من العام المقبل.

و«أمرا» مفعول بـ«منذرين».

«رحمة من[2] ربك» مفعول من أجله، والعامل فيه «مرسلين».

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال ابن مسعود: هو الدخان الذي رأته قريش. قيل لعبد الله إن قاصًّا عند أبواب كندة يقول[3] إنه دخان يأتي يوم القيامة، فيأخذ بأنفاس الناس. فقال: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم. ألا وسأحّدثكم أنّ قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال[4] «اللهم اشدد[5] وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف». فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعِلْهِز - والعلهز: الصوف يقع فيه القُراد[6]، فيشوى الصوف بدم القراد ويؤكل - وأكلوا العظام

(١) ق: ويلخص.

(٢) ق: منّا.

(٣) ق: يقال.

(٤) أخرجه مسلم ١: ٤٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٥) ق: واشدد.

(٦) القراد: دويبة متطفلة تعيش على الدوابّ.

أيضاً. وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان، وكان الرجل يحدّث الرّجل فيسمع الكلام ولا يرى المتكلّم من الدخان. فمشى إليه أبو سفيان ونفر معه، فناشدوه الله والرّحم، وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا. فلما كشف عنهم رجعوا إلى شركهم. وفيه: فرحمهم النبي ﷺ وبعث إليهم بصدقة ومال. وفيه: فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالتهم فأنزل الله تعالى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ يعني يوم بدر. وقال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم[1].

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ
عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى
عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ
مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ
مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟
فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ
وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم
مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾.

﴿ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ ﴾ هذا كالمثال لقريش، ذكرت قصة من أُرسل إليهم موسى عليه السلام، فكذّبوه فأهلكهم الله تعالى.

﴿ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ أي: كريم عند الله وعند المؤمنين.

﴿ أَنْ أَدُّوٓا۟ ﴾ يحتمل أن تكون «أنْ» تفسيرية لأنه تقدّم ما يدلّ [٥٠٤/أ] على

(١) انظر الطبري ٢٥: ٦٧.

معنى القول وهو «رسول كريم». و«أن» تكون مخففة من الثقيلة، والناصبة للمضارع فإنها توصل بالأمر. طلب منهم أن يؤدّوا إليه بني إسرائيل.

﴿رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: غير متّهم قد أئتمنني الله على وحيه ورسالته.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ أي: لا تستكبروا على عبادة الله. ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجة واضحة في نفسها.

﴿وَإِنِّي عُذْتُ﴾ أي: استجرت. ﴿بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ كانوا قد تَوعَّدُوه بالقتل، فاستعاذ من ذلك.

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ أي: تصدّقوا. ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي: كونوا بمعزلٍ [مني] وهذه متاركة حسنة.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾[1] لفظ تحقير لهم.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾ في الكلام حذف أي: فانتقمْ منهم، فقال[2] له الله: «أَسْرِ بعبادي» وهم بنو إسرائيل ومن آمن به من القبط. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي: يتّبعكم فرعون وجنوده، فتنْجون، ويغرق المتّبِعون.

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ قال ابن عباس: ساكناً كما جُزْتَه.

﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ هم بنو إسرائيل.

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ استعارة لتحقير أمرهم، وأنه لم يتغير عن هلاكهم شيء.

---

(١) ق: فدعا ربه أني مغلوب فانتصر أن هؤلاء.

(٢) ق: فأوحى فقال.

﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ أي: مؤخَّرين عن العذاب.

«من فرعون» بدل من قوله «العذاب المهين» أعيد معه حرف الجر كما أعيد في قوله ﴿مِنْهَا مِنْ غَمٍّ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج].

﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: اصطفيناهم وشرّفناهم. ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ [يعني] قريشاً. وأشار بـ«هؤلاء» إلى تحقيرهم. كانوا يقولون: ليس لنا إلا موتة واحدة، ولا نُنشر بعدها لحساب.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ خطاب لرسول الله ﷺ وللمؤمنين الذين كانوا يَعِدونهم بالبعث. أي: إن صدقتم فيما [تعدوننا] فأحيوا لنا من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم، حتى يكون ذلك دليلاً على البعث في الآخرة.

﴿أَهُمْ﴾ أي: قريش ﴿خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ و«تبّع» تقدم الكلام عليه[1].

﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: من الجنسين. «لاعبين» أي: عابثين.

---

(١) لم يتقدم الكلام عليه. و«تبّع» لم يذكر إلا ها هنا وفي الآية ١٤ من ق، ولم يُشرح ثَمّ.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالعدل، يجازي المحسن والمسيء بما أراد الله تعالى من ثواب وعقاب. ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه تعالى خلق ذلك لذلك، فهم لا يخافون عقاباً ولا يرجون ثواباً.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ دُرْدِيّ الزيت[1] و[قيل] غير ذلك.

﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوه فاعتلوه، أي: سُوْقُوه بعنف وجذب ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسطه.

﴿ثُمَّ صُبُّوا۟﴾ المصبوب في الحقيقة هو الحميم، فتارةً اعتبرت الحقيقة، وتارة اعتبرت الاستعارة، لأنه إذا صُبّ الحميم، فقد صُبّ ما تولّد عنه من الآلام والعذاب، فعبّر بالمسبَّب عن السبب، لأن العذاب هو المسبَّب عن الحميم، ولفظة العذاب أهول وأهيب.

[٥٠٤/ب] ﴿ذُقْ﴾ أي: العذاب. ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ وهذا

(١) دردي الزيت: ما يبقى في أسفله.

على سبيل التّهكم بهم، والهزء بمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: الأمر. ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ أي: تشكّون.

ولمّا ذكر حال الكفار، أعقب بحال المؤمنين، فقال ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ استثناء منقطع، أي: لكن الموتة الأولى ذاقوها في الدنيا. وفي ذلك تنبيه على ما أنعم به عليهم من الخلود السرمديّ، وتذكير لهم بمفارقة الدنيا الفانية إلى هذه الدار الباقية.

والضمير في «يَسَّرناهُ» عائد على القرآن. ﴿بِلِسَانِكَ﴾ أي: بلغتك وهي لغة العرب.

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ النصر الذي وعدناك. ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ فيما يظنون الدوائر عليك. وفيها وعدٌ له عليه السلام ووعيد لهم، ومتاركة منسوخة بآية السيف[1].

(١) الآية ٥ من التوبة.

سورة الجاثية(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل: إلا قوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۝١٤﴾ الآية، فمدني. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها في غاية الوضوح: قال(٢) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ۝٥٨﴾ [الدخان] وقال ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ذكر في البقرة(٣) ثمانية دلائل وهنا ستة، لم يذكر

---

(١) مكية وآياتها سبع وثلاثون.

(٢) ق: فقال.

(٣) الفقرة التالية نقلها المصنف من كلام الرازي وتصرّف فيها، انظر تفسيره ٢٧: ٢٦٠. وآية البقرة المشار إليها هي الآية ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٦٤﴾.

الفلك والسّحاب، والسبب في ذلك أن مدار الحركة للفلك والسحاب على الرياح المختلفة، فذكر الرياح. وهناك جعل مقطع الثمانية واحداً، وهنا رتّبها على مقاطيع ثلاثة: يؤمنون، يوقنون، يعقلون. وأظن سبب هذا الترتيب: إن كنتم مؤمنين، فافهموا هذه الدلائل، وإن لم تكونوا مؤمنين ولا موقنين، فلا أقل من أن تكونوا من العاقلين فاجتهدوا. وقال هناك ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وهنا ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فدلّ على أن الخلق عين[1] المخلوق وهو الصحيح. ولا تفاوت بين أن يقال «في السماوات» أو «في خلق السماوات».

قال الزمخشري[2]: أقيمت الواو مقامهما[3]، فعملت الجرّ في «واختلاف الليل والنهار» والنصب في «آيات». وإذا رفعتَ فالعاملان الابتداء و«في»؛ عملت الرفع في «آيات» والجرّ في «واختلاف» انتهى.

نسبة عمل الجرّ والنصب، والجرّ والرّفع للواو ليس بصحيح؛ لأن الصحيح من المذاهب أن حروف العطف لا تعمل. ومن منع العطف على مذهب الأخفش أضمر حرف الجر فقدّر[4]: وفي اختلاف. فالعمل للحرف مضمراً ونابت الواو مناب عامل واحد ويدلّ على أنّ [٥٠٥/أ] «في» مقدّرة قراءة عبدالله: وفي اختلاف، مصرّحاً بفي، وحسَّنَ حَذْفَ «في» تقدُّمها في قوله «وفي خلقكم».

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ أي: تلك الآيات وهي الدلائل المذكورة. ﴿نَتْلُوهَا﴾ أي: نسردها عليك ملتبسةً بالحق. و«نتلوها» في موضع الحال أي: متلوّةً.

---

(١) ق: غير.

(٢) الكشاف ٣: ٥٠٨.

(٣) أي مقام «إنّ» و«في».

(٤) ق: بعد.

قال الزمخشري(١): والعامل ما دلّ عليه «تلك» من معنى الإشارة، ونحوه ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۝٧٢﴾ [هود] انتهى.

ليس نحوه! لأن [الهاء] في «وهذا» حرف تنبيه. وقيل: العامل في الحال ما دلّ عليه حرف التّنبيه أي: تنبَّهْ. وأما «تلك» فليس فيها حرف التّنبيه. فإذا كان حرف التنبيه عاملاً بما فيه من معنى التنبيه - لأن الحرف قد يعمل في الحال - فالمعنى: تنبَّهْ لزيدٍ في حال شيخه أو في حال قيامه.

وقيل: العامل في مثل هذا التركيب فعل محذوف يدلّ عليه المعنى: أي: انظر إليه في حال شيخه. فلا يكون اسم الإشارة عاملاً ولا حرف التنبيه إن كان هناك.

قال الزمخشري(٢): «بعد الله وآياته» أي: بعد آيات الله، كقولهم: أعجبني زيدٌ وكَرَمُهُ، يريدون: أعجبني كرم زيد انتهى.

ليس هذا بشيء! لأنّ فيه من حيث المعنى إقحام الأسماء من غير ضرورةٍ والعطفَ، والمراد غير العطف من إخراجه إلى باب البدل. لأن تقدير: كرم [زيد] إنما يكون في: أعجبني زيدٌ كَرَمُه، بغير واو على البدل. [وهذا قلب لحقائق النحو، وإنما المعنى في: أعجبني زيد وكرمه] أنّ ذات زيد أعجبتْه، وأعجبه كرمه، فهما إعجابان لا إعجاب واحد. وقد رددنا عليه مثل قوله هذا فيما تقدّم.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا

(١) الكشاف ٣: ٥٠٩.

(٢) الكشاف ٣: ٥٠٩.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩
مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝١١﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث وغيره وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن[١]. والآية عامة في كلّ من كان مضارّاً لدين الله تعالى. و«أفاك أثيم» صفتا مبالغة. وألفاظ هذه الآية تقدم الكلام عليها[٢].

والإشارة بـ«أولئك» إلى «كل أفّاك» لشموله الأفّاكين. حمل أولاً على لفظ «كل» فأفرد، ثم على المعنى فجمع، كقوله ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾ [المؤمنون].

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: من قدّامهم. والوراء ما توارى من خلف وأمام. ﴿وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ من الأموال. ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأوثان.

«هذا» أي: القرآن. «هدى» أي: بالغ في الهداية، كقولك: هذا رجل، أي: كامل في الرجولية.

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ۝١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ۝١٣ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

(١) «ويل لكلّ.. استماع القرآن»: وردت هذه الجملة في ق في غير موضعها الصحيح، قبل قول الزمخشري السابق.

(٢) انظر شرح الآية ٢٢٢ من الشعراء.

﴿تُرْجَعُونَ ۝١٥ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ۝١٧ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ
وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠ أَمْ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً
مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝٢١ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ
وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٢٢﴾ .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ ﴾ هذه آية اعتبار.

قال الزمخشري[1]: ويجوز أن يكون - يعني «منه» - خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي جميعاً منه، وأن يكون «وما في الأرض» مبتدأ و«منه» خبره. انتهى.

لا يجوز هذان الوجهان إلاّ على قول الأخفش؛ لأن جميعاً إذ ذاك حال، والعامل فيها معنوي وهو الجار والمجرور، [٥٠٥/ب] فهو نظير: زيد قائماً في الدار، ولا[2] يجوز على مذهب الجمهور.

وقرىء: ليجزي، مبنيًّا للفاعل أي ليجزي الله. وقرىء بالنون أي لنجزي نحن، وبالياء مبنياً للمفعول. والأحسن أن يكون المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله ضمير المصدر، أي: ليُجزى هو أي: الجزاء، وينتصب «قوما» بإضمار فعل يدلّ عليه ما قبله تقديره: يجزي قوماً.

(١) الكشاف ٣: ٥١٠.

(٢) ق: لا.

﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ﴾ تقدم الكلام عليه[١].

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إنعامه على بني إسرائيل، واختلافهم بعد ذلك، ذكر تعالى حال نبيّه عليه السلام، وما منّ به عليه من اصطفائه، فقال «ثم جعلناك على شريعة من الأمر». قيل: الشريعة هي الأمر والنهي والحدود والفرائض.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ أي: هذا القرآن. جُعل ما فيه من معالم الدين بصائر للقلوب، كما جُعل روحاً وحياة. وقرىء: هذه، أي: هذه الآيات.

«أم حسب» «أم» منقطعة تتقدّر ببل والهمزة وهو استفهام إنكار.

قال الكلبي: نزلت[٢] في علي وحمزة وعبيدة بن الحارث، قال شيبة والوليد بن عتبة وعتبة، قالوا للمؤمنين: والله ما أنتم على شيء، ولئن كان ما تقولون حقًّا، لحالُنا أفضل من حالكم في الآخرة كما هو أفضل في الدنيا.

﴿ٱجْتَرَحُواْ﴾ اكتسبوا. و«السيئات» هنا سيئات الكفر. و«نجعلهم» نصيّرهم، والمفعول الثاني هو «كالذين» وبه تمام المعنى.

واحتمل الضمير في «محياهم ومماتهم» أن يعود على «الذين اجترحوا» أخبر أنّ حالهم في الزمانين سواء، وأن يعود على المجترحين والصالحين، بمعنى أن محيا المؤمنين ومماتهم سواء في الكرامة عند الله تعالى، ومحيا المجترحين ومماتهم سواء في إهانتهم عند الله تعالى وعدم كرامتهم عليه. ويكون اللفظ قد لفّ هذا المعنى وذهن السامع يفصّله، إذ قد تقدّم إبعاد الله

(١) انظر تفسير الآية ٩٣ من يونس.
(٢) انظر القرطبي ١٦ : ١٦٥.

أن يجعل هؤلاء كهؤلاء.

وقال الزمخشري[1]: والجملة التي هي «سواء محياهم ومماتهم» بدل من الكاف، لأن الجملة تقع مفعولاً ثانياً، فكانت في حكم المفرد. ألا تراك لو قلت: أن نجعلهم سواءً محياهم ومماتهم، كان سديداً كما تقول: ظننت زيداً أبوه منطلق انتهى.

هذا الذي ذهب إليه الزمخشري من إبدال الجملة من المفرد، قد أجازه أبو الفتح، واختاره ابن مالك، وأما تجويزه ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ فيظهر لي أنه لا يجوز، لأنها بمعنى التصيير، لا[2] يجوز: صيّرت زيداً غلامه منطلق، ولا: صيّرت زيداً أبوه قائم، لأن التصيير انتقال من ذات إلى ذات، أو من وصف في الذات إلى وصف فيها. وتلك الجملة الواقعة بعد مفعول، صيّرت المقدّرة مفعولاً ثانياً ليس [٥٠٦/أ] فيها انتقال ممّا ذكرنا، فلا يجوز. والذي يظهر لي أنّا إذا قلنا بتشبُّث هذه الجملة بما قبلها، أن تكون الجملة في موضع الحال، والتقدير: أم حسب الكفار أن نصيّرهم مثل المؤمنين في[3] حال استواء محياهم ومماتهم، ليسوا كذلك بل هم يفترقون أي: افتراق في الحالتين، وتكون هذه الحال مبنيّة ما انبهم في المِثْليّة الدالّة عليها الكاف.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا

(١) الكشاف ٣: ٥١١.

(٢) ق: ولا.

(٣) ق: وفي.

نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ
يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ
جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم
بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا
قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا
عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ
ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ قال مقاتل: نزلت[1] في الحارث بن قيس. و«أفرأيت» هي بمعنى أخبِرْني، والمفعول الأول هو «من اتخذ»، والثاني محذوف تقديره بعد الصلة التي «لمن» أي: أيهتدي[2]، ويدلّ عليه قوله بعدُ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أحد يهديه من بعد إضلال الله إياه.

﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: هو مطواعٌ لهوى نفسه، يتبع ما يدعوه إليه، فكأنه يعبده كما يعبد الرجل إلهه.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩٠.

(٢) ق: بعد الصلات. . اهتدى.

﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي: من الله تعالى سابق، أو على علم من هذا الضالّ بأن الحقَّ هو الدين، ويعرض عنه عناداً، فيكون كقوله ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ۝١٤﴾ [النمل].

والظاهر أن قولهم «نموت ونحيا» حكم على هذا النوع بجملته من غير اعتبار تقديم ولا تأخير، أي: تموت طائفة، وتحيا طائفة. وأن المراد بالموت مفارقة الروح للجسد.

وجواب «وإذا»: «ما كان حجتهم» أي: ما تكون حجتهم، لأن إذا للاستقبال. وخالفت أدوات الشرط، بأن جوابها إذا كان منفيًّا بما، لم تدخل الفاء بخلاف أدوات الشرط فلا بدّ من الفاء؛ تقول: إن تزرنا فما جفوتنا، أي: فما تجفونا. وفي كون الجواب منفياً بما، دليل على ما اخترناه من أنّ جواب إذا لا يعمل فيها، لأن ما بعد [ما] النافية لا يعمل فيما قبلها.

«ولله ملك السماوات والأرض» الآية، العامل في «ويوم تقوم»: «يخسر». و«يومئذ» بدل من «ويوم تقوم». و«المبطلون» الداخلون في الباطل.

«جاثية» باركة على الركب مستوفزة، وهي هيئة المذنب الخائف.

وقرىء: جاذية، بالذّال. والجُذُوّ أشدّ استيفازاً من الجثوّ، لأن الجاذي هو الذي يجلس على أطراف أصابعه. وعن ابن عباس: «جاثية» أي: مجتمعة.

وقرىء: كلَّ أمة تدعى، بنصب «كلّ» على البدل بدل النكرة الموصوفة من النكرة.

والظاهر عموم «كل أمة» من مؤمن وكافر.

﴿تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ المنزل عليها، فتحاكَمُ إليه هل وافقَتْه أو خالفته. وأفرد «كتابها» اكتفاء باسم الجنس كقوله ﴿وَوُضِعَ[1] ٱلۡكِتَٰبُ﴾ [الكهف]. ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ﴾ أي: يقال لهم: [اليوم] تجزون.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ هو الذي دعيت إليه كل أمّة. وصحّت إضافته إليه تعالى لأنه مالكه والآمر بكَتْبه، وإليهم لأن أعمالهم مثبتة[2] فيه. والإضافة تكون بأدنى ملابسة، فلذلك صحّت إضافته إليهم وإليه [٥٠٦/ب] تعالى.

﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم﴾ أي: يشهد بالحق من غير زيادة ولا نقصان.

﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ﴾ أي: الملائكة أي نجعلها تنسخ أي: تكتب. وحقيقة النسخ نقل خطّ من أصل يُنظر فيه، فأعمال العباد كأنها الأصل.

وقرىء: والساعة، بالرفع على الابتداء، وبالنصب عطفاً على «وعد الله».

﴿إِلَّا ظَنّٗا﴾ أي: ظنّاً[3] ضعيفاً، وقال الأعشى[4]: [من المتقارب]

أحلّ به الشيب أثقاله ... وما اعترّه الشيب إلا اعترارا[5]

---

(١) ق: وضع.

(٢) ق: مثبت.

(٣) ق: ضنا.

(٤) ديوانه ص٨١.

(٥) في ق:

وحلّ به الشيب أثقاله ... وما اغترّه الشيب إلا اغترارا

وما أثبتّه رواية الديوان.

أي: اعترارا[(١)] بيّناً. وقال الزمخشري[(٢)]: فإن قلت: ما معنى «إن نظن إلا ظنًّا»؟ قلت: أصله نظنّ[(٣)] ظنًّا ومعناه إثبات الظن فحسب. وأدخل حرف النفي والاستثناء ليفاد[(٤)] إثبات الظن مع نفي ما سواه. وَزِيدَ نفي ما سوى الظن توكيداً بقوله «وما نحن بمستيقنين» انتهى.

وهذا كلام مَنْ لا شعورَ له بالقاعدة النحوية من أن التفريغ يكون في جميع المعمولات، من فاعل ومفعول وغيره، إلا المصدر المؤكد، فإنه لا يكون فيه.

وقولهم ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ دليل على أن الكفار قد أخبروا بأنهم ظنّوا البعث واقعاً، ودلّ قولهم قَبْلُ ﴿مَا هِىَ[(٥)] إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية] على أنهم منكرون البعث، فهم - والله أعلم - فرقتان.

﴿وَبَدَا[(٦)] لَهُمْ﴾ أي: قبائح أعمالهم. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾، أي: أحاط بهم. ولا تستعمل حاق إلا في المكروه.

﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ نترككم في العذاب كالشيء المنسيّ الملقى غير المُبَالَى به.

﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ أي: لقاء جزاء الله على أعمالكم. وأضاف اللقاء لليوم توسّعاً.

---

(١) ق: اغتراراً.

(٢) الكشاف ٣: ٥١٣.

(٣) ق: يظن.

(٤) ق: لنفاذ.

(٥) ق: إن هي.

(٦) ق: فبدى.

﴿مِنْهَا﴾ أي: من النار. ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: تطلب منهم مراجعة إلى عمل صالح. وتقدم الكلام في الاستعتاب[1].

(١) انظر تفسير الآية ٨٤ من النحل.

سورة الأحقاف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا
تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ
مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ
ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ
لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا
يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ
شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ
يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ
وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

---

(١) مكية وآياتها خمس وثلاثون.

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ هذه السورة مكية، قال ابن عباس: إلا ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ ﴿١٠﴾﴾ و﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ ﴿٣٥﴾﴾ الآيتين، فإنهما مدنيّتان. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها أن في آخر ما قبلها ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية] وقلتم إنه عليه السلام اختلقها فقال تعالى ﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾. وهاتان الصفتان هما آخر تلك وهما أول هذه.

«وأجل مسمى» أي: موعد لفساد هذه البنية، قال ابن عباس: هو يوم القيامة.

﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ يحتمل أن تكون «ما» مصدريّة وأن تكون بمعنى الذي.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ معناه أخبروني عن الذين تدعون من دون الله وهي الأصنام.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟﴾ استفهام توبيخ. ومفعول «أرأيتم» الأول هو «ما تدعون» و«ماذا خلقوا» جملة استفهامية يطلبها «أرأيتم» لأن مفعولها الثاني يكون استفهاماً، ويطلبها «أروني» على سبيل [٥٠٧/أ] التعليق. فهذا من باب الإعمال؛ أعمل الثاني وحذف مفعول «أرأيتم» الثاني. و«من الأرض» تفسير للمبهم في «ماذا[١] خلقوا».

والظاهر أنه يريد: من أجزاء الأرض، أي: خَلْق ذلك إنما يكون لله تعالى.

قال ابن عطية: يحتمل «أرأيتم» وجهين: أحدهما أن تكون متعدّية و«ما» مفعول بها، ويحتمل أن تكون منبّهة لا تتعدّى وتكون «ما» استفهاماً على معنى التوبيخ. و«تدعون» معناه تعبدون انتهى.

---

(١) ق: ما.

كون «أرأيتم» لا تتعدى وأنها منبّهة[١] شيء قاله الأخفش في قوله ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف]، والذي يظهر ما قلناه ثم وقفهم على غباوتهم، فقال ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: بل أَلَهُمْ[٢] شرك.

﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ وهو القرآن فإنه ناطق بالتوحيد، فطلب منهم أن يأتوا بكتاب واحد يشهد بصحة ما هم[٣] عليه.

﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي: بقية من علم من علوم الأوّلين. وقال ابن عباس: المراد بالأثارة الخطّ في التّراب، وذلك شيء كانت العرب تفعله، وتتكهّن به، وتزجر.

«وهم» أي: الأصنام، عن دعاء الكفّار غافلون: أي: ليس لهم عقل يفهمون به دعاء الكفار.

والضمير في «افتراه» عائد إلى الحقّ، والمراد به الآيات.

﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ على سبيل الفرض، فالله حسبي في ذلك. ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من رَدِّ عقوبةِ الله لي شيئاً.

﴿بِمَا تُفِيضُونَ﴾ أي: تندفعون فيه من الباطل ومُرادُه الحقّ، وتسميته تارة سحراً وتارة فرية.

والضمير في «فيه» يعود على «ما» وعلى القرآن.

﴿شَهِيدًا﴾ لي بالتّبليغ وشهيداً عليكم بالتكذيب.

---

(١) ق: منبهمة.

(٢) ق: أنهم.

(٣) ق: هو.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ عِدَةٌ لهم بالغفران إن رجعوا عن الكفر.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: جاء قبلي غيري. والبِدْع والبديع من الأشياء: ما لم يُرَ مِثْله. والظاهر أنّ «ما»[1] استفهامية و«أدري» معلّقة، فجملة الاستفهام في موضع المفعول، و«ما» مبتدأة و«يفعل» الخبر[2].

وقال الزمخشري[3]: يجوز أن تكون موصولة منصوبة انتهى.

الفصيح المشهور أن درى تتعدى بالباء، ولذلك حين عدّي بهمزة النقل تعدّى بالباء نحو قوله ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ١٦﴾ [يونس]. فَجَعْلُ «ما» استفهامية هو الأولى. وكثيراً ما عُلّقت في القرآن نحو ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾ [الأنبياء]. و«يفعل» مثبت غير منفي، لكنه قد انسحب عليه النفي [لاشتماله على «ما» و«يفعل» فلذلك قال «ولا بكم». ولولا اعتبار النفي] لكان التركيب: ما يفعل بي وبكم.

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ استسلام وتبرُّؤ من علم المغيّبات ووقوف مع النّذارة من عذاب الله تعالى.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ الشاهد عبد الله بن سلام، قاله الجمهور، والآية مدنية. وعن عبد الله بن سلام: نزلت فيّ آيات من كتاب الله تعالى، نزلت فيّ[4] «وشهد شاهد».

---

(١) في «ما يُفعل».

(٢) بعده في ق: انتهى.

(٣) الكشاف ٣: ٥١٨.

(٤) في المطبوع: وعدّ منها.

وقال الزمخشري[1]: جواب الشرط [٥٠٧/ب] محذوف تقديره: إن كان هذا القرآن من عند الله، وكفرتم به ألستم ظالمين؟. ويدّل على هذا المحذوف قوله «إن الله لا يهدي القوم الظالمين» انتهى.

جملة الاستفهام لا تكون جواباً للشرط إلا بالفاء. فإن كانت الأداة الهمزة، تقدّمت الفاء نحو: إن تزرنا أفما نحسن إليك؟، أو غيرها تقدّمت الفاء نحو: إن تزرنا فهل ترى إلا خيراً؟ فقول الزمخشري «ألستم ظالمين» بغير فاء لا يجوز أن يكون جواب الشرط.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، قال مقاتل هي مقالة كفار قريش. «للذين آمنوا» أي: لأجل الذين آمنوا واللام للتبليغ. ثم انتقلوا إلى الغيبة في قولهم «ما سبقونا» ولو لم ينتقلوا لكان الكلام: ما سَبقتم إليه. والعامل في «إذ» محذوف اي: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم . وقوله «فسيقولون» مسبب عن ذلك الجواب المحذوف، لأنّ هذا القول ناشىء عن العناد. ويمتنع أن يعمل في إذ «فسيقولون» لحيلولة الفاء. وقِدَمُه بمرور الأعصار عليه.

ولمّا طعنوا في صحّة القرآن قيل لهم: أنزل الله من قبله التوراة على موسى عليه السلام، فأنتم لا تنازعون في ذلك.

﴿إِمَامًا﴾ أي: يُهتدى به إذ فيه البشارة بمبعث رسول الله ﷺ وإرساله، فيلزم اتّباعه والإيمان به. وانتصب «إماماً» على الحال، والعامل فيه العامل في «ومن قبله» أي: وكتاب موسى كائن من قبل القرآن في حال كونه إماماً. ولمّا عبّر عن الكفّار بالذين ظلموا، عبّر عن المؤمنين بالمحسنين ليقابل بلفظ

(١) الكشاف ٣: ٥١٨.

الإحسان لفظ الظلم.

﴿وَبُشْرَىٰ﴾ في موضع جر معطوف على المصدر المنسبك في قوله ﴿لِّيُنذِرَ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ تقدم الكلام عليه(١).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ولمّا ذكر «جزاء بما كانوا يعملون» [السجدة: ١٧] قال ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إذ كان برّ الوالدين ثاني(٢) أفضل الأعمال، إذ في الصحيح «أي الأعمال أفضل؟. فقال: الصلاة على ميقاتها. قال: ثم أي؟. قال: برّ الوالدين»(٣)

---

(١) انظر شرح الآية ٣٠ من فصّلت.

(٢) ق: ياتي، وفوقها: كذا.

(٣) أخرجه مسلم ١: ٨٩ من حديث عبد الله بن مسعود بألفاظ مقاربة.

وإذ كان عقوقهما ثاني[١] أكبر الكبائر إذ قال عليه السلام[٢] «ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله وعقوق الوالدين». والوارد في برّهما كثير.

قال ابن عطية: ونصب هذا - يعني «إحساناً» - على المصدر الصريح، والمفعول الثاني في المجرور، والباء متعلّقة بـ«وصّينا» أو بقوله «إحساناً» انتهى.

لايصحّ أن يتعلق بـ«إحساناً» لأنه مصدر مقدّر بحرف مصدري والفعل، فلا يتقدم معموله عليه. ولأن «أحسنَ» لا يتعدى بالباء إنما يتعدّى باللام؛ تقول: أحسنت لزيد، ولا تقول: أحسنت بزيد، على معنى أن الإحسان يصل إليه.

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ ليس الكره في أول علوقها به بل [٥٠٨/أ] في ثاني استمرار الحمل حتى تتوقع حوادثه.

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: ومدة حمله وفصاله. وهذا لا يكون إلا بأن يكون أحد الطرفين ناقصاً: إما أن تلد المرأة لستة اشهر وترضع[٣] عامين، وإما ان تلد لتسعة على العرف، وترضع عامين غير ربع عام. فإن زادت مدّة الحمل نقصت مدة الرضاع وبالعكس، فترتّب على[٤] هذا أن أقلّ مدة الحمل ستة أشهر، وأقل مدّة الرضاع عام وتسعة أشهر، وإكمال العامين لمن أراد أن يتمّ الرضاعة.

---

(١) ق: وإذا كان عقوقهما يأتي.

(٢) أخرجه مسلم ١: ٩١ من حديث أبي بَكْرة.

(٣) ق: ورضع.

(٤) ق: من.

﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ تقدّم الكلام عليه[1].

﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ ﴾ أي: قال المُحْسِنُ منهم: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾. ولذلك أشار بقوله [«أولئك»] بصيغة الجمع.

وقرىء: يُتقبّل ويُتجاوز، مبنيًّا للمفعول ورَفْع «أحسن». وقرىء بالنون فيهما ونَصْب «أحسن».

﴿ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ قيل: «في» بمعنى مع. وقيل هو نحو قولك: أكرمني الأمير في ناسٍ من أصحابه، تريد: في جملة من أكرم منهم، ومحلّه النصب على الحال على معنى: كائنين في أصحاب الجنة. وانتصب «وعد الصدق» على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة.

والمراد بـ«الذي» الجنس، ولذلك جاء الخبر مجموعاً في قوله «أولئك».

﴿ أُفٍّ﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أي: أُبعث بعد الموت.

﴿ مِن قَبْلِي﴾ ولم يُبعث أحد بعد موته.

﴿ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ﴾ جملة [حالية] واستغاث يتعدى بنفسه وبالباء. ﴿ وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثّبور، والمراد به الحثّ والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك. «آمن» أمرٌ منهما له بالإيمان. ﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ ﴾ وهو البعث بعد [الموت].

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من يوسف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٣ من الإسراء.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي: من المحسن والمسيء درجات [لأن الجنة درجات] عَلَتْ درجاتٍ، والنار دركات. «وليوفيهم» بعثناهم.

وقرىء: أذهبتم، على الخبر. وأأذهبتم، بهمزتين على الاستفهام، وهو استفهام توبيخ وإنكار. «فاليوم» هو يوم القيامة.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا
عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ
أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾
تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ
ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا
وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُواْ
يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا
حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن
دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام. والأحقاف: قال ابن عباس: وادٍ بين عُمان ومهرة[1].

﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ هم الرسل الذين تقدّموا زمانه. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ الرسل الذين كانوا في زمانه.

---

(١) انظر الروض المعطار ص١٤.

«وقد خلت النذر من بين يديه» جملة حالية. و«ألا تعبدوا» متعلق بـ «أنذر».

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا﴾ استفهام تقرير وتوبيخ فيما أنذره إياهم من العذاب العظيم على ترك إفراد الله بالعبادة.

﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ أي: لتصرفنا عن آلهتنا بالإفك وهو الكذب.

﴿فَأۡتِنَا﴾ استعجال منهم لحلول ما وعدهم به من العذاب العظيم.

والضمير في «رأوه» الظاهر أنه عائد على «ما» في قوله «بما تعدنا» وهو العذاب. وانتصب «عارضاً» على الحال من المفعول.

وقال الزمخشري[(١)]: «فلما رأوه» في الضمير وجهان: أن يرجع[(٢)] إلى «ما تعدنا»، وأن يكون مبهماً [٥٠٨/ب] قد وضح أمره بقوله «عارضاً» إما تمييزاً وإما حالاً، وهذا الوجه أعرب وأفصح انتهى.

هذا الذي ذكر أنه أعرب وأفصح ليس جارياً على ما ذكره النّحاة؛ لأن المبهم الذي يفسّره، ويوضّحه التّمييز لا يكون إلاّ في باب ربّ، نحو: رُبَّهُ رجلاً لقيته، وفي باب نعم وبئس على مذهب البصريين نحو: نعم رجلاً زيد وبئس غلاماً عمروٌ. وأما أن الحال توضّح المبهم وتفسّره فلا نعلم أن أحداً ذهب إليه.

وقد حصر النّحاة الذي يفسّره ما بعده فلم يذكروا فيه مفعول رأى إذا كان ضميراً، ولا أنّ الحال تفسّر الضمير وتوضّحه.

(١) الكشاف ٣: ٥٢٤.

(٢) ق: يرفع.

والعارض: المعترض في الجوّ من السحاب الممطر. وأودية: جمع وادٍ وهو جمع شاذّ في القياس؛ إذ «فاعل» الاسم لا يجمع على أفعلة.

﴿بَلْ هُوَ﴾ «بل» حرف إضراب. و«هو» مبتدأ، و«ما» خبره. و﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما».

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو عام مخصوص بتدمير ما أُمرت به. وقرىء: تُرى، بالتاء مبنياً للمفعول، «مساكنهم» رفع.

ولمّا أخبر بهلاك[1] قوم عاد، خاطب قريشاً على سبيل الموعظة فقال ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ[2]﴾. و«إنْ» نافية أي: في الذي ما مكّناكم فيه من القوة والغنى والبسط في الأجسام والأموال. ولم يكن النفي بلفظ «ما» كراهة لتكرير اللفظ، وإن اختلف المعنى.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾ الآية، «ولقد أهلكنا» خطاب لقريش على جهة التمثيل لهم. والذي حولهم من القرى مأرب وحِجْر ثمود وسدوم[3].

﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾ أي الحجج والدلائل.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ أي: فهلاّ نصرهم حين جاءهم الهلاك.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ أي: اتخذوهم من دون الله. ﴿قُرْبَانًا﴾ أي: في حال التقرب وجعلهم شفعاء. ﴿آلِهَةً﴾ وهو المفعول الثاني لـ«اتّخذوا»، والأول الضمير المجذوف العائد على الموصول.

---

(١) ق: بلال.

(٢) ق: مكّناهم.

(٣) ق: وحجر وثمود. وانظر الروض المعطار ص٥١٥، ١٨٩و ٣٠٨ على الترتيب.

وقال الزمخشري[١]: و«قرباناً» حال، ولا يصحّ أن يكون «قرباناً» مفعولاً ثانياً، و«آلهة» بدلاً[٢] لفساد المعنى انتهى.

لم يبين الزمخشري كيف يفسّر المعنى، ويظهر أن المعنى صحيح على ذلك الإعراب.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ
فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ
بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ
أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾
وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ
يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭۚ بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قضية الجنّ كانت مرتين: الأولى يأتي ذكرها، والثانية أن الله تعالى أمره أن ينذر الجنّ ويقرأ عليهم [القرآن] فقال[٣] «إني أُمرت أن أقرأ على الجنّ فمن يتبعني؟ قالها ثلاثاً. فأطرقوا إلا عبدالله بن

---

(١) الكشاف ٣: ٥٢٦.

(٢) ق: بدل.

(٣) انظر مسند أحمد ١: ٤٥٨، ودلائل النبوة للأصبهاني ٢: ٣٦٥ وما بعدها.

مسعود. قال: لم يحضره أحد ليلة الجنّ غيري، فانطلقنا حتى إذا كنّا في شعب الحَجون خطّ لي خطّاً [وقال]: لا تخرج حتى أعود إليك. ثم افتتح القرآن، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله ﷺ، وغشيَتْه أَسْوِدة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته [٥٠٩/أ] ثم انقطعوا كقطع السحاب. فقال لي: هل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم، رجالاً سوداً مستثفري[١] ثياب بيض. فقال: أولئك جنّ نصيبين. وكانوا اثني عشر ألفاً، والسورة التي قرأها عليهم ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ①﴾ [العلق]. وفي آخر هذا الحديث قلت: يا رسول الله، سمعت لهم لغطاً. فقال: إنهم تدارؤوا[٢] في قتيل لهم فحكمتُ بالحق».

﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآن. ﴿قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟﴾ أي: اسكتوا للاستماع، وفيه تأدُّب مع العلم وكيف يُتعلَّم. ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ أي: القرآن. ﴿وَلَّوْا۟[٣] إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ تفرقوا على البلاد ينذرون الجن.

قال قتادة: ما أسرع ما عقل القوم. وعند ذلك وقعت قصة سواد بن قارب[٤] وخنافر وأمثالهما حين جاءهما رَئِيّاهما[٥] من الجن وكان سبب إسلامهما.

﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ أي بعد كتاب موسى.

---

(١) الاستفثار: أن يُدخل إزاره بين فخذيه ملويّاً.

(٢) تدارؤوا: تدافعوا في الخصومة.

(٣) ق: تولوا.

(٤) حديث سواد بن قارب أخرجه البخاري ٣: ١٤٠٣ من حديث عبد الله بن عمر، وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢: ٢٤٨، ودلائل الاصبهاني ص١١١.

(٥) ق: ربيّاهما. والرَّئي: الجنّي يعرض للإنسان ويطلعه على ما يزعم من الغيب.

قال عطاء: كانوا على ملّة اليهود.

﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ هو الرسول عليه السلام[١]. ﴿وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ يعود على «الله». ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» للتبعيض. ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وهذا كلّه وظواهر القرآن يدلّ على أن الجن مكلّفون، ولم ينصَّ هنا على ثوابهم إذا أطاعوا. وعمومات القرآن تدلّ على الثواب وكذا قال ابن عباس: لهم ثواب وعليهم عقاب، يلتقون في الجنّة، ويزدحمون على أبوابها.

﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ أي: بفائت من عقابه إذ لا منجى ولا مهرب منه.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يراد عرض النار عليهم، من قولهم: عرضتُ الناقة على الحوض، يريدون: عَرَض الحوض عليها فقلبوا. ويدلّ عليه تفسير ابن عباس: يجاء بهم إليها فيُكشف لهم عنها انتهى.

لا ينبغي حَمْل القرآن على القلب؛ إذ الصحيح في القلب أنه مما يُضطر إليه في الشعر. وإذا كان المعنى صحيحاً واضحاً مع عدم القلب، فأي ضرورة تدعو إليه؟. وليس في قولهم: عرضت الناقة على الحوض [ولا في تفسير ابن عباس ما يدل على القلب؛ لأنّ عَرْض الناقة على الحوض] وعرض الحوض على الناقة، كلّ منهما صحيح، إذ العرض أمر نسبيّ، يصحّ إسناده لكل واحد من الحوض والناقة.

﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: يقال لهم. والإشارة بـ«هذا» إلى العذاب. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ تصديقٌ حيث لا ينفع. فيقول لهم المجاوب من الملائكة عند ذلك ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾.

---

(١) بعدها في ق: فيه.

(٢) الكشاف ٣: ٥٢٣. وورد نص الزمخشري في شرحه الآية ٢٠ المتقدمة.

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾[١] الفاء عاطفة هذه الجملة على الجملة من أخبار الكفار في الآخرة، والمعنى بينهما مرتبط؛ أي: هذه حالهم مع الله تعالى فلا تستعجل أنت، واصبر ولا تخف إلا الله.

و﴿أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ﴾ أي: الجِدّ من الرسل.

﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ﴾ أي: لكفار قريش بالعذاب، أي: لا تَدْعُ لهم بتعجيله فأنه نازل [٥٠٩/ب] بهم لا محالة، وإن تأخّر، وإنهم مستقصرون حينئذ مدّة لبثهم في الدنيا كأنهم لم يلبثوا فيها إلاّ ساعة من نهار. «بلاغٌ» يعني به القرآن والشرع، أي: هذا بلاغ، أي: تبليغ وإنذار. و«بلاغ» مبتدأ خبره: لهم[٢].

﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ في هذه الآية وعيد وإنذار.

---

(١) ق: فاصبروا.

(٢) فوقها في ق: كذا. وهو يتعارض مع قوله في العبارة السابقة: هذا بلاغ.

سورة القتال(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ
بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۛ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ
وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ
وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ
أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ
لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ .

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ الآية، قال ابن عباس: هذه السورة مدنية إلا آية منها نزلت [بمكّة] بعد حجة [الوداع] حين خرج من مكة، وجعل ينظر إلى البيت وهي ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ الآية. ومناسبة أولها لآخر ما قبلها واضحة جدًّا.

(١) مدنية وهي ثمان وثلاثون آية. وهي في القرآن الكريم سورة «محمد» ﷺ.

﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أعرضوا عن الدخول في الإسلام، أو صدّوا غيرهم عنه. وهم أهل مكّة الذين أخرجوا رسول الله ﷺ. قال ابن عباس: وهم المطعِمون[1] يوم بدر.

﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أتلفها حيث لم ينشأ عنها خير ولا نفع بل ضرر.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هم الأنصار. واللفظ عام يشمل كل مؤمن وكافر.

﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ تخصيصُه من بين[2] ما يجب الإيمان به تعظيم لشأن الرسول عليه السلام، وإعلام [أنه] لا يصحّ الإيمان ولا يتمّ إلاّ به، وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. «كفر عنهم سيئاتهم» خبر «الذين». «وأصلح بالهم» أي: شأنهم.

«ذلك» إشارة إلى ما فعل بالكفار من إضلال أعمالهم، وبالمؤمنين من تكفير سيئاتهم وإصلاح بالهم[3]. و«ذلك» مبتدأ، وما بعده الخبر أي: كائن بسبب اتّباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق. «كذلك» أي: مثل ذلك. «يضرب الله للناس أمثالهم» [والضمير راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم] لأجل الناس ليعتبروا بهم.

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: في أيّ زمان لقيتموهم فاقتلوهم. وفي قوله ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٥﴾﴾ [التوبة] أي: في أيّ مكان، فعمّ في الزمان وفي المكان.

(١) وهم اثنا عشر رجلاً، وانظر أسماءهم في القرطبي ١٦: ٢٢٣.

(٢) ق: مرتين.

(٣) ق: حالهم.

﴿فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ هذا من المصدر النائب مناب فعل الأمر، وهو مطّرد فيه. و«ضرب الرقاب» عبارة عن القتل. ولمّا كان القتل للإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته عبّر بذلك عن القتل. ولا يراد خصوصيّة الرقاب، فإنه لا يكاد يتأتّى حالة الحرب أن تضرب الرقاب، إنما يتأتّى القتل في أي موضع كان من الأعضاء.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ أي: أكثرتم القتل فيهم وهذه غاية للضرب. فإذا وقع الإثخان، وتمكّنوا من أخذ من لم يُقتل، شَدُّوا وثاق الأسرى.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا﴾ بالإطلاق. ﴿وَإِمَّا فِدَآءً[1]﴾ [٥١٠/أ] فالنصب على إضمار فعل تقديره: فإمّا تمنّون منًّا وإما تفادون فداءً.

﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ و«حتى» غاية لما تقدّم أي: أثقالها وآلاتها، ومنه قول عمرو بن معد يكرب[2]: [من المتقارب]

وأعددتُ للحرب أوزارها   رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا

والظاهر أن ضرب الرقاب - وهو القتل - مُغَيًّى[3] بشدّ الوثاق وقت حصول الإثخان، وأن قوله «فإما منا بعد» أي: بعد الشدّ. «وإما فداء» حالتان للمأسور: إما أن يمنّ عليه بالإطلاق كما منّ رسول الله ﷺ على ثمامة بن أثال الحنفي بإطلاقه، وإما أن يفدى كما روي عنه عليه السلام أنه فودي منه رجلان من الكفار برجل واحد مسلم.

(١) ق: واما منا.

(٢) البيت للأعشى في ديوانه ص١٣٥.

(٣) أي: مرتبط به، من الغاية وهي المدى.

قال الزمخشري[1]: كما منّ على أبي عروة الجمحي[2] وأُثالَ الحنفي انتهى.

صوابه: على ثمامة وعلى أبي عزّة الجمحي، فغيّر الكنية والاسم، ولعلّ ذلك من الناسخ لا في أصل التصنيف. وهذه الآية معارض ظاهرها لقوله تعالى ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۝﴾ [التوبة] فذهب ابن عباس وجماعة إلى أنها منسوخة بقوله «فاقتلوا المشركين» الآية، وأن الأسر والمنّ والفداء مرتفع. فإن وقع أسير قُتل ولا بدّ إلا أن أسلم، ورُوي نحوه عن أبي بكر الصديق. [وذهب] جماعة[3] إلى أنّ هذه مخصِّصة لعموم تلك، والمنّ والفداء ثابت.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك. ﴿لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أي: لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف وغير ذلك. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟﴾ أي: ليختبركم.

﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ أي: إلى طريق الجنّة.

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ أي: بيّنها لهم، من التعريف. أو علّاها من الأعراف وهي الجبال. أو طيّبها، من العَرْف وهو الطيب.

﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: دينه. ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم. ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ أي: في مواطن الحرب.

﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ قال ابن عباس: بُعْداً لهم. «والذين» مبتدأ ضُمّن معنى

(١) الكشاف ٣: ٥٣١.

(٢) في الكشاف والمطبوع: الحجبي.

(٣) ق: الصدّيق وجماعة، وفوقها: كذا.

الشرط، والخبر «فتعساً» وهو على إضمار فعل أي: فأتعسهم تعساً.

﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ عام في كل ما نزّل. ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جعلها من الأعمال التي لا تزكوا ولا يُعتدُّ بها.

﴿دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أفسد عليهم ما اختصّوا[1] به من أنفسهم وأولادهم.

﴿أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثال تلك التدميرة.

والإشارة بـ «ذلك» إلى الهلاك[2].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية، والكاف في «كما» في موضع نصب نعت لمصدر محذوف تقديره: أكلاً كما تأكل الأنعام.

﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ أي: ينتفعون بمتاع الدنيا أياماً قلائل. ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين غير مفكّرين في العاقبة. ﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ في مسارحها ومعالفها غافلةً عمّا هي بصدده من النحر والذّبح. [٥١٠/ب] ﴿وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ أي: موضع إقامة.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ هي على حذف مضاف تقديره: من أهل قرية. ولذلك عاد الضمير في «أهلكناهم» على ذلك المحذوف. «من قريتك» هي مكة.

---

(١) ق: اختص.

(٢) ق: الله.

﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ أي: أخرجك أهلها، نسب الإخراج إليها مجازاً.

قال ابن عطية: ونسب الإخراج إلى القرية حملاً على اللفظ، وقال «إهلاكناهم» حملاً على المعنى [انتهى.

ظاهر هذا الكلام لا يصحّ؛ لأن الضمير في «أهلكناهم» ليس عائداً على المضاف إلى القرية التي أسند إليها الإخراج، بل إلى أهل القرية في قوله «وكأين من قرية». فإن كان أراد بقوله «حملاً على المعنى»] أي: معنى القرية[1] في قوله «وكأين من قرية» فهو صحيح. لكن ظاهر قوله «حملاً على اللفظ وحملاً على المعنى» أن يكون في مدلول واحد. وعلى هذا يبقى «كأيّن» مفلتاً غير محدَّث عنه بشيء، إلا إن تخيّل[2] أنّ «[هي] أشد» خبر عن «وكأين». والظاهر أنه في موضع الصفة.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ استفهام توقيف وتقرير على شيء متفق عليه، وهي معادلة بين هذين الفريقين. والإشارة إلى الرسول عليه السلام وإلى كفار قريش. واللفظ عام لأهل الصّنفين.

ومعنى ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ أي: على حجّة واضحة وهو القرآن. ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ وهو الشرك. ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ أي: شهوات أنفسهم. والضمير في «واتّبعوا» عائد على معنى «مَن» لا على لفظه.

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ

(١) ق: الفردية.

(٢) ق: يحيل.

وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ
تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا
جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ .

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي: صفة الجنة. وهو مرفوع بالابتداء. قال النضر بن شميل: كأنه قال: صفة الجنة ما تسمعون انتهى. «فما تسمعون» هو الخبر، و﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ تفسير لتلك الصفات، فهو استئناف إخبار عن تلك الصفة. وقال سيبويه[١]: فيما يُتلى عليكم مثلُ الجنة، تقدَّر الخبر المحذوف متقدّماً، ثم فسّر ذلك الذي يُتلى.

﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أي: غير متغيّر، يقال: أَسَن الماء يأسِنُ ويأسُن إذا تغيّر.

﴿لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ نفي لجميع وجوه الفساد في اللبن.

﴿لَّذَّةٍ﴾ جمعت طِيبَ المطعم وزوالَ الآفاتِ من الصّداع وغيره. و«لذّة» تأنيث لَذٍّ وهو اللذيذ، أو مصدر نُعت به. فالجمهور بالجرّ على أنه صفة لـ«خمر»، وبالرفع صفة لـ«أنهار»، وبالنصب أي: لأجل لذّة فهو مفعول له.

﴿مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ قال ابن عباس: لم يخرج من بطون النّحل فيخالطه الشمع وغيره. ووصفه بـ«مصفّى» لأن الغالب على العسل التذكير، وهو ممّا يذكّر ويؤنّث.

---

(١) انظر الكتاب ١: ١٤٣.

وبدىء من هذه الأنهار بالماء، وهو الذي لا يستغنى عنه في المشروبات، ثم باللبن إذ كان يجري مجري المطعوم في كثير من أقوات[١] العرب وغيرهم، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الريّ والمطعوم تشوّقت النفس إلى ما تلتذّ به، ثم بالعسل لأن فيه الشفاء في الدنيا ممّا يعرض من المشروب والمطعوم، فهو متأخّر في الرّتبة.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لمّا ذكر المشروب ذكر من المأكول ما يُتفكّه[٢] به. قيل: و«مِن» زائدة أي: ولهم فيها كل [٥١١/أ] الثمرات، وقيل: المبتدأ محذوف أي: أنواع من كل الثمرات. ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ هو معطوف على ما قبله لا بقيد[٣] «فيها»، أي: ولهم مغفرة من ربهم، لأن المغفرة قبل دخول الجنة. أو على حذف أي: تنعيم مغفرة، إذ المغفرة سبب التنعيم[٤].

و«كمن» قبله محذوف يقابله تقديره: أهؤلاء المنعمون كمن هو خالد في النار؟. «وسقوا» عائد على «مَن»، و«هو[٥] خالد» عائد على اللفظ.

وكذلك «خرجوا» عاد على معنى «من».

﴿يَسْتَمِعُ﴾ كان المنافقون يحضرون عند الرسول عليه السلام ويستمعون كلامه وتلاوته، فإذا خرجوا، قالوا للذين أوتوا العلم وهم السامعون كلام الرسول حقيقةً، الواعون له: ماذا قال آنفاً؟ أي: الساعة، وذلك على سبيل

---

(١) ق: أوقات.

(٢) ق: ينقله.

(٣) ق: يقيّد.

(٤) بعدها في ق: وسُقوا عائد على معنى من.

(٥) ق: في النار هو، وفوقها: كذا.

الهزء والاستخفاف. أي: لم نفهم ما يقول، ولا ندري ما نَفْع ذلك. وممّن سألوه ابن مسعود. و«آنفاً» حال أي: مبتدئاً، أي: ما القول الذي ائتنفه الآن قبل انفصالنا عنه.

قال الزمخشري[١]: و«آنفاً» نصب على الظرف انتهى. قال ذلك لأنه فسّره بالساعة.

وقال الزمخشري[٢]: والمفسّرون يقولون: «آنفاً» معناه الساعة الماضية القريبة منّا، وهذا تفسير بالمعنى انتهى.

الصحيح أنه [ليس] بظرف، ولا نعلم أحداً من النّحاة عدّه في الظروف.

﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ أي: علاماتها، وأحدها شرط بفتح الراء وجزمها، فينبغي الاستعداد لها. ومن أشراطها مبعث رسول الله ﷺ إذ هو خاتم الأنبياء. وروي عنه عليه السلام أنه قال[٣] «أنا من أشراط الساعة» وقال[٤] «بُعثت أنا والساعة كفرسَيْ رهان».

﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ الظاهر أن المعنى: فكيف لهم الذكرى والعمل بها إذا جاءتهم الساعة، أي: قد فاتهم ذلك.

ثم أضرب عن ذكر المنافقين وقال ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والمعنى: دُمْ على عملك بتوحيد الله. واستغفاره عليه السلام لأهل الإيمان رحمة لهم.

---

(١) الكشاف ٣: ٥٣٤.

(٢) الكشاف ٣: ٥٣٤، ونقل العبارة بالمعنى.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه قوله: محمد ﷺ من أشراط الساعة، انظر الدر المنثور ٦: ٥٠.

(٤) ضعيف. رواه البيهقي عن سهل بن سعد، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥: ١٣٢.

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولذنوب المؤمنين. وأحواله عليه السلام ثلاثة: مع الله بالتوحيد، ومع نفسه بالاستغفار، ومع[1] غيره بالاستغفار لهم.

﴿مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ هو على العموم في كل متقلّب وفي[2] كل إقامة.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ الآية، مدح الله تعالى المؤمنين بطلبهم إنزال سورة. والمعنى: تتضمّن أمرنا بمجاهدة العدوّ وفضح[3] أمر المنافقين. والظاهر أن طالبي ذلك هم خُلَّصٌ في إيمانهم، ولذلك قال بعدُ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً.

﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: نظراً كما ينظرُ مَنْ أصابته الغشيةُ من

(١) ق: وله ومع.
(٢) فوقها في ق: كذا.
(٣) ق: ويصح.

أجل حلول الموت.

﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الجوهري[١]: [٥١١/ب] «يقول العرب: أولى لك: تهديد ووعيد.

واختلفوا أهو اسم أو فعل؛ فذهب الأصمعي إلى أنه [فعل] بمعنى: قاربه ما يهلكه أي: نزل به». وعلى قول الجمهور[٢] إنه اسم يكون مبتدأ، والخبر «لهم». وقيل «فأولى» مبتدأ، و«لهم» من صلته و«طاعة» خبر، وكان اللام بمعنى الباء كأنه قيل: فأولى بهم طاعة.

﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: جدّ، والعزم الجدّ، وهو لأصحاب الأمر واستعير للأمر كما قال تعالى ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى] وقال الشاعر[٣]:

[من الرجز]

[قد شمرّتْ عن ساقها فشُدّوا] وجدَّتِ[٤] الحربُ [بكم] فَجِدُّوا

والظاهر أن جواب «فإذا» قوله «فلو صدقوا» كما تقول: إذا كان الشتاء فلو جئتني لكسوتك.

﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: فيما زعموا من حرصهم على الجهاد.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ التفات للذين في قلوبهم مرض، أقبل بالخطاب إليهم على سبيل التوبيخ لهم وتوقيفهم على سوء مرتكبهم. و«عسى» تقدّم الخلاف

---

(١) انظر الصحاح: ولي. وتصرّف المصنف بكلام الجوهري.

(٢) ق: فعلى قوله.

(٣) البيت لحنظلة بن ثعلبة. وورد الشعر في العقد ٤: ١٨١ برواية أخرى، وانظر جمهرة خطب العرب ٢: ٢٨٩.

(٤) ق: قد جدّت.

في لغتها[١]. وفصل بين عسى وخبرها بالشرط وهو «إن توليتم». ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعدم معونة أهل الإسلام على أعدائهم. ﴿وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ تُقطِّعُوا ما بينكم وبينهم من صلة الرحم.

«أولئك» إشارة إلى مرضى القلوب. ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الموعظة. ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ عن طريق الهدى.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: يتصفّحونه وما فيه من المواعظ والزواجر ووعيد العصاة. وهو استفهام توبيخ وتوقيف على مخازيهم.

﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ استعارة للذين منعهم [كفرهم] الإيمان. و«أم» منقطعة بمعنى بل والهمزة، للتقرير والتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يصل إليها ذكر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم﴾ قال ابن عباس وغيره: نزلت في منافقين كانوا أسلموا، ثم نافقت قلوبهم. والآية تتناول كلّ من دخل في لفظها.

﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ تقدّم الكلام عليه في يوسف[٢]. و«سوّل لهم» ركوب العظائم، من السَّوَل وهو الاسترخاء.

قال الزمخشري[٣]: وقد اشتقّه من السّول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً انتهى.

(١) يبحث عنها.

(٢) انظر تفسير الآية ١٨ من يوسف.

(٣) الكشاف ٣: ٥٣٧.

قوله: وقد اشتقه إلى آخره، ليس بجيد، لأنه توهّم أن السول أصله[١] الهمز فاختلفت المادتان؛ إذ عَيْن سُوْل واو، وعين السّؤل همزة. والسّول له مادتان إحداهما الهمز من سأل يسأل، والثانية الواو من سال يسال. فإذا كان هكذا «فسوّل» يجوز أن تكون من ذوات الواو لا من ذوات الهمزة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ روي أن قوماً من قريظة والنضير كانوا يعينون[٢] المنافقين في أمر الرسول عليه السلام والخلاف عليه بنصره ومؤازرته[٣]، وذلك قولهم ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: في بعض ما تأتمرون به أو في بعض الأمر الذي يهمكم. [٥١٢/أ] ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قالوا ذلك سرًّا فيما بينهم، فأفشاه الله تعالى عليهم.

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ الضمير عائد على من تقدّم ذكره من الكفار. «كيف» استفهام وبعده مبتدأ محذوف و«كيف» خبره تقديره: كيف حالهم إذا توفّتهم. والظاهر أن وقت التّوفي هو عند الموت. وقال ابن عباس: لا يُتوفّى أحد على معصية إلا يُضرب من الملائكة في وجهه وفي دبره. و«الملائكة» ملك الموت والمصرّفون معه. و«يضربون» حال من «الملائكة».

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا

---

(١) ق: وأصله.

(٢) ق: يعدون.

(٣) ق: ومؤازرة.

وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ
لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا
يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾
هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ الآية، إخراج أضغانهم - وهو[1] حقودهم - إبرازها للرسول وللمؤمنين. والظاهر أنها من رؤية البصر، لعطف العرفان عليه، وهو معرفة القلب. وفي هاتين الجملتين تقريب لشهرتهم، لكنه لم يعيّنهم بأسمائهم إبقاءً عليهم وعلى قراباتهم.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ كانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول، مما ظاهره حسن، ويعنون به القبيح كقولهم «راعنا» [النساء: ٤٥]. ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ خطاب عام يشمل المؤمن والكافر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ناس من بني إسرائيل. وتبيُّن هداهم معرفتهم بالرسول عليه السلام من التوراة.

﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ قيل: نزلت في بني أسد، أسلموا وقالوا لرسول الله: قد آثرناك وجئناك بأنفسنا وأهلنا!. كأنهم منُّوا عليه بذلك فنزلت فيهم هذه [الآية] وقوله تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات]. فعلى هذا

---

(١) ق: هو.

يكون ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بالمنّ بالإسلام والرياء والسّمعة والشّرك والنّفاق.

﴿ثُمَّ مَاتُوا۟[١] وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ عامّ. والموجب لانتفاء الغفران وفاتهم على الكفر.

وقيل: نزلت بسبب عدي بن حاتم رضي الله عنه، «سأل رسول الله ﷺ عن أبيه قال: كان له أفعالُ برٍّ فما حاله؟ فقال: في النار. فبكى عديّ وولّى. فدعاه فقال له: أبي وأبوك وأبو إبراهيم خليل الرحمن في النار» فنزلت[٢].

﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾ أي: تضعفوا. ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ وهو الصلح. ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي: الأغلبون. ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾ أي: يعرّيكم[٣] من ثواب أعمالكم.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ تحقير لأمر الدنيا، أي: فلا تهنوا في الجهاد، وأخبر عنها بذلك [باعتبار ما يختصّ بها من ذلك، وأمّا ما فيها من الطاعة وأمر الآخرة فليس بذلك].

﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ﴾ أي: ثواب أعمالكم من الإيمان والتقوى. ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ أي: كثيراً من أموالكم، إنما يسألكم ربع العشر فطيّبوا أنفسكم. ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ أي: جميعها.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ كرر هاء التّنبيه توكيداً.

﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ أي: بالصدقة وما أوجب الله عليه. ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي: لا يتعدّى ضرره لغيره. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ مطلقاً. ﴿وَأَنتُمُ

(١) ق: وماتوا.

(٢) ق: ونزلت. والحديث أخرجه مسلم ١ : ١٩١ من حديث أنس.

(٣) ق: يغروكم.

﴿ٱلْفُقَرَآءُ﴾ مطلقاً لافتقاركم إلى ما تحتاجون إليه في الدنيا.

[٥١٢/ب] ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ [عطف] على ﴿تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ ﴿٣٦﴾﴾ [محمد]، أي: وإن تتولّوا عن الإيمان والتقوى. ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يخلق قوماً سواكم راغبين في الإيمان والتقوى غير متولّين عنهما. ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم﴾ أي: في الخلاف والتولّي والبخل.

سورة الفتح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ
ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥) وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ
دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٦) وَلِلَّهِ
جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا (٨) لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا (٩) ﴾.

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ الآية، هذه السورة مدنية؛ فعن ابن عباس أنها نزلت بالمدينة. والصحيح أنها نزلت بالطريق منصرفَه من الحديبية سنة ستّ من الهجرة، فهي تُعدّ من المدني. ومناسبتها لما قبلها أنه [لمّا] تقدّم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ (٣٨) ﴾ [محمد] خطاباً لكفّار قريش، أخبر رسوله بالفتح العظيم. ولمّا قال ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ (٣٥) ﴾ [محمد] ناسب ذلك علوّ الإسلام بهذا الفتح العظيم.

---

(١) مدنية وهي تسع وعشرون آية.

وعلّل المغفرة باجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة، وهي المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز، كأنه قيل: يسّرنا لك فتح مكّة، ونصرناك على عدوّك، لنجمع لك بين عزّ الدارين وأغراض العاجل والآجل[١].

و«السكينة» هي الطمأنينة والسكون [قيل]: بسبب الصلح والأمن، ليعرفوا فضل الله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف، والهدنة بعد القتال فيزدادوا يقيناً إلى يقينهم.

والظاهر أن اللام في «ليدخل» تتعلق بمحذوف يدلّ عليه الكلام، وذلك أنه قال ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فكان[٢] في ذلك دليل على أنه تعالى يبتلي بتلك الجنود من يشاء، فيقبل الخير من قضى له بالخير، والشّر من قضى له بالشّر، ليدخل المؤمنين جنات، ويعذّب الكفّار، فاللام تتعلّق بـ«يبتلي» هذه.

قرىء: لتؤمنوا[٣]، وعطف [عليه] ما بعده بتاء الخطاب. وبياء الغيبة. والضمير في «وتعزروه وتوقروه» عائد للرسول عليه السلام، وفي «وتسبحوه» عائد لله تعالى. وتقدّم لفظ التعزير[٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا ۝١٠ سَيَقُولُ لَكَ

(١) هذا من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٣: ٥٤١.
(٢) ق: كان.
(٣) ق: ليؤمنوا.
(٤) انظر تفسير الآية ١٥٧ من الأعراف.

ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا
لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ
بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾
وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾
سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ
يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ
فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ
سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا
حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ هي بيعة الرضوان وبيعة الشجرة حين أخذ الرسول عليه السلام الأهبة لقتال قريش حين أرجف بقتل عثمان بن عفان، وقد بعثه إلى قريش يعلمهم أنه جاء معتمراً لا محارباً، وذلك قبل أن ينصرف من الحديبية، بايعهم على الصبر المتناهي في قتال العدو إلى أقصى الجهد. ولذلك قال سلمة بن الأكوع وغيره: بايعنا على الموت، وقال ابن عمر وجابر: [على] أن لا نفرّ.

وقال الزمخشري[1]: لمّا قال «إنما يبايعون الله» أكّده تأكيداً على طريقة

(١) الكشاف ٣: ٥٤٣.

التخييل فقال «يد الله فوق أيديهم» يريد أن [يد] رسول الله ﷺ التي تعلو [٥١٣/أ] أيدي[١] المبايعين هي يد الله. والله تعالى منزّه عن الجوارح وعن صفات الأجسام، وإنما المعنى تقرير[٢] أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۝٨٠﴾ [النساء] [والمراد بيعة الرضوان]. «فإنما ينكث على نفسه» فلا يعود ضرر نكثه إلا عليه انتهى.

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ﴾ الآية، «المخلفون» قبائل من العرب مذكورون في البحر[٣].

﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا﴾ هذا اعتلال منهم عن تخلّفهم، أي: لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم. فبدؤوا بذكر الأموال لأنّ بها قوام العيش وعطفوا الأهل [عليها] لأنهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال.

وكان الرسول عليه السلام استنفرهم حين أراد المسير إلى مكّة، فتعلّلوا بهذا الاعتلال.

﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم﴾ الظاهر أنه راجع إلى الجملتين المقولتين من الشغل وطلب الاستغفار. لأن قولهم «شغلتنا» كذب، وطلب الاستغفار خبث منهم وإظهار أنهم مؤمنون عاصون. ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أي: من يمنعكم من قضاء الله. ﴿إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا﴾ من قَتْلٍ أو هزيمة. ﴿أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢا﴾ من ظفر

(١) ق: يدي.
(٢) ق: تقدير.
(٣) انظر ٨: ٩٢.

وغنيمة؛ إذ هو تعالى المتصرّف فيكم.

ولمّا أخبر تعالى أنهم قوم بور ذكر ما يدلّ عليه أنهم ليسوا بمؤمنين فقال ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ ﴾، ثم ذكر جزاءهم وهو السعير.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ معناه أن يغيّروا وعده لأهل الحديبية بغنيمة خيبر. وذلك أنه وعدهم أن يعوّضهم من مغانم مكة مغانم خيبر، إذا قفلوا موادعين، لا يصيبون منهم شيئاً. وأمره تعالى أن يقول لهم ﴿ لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾، وأتى بصيغة «لن» وهي للمبالغة في النفي، أي: لا يتمّ لكم ذلك إذ[1] قد وعد تعالى أن ذلك لا يحضرها إلا أهل الحديبية فقط.

﴿ كَذَٰلِكُمْ[2] قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ يريد وعده قبل اختصاصهم بها.

﴿ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أي: يعز عليكم أن نصيب مغنماً معكم، وذلك على سبيل الحسد أن نقاسمكم فيما تغنمون. ثم ردّ تعالى عليهم كلامهم هذا فقال ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ أي: لا يفهمون. ﴿ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ من أمور الدنيا.

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ أمر تعالى نبيّه عليه السلام أن يقول لهم ذلك، ودلّ على أنهم كانوا يظهرون الإسلام. ولو لم يكن الأمر كذلك لم يكونوا أهلاً لهذا الأمر.

وأبهم تعالى في قوله ﴿ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال ابن عباس: هم الفرس، وقيل غير ذلك. والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممّن تؤخذ منهم الجزية؛ إذ لم يذكر هنا إلا القتال أو الإسلام.

---

(١) ق: أن.

(٢) ق: كذلك.

قال الزمخشري[1]: [٥١٣/ب] وهذا دليل على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنهم لم يُدْعَوْا إلى حرب في أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ولكن بعد وفاته انتهى.

هذا ليس بصحيح! قد حضر كثير منهم مع جعفر في مؤتة، وحضروا حرب هوازن مع رسول الله ﷺ، وحضروا معه في سفرة تبوك. ولا يتمّ قول الزمخشري إلاّ على قول من عيّن أنهم من أهل الردّة.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ أي: فيما تُدعون إليه. ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: في الخروج مع الرسول في زمان الحديبية. ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ يحتمل أن يكون في الدنيا وأن يكون في الآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ تقدم الكلام[2] [عليه].

﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى
قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ
وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾
وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ
قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ
ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾
هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ

---

(١) الكشاف ٣: ٥٤٥.

(٢) انظر شرح الآية ٦١ من النور.

وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ
بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية، لمّا ذكر حال من تخلّف عن السفر مع الرسول، ذكر حال المؤمنين الخلّص الذين سافروا معه. والآية دالّة على رضا الله تعالى عنهم، ولذا سمّيت بيعة الرضوان. والعامل في «إذ» «رضي». والرضا بمعنى إظهار النّعم عليهم، فهو صفة فعل لا صفة ذات لتقييده بالزمان. و«تحت» يحتمل أن يكون معمولاً لـ«يبايعونك»، أو حالاً من المفعول، لأنه عليه السلام كان تحتها جالساً في أصلها وكانت الشجرة سَمُرَة[1].

﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإيمان واتّباع الرسول.

﴿ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ قيل: هو فتح خيبر، وكان عقب انصرافهم من مكّة.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً ﴾ هذه المغانم الموعود بها هي المغانم التي كانت بعد هذه، وتكون إلى يوم القيامة. ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ الإشارة بـ«هذه» إلى البيعة والتخلّص من أمر قريش بالصلح، قاله ابن عباس: ﴿ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ ﴾ أي: أهل مكة بالصلح.

﴿ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا ﴾ قال ابن عباس: بلاد فارس والروم وما فتحه

---

(١) السَّمُرة: من شجر الطلح، والجمع سَمُر.

المسلمون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ أي: قضى بينكم المكافّة والمحاجزة بعدما خوّلكم الظفر عليهم والغلبة. وروي في سببها أن قريشاً جمعت جماعة من فتيانها، وجعلوهم مع عكرمة بن أبي جهل، وخرجوا يطلبون غرّة[(١)] في عسكر رسول الله ﷺ. فلما أحسّ بهم المسلمون، بعث عليه السلام خالد بن الوليد - وسمّاه حينئذ سيف الله - في جملة من المسلمين، ففرّوا أمامهم حتى أدخلوهم بيوت مكّة، وأسروا منهم جملة، وسيقوا إلى الرسول، فمنّ عليهم وأطلقهم[(٢)].

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهل مكة. و﴿مَعْكُوفًا﴾ حال أي: محبوساً.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ كان بمكّة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميّزين منهم ولا معروفي الأماكن، فقال تعالى «ولولا» أي: ولولا كراهة أن تُهلكوا أناساً مؤمنين بين ظهراني المشركين، وأنتم غير عارفين بهم، فيصيبكم بإهلاكهم مكروه [٥١٤/أ] ومشقّة - ما كفّ أيديكم عنهم. وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه.

قال الزمخشري[(٣)]: ويجوز أن يكون «لو تزيّلوا» كالتكرير لـ«لولا رجال مؤمنون» لمرجعهما إلى معنى واحد، ويكون[(٤)] «لعذّبنا» هو الجواب. انتهى.

قوله: لمرجعهما إلى معنى واحد، ليس بصحيح، لأن ما تعلّق به «ولولا»

---

(١) ق: عدة.

(٢) انظر الطبري ٢٦: ٥٩.

(٣) الكشاف ٣: ٥٤٨.

(٤) ق: ولكون.

الأولى غير ما تعلّق به الثانية. فالمعنى في الأولى: ولولا وطء قوم مؤمنين، والمعنى في الثانية: لو تميّزوا من الكفّار. وهذا المعنى[١] مغاير للأول مغايرة ظاهرة.

﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ قال الزهري: حميتهم: أَنَفَتُهم من[٢] الإقرار للرسول عليه السلام بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم. والذي امتنع من ذلك هو سهيل بن عمرو. والسكينة: الوقار والاطمئنان، فتوقّروا وحلموا.

و«كلمة التقوى» لا إله إلا الله، وروي ذلك عن النبي ﷺ[٣]. والظاهر أن الضمير في «وكانوا» عائد على «المؤمنين» والمفضّل عليهم محذوف؛ أي: أحقّ بها من كفّار مكّة، لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيّه عليه السلام.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

---

(١) ق: هذا معنا.

(٢) ق: في.

(٣) رواه الترمذي ٩: ١٧ عن أبي بن كعب، وقال: حديث غريب.

﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ الآية، رأى الرسول عليه السلام في منامه قبل خروجه إلى الحديبية - وقال مجاهد: وكانت الرؤيا بالحديبية - أنه وأصحابه دخلوا مكّة آمنين، وقد حلّقوا وقصّروا. فقصّ الرؤيا على أصحابه، ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق. فلمّا تأخر ذلك، قال عبد الله بن أبيّ وناس معه: والله ما حلقنا ولا قصّرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت[1]. ولمّا نزلت هذه الآية علم المسلمون أنهم يدخلونها فيما يُستأنف. واطمأنّت قلوبهم، ودخلوها معه عليه السلام في ذي القعدة سنة سبع، وذلك ثلاثة أيام هو وأصحابه، وصدقت رؤياه عليه السلام. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ أي: ما قدّره من ظهور الإسلام في تلك المدّة ودخول الناس فيه، وما كان أيضاً بمكّة من المؤمنين الذين دفع الله بهم.

قال الزمخشري[2]: «فعلم ما لم تعلموا» من الحكمة والصواب في تأخّر فتح مكّة إلى العام القابل انتهى.

لم يكن فتح مكة في العام القابل إنما كان بعد ذلك بأكثر من عام؛ لأن الفتح كان سنة ثمانٍ من الهجرة، وكان خروجه من المدينة عام الحديبية في ذي القعدة سنة ستٍّ من الهجرة.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من شهداء الحديبية. ﴿أَشِدَّآءُ﴾ جمع شديد. ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ دليل على كثرة ذلك منهم. وهذه السّيما قال مالك بن أنس: كانت جباههم منيرة من كثرة السجود في التراب. ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي: صفتهم في التوراة.

---

(١) انظر لباب النقول ص١٩٤.

(٢) الكشاف ٣: ٥٥٠.

[٥١٤/ب] و«مثلهم» هذا مبتدأ، و«كزرع» خبره. وقال قتادة: مَثَل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل مكتوب أنه سيخرج من أمّة محمد قوم ينبتون[١] نباتاً كالزّرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. شَطَأ الزرع وأشطأ إذا أخرج فراخه وهو في الحنطة والشعير. والضمير المنصوب في «فآزره» عائد على الزّرع، لأن الزّرع أول ما يطلع رقيق الأصل، فإذا خرجت فراخه، غلظ أصله وتقوّى. وكذلك أصحاب الرسول عليه السلام كانوا أقلّة ضعفاء، فلمّا كثروا وتَقَوَّوْا قاتلوا المشركين.

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ أي: صار من الرّقة إلى الغلظ. ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: تم نباته. ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق، كناية عن أصوله. ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ جملة في موضع الحال. وإذا أعجب الزّراع فهو أحرى أن يعجب غيرهم لأنه لا عيب [فيه] إذ قد أعجب العارفين بعيوب الزّرع، ولو كان معيباً لم يعجبهم، وهنا تمّ المَثَل. و﴿لِيَغِيظَ﴾ متعلق بمحذوف يدلّ عليه الكلام قبله تقديره: جعلهم الله بهذه الصّفة ليغيظ بهم الكفار. والأجر العظيم: الجنّة.

---

(١) ق: من قوم محمد ينبتون. وفوقها في ق: كذا.

سورة الحجرات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ
أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ
حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةًۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة لأنه [تعالى] ذكر الرسول عليه السلام وأصحابه ثم قال «وَعَدَ الله» فربّما صدر من المؤمن بعض شيء مما ينبغي أن يُنهى عنه: وقال ابن عباس: نُهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه. وقرىء: لا تَقَدّموا، بفتح التاء، وأصلها: لا تتقدموا، فحذف التاء الثانية.

(١) مدنية وهي ثماني عشرة آية.

﴿أَن تَحۡبَطَ﴾ هو على حذف مضاف تقديره: مخافة أن تحبط.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾ قيل: نزلت[1] في أبي بكر الصدّيق [وعمر] رضي الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت. ﴿ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ أي: جرّبها ودربها للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ نزلت[2] في وفد بني تميم: الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وغيرهم، وفدوا ودخلوا المسجد وقت الظهيرة والرسول راقد، فجعلوا ينادونه بجملتهم: يا محمد اخرج إلينا. فاستيقظ فخرج لهم. وقصتهم[3] وشاعرهم وخطيبهم وشاعره عليه السلام وخطيبه مذكورة[4] في البحر. [﴿مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ﴾ الوراء: الجهة التي يواريها عنك الشخص من خلف أو قدّام].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ الآية، سبب نزولها[5] أن الحارث بن ضرار[6] أسلم، وراح إلى قومه، فجمع زكاتهم ووجه الرسول عليه السلام الوليد [بن الحارث] ليقبض الزكاة، فخاف الوليد [٥١٥/أ] ورجع، فأخبر الرسول أن الحارث منع الزكاة. فقدم الحارث بعد ذلك وأقسم أنه ما جاءه الوليد ولا رآه، وجاء بزكاة قومه [في قصة] فيها طول ذكرت في البحر[7].

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٥٨.

(٢) أسباب النزول ص٢٥٩، ولباب النقول ص١٩٥.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) انظر ٨: ١٠٦.

(٥) انظر أسباب النزول ص٢٦٢.

(٦) ق: صوار.

(٧) انظر ٨: ١٠٩.

و﴿ فَاسِقٌۢ ﴾ و﴿ بِنَبَإٍ ﴾ مطلقان يتناول اللفظ كل واحد على جهة البدل.
وقرىء: فتبيّنوا، وفتثبّتوا.

أخبر تعالى أن رسوله لو أطاعكم في كثير من الأمر الذي يؤدي إليه اجتهادكم وتقدّمكم بين يديه لعنتّم، أي: لشقّ عليكم.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾.

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ الآية، سبب نزولها[1] ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبد الله بن أبي بن سلول على رسول الله وهو متوجّه إلى زيارة سعد بن عبادة في مرضه، وتعصّب بعضهم لعبد الله، وردّ عبد الله [بن] رواحة على ابن أبيّ فتجالد الحيّان، قيل بالحديد وقيل بالجريد والنعال والأيدي فنزلت، فقرأها عليهم فاصطلحوا. وقرىء: بين أخويكم، بالتّثنية. وإخوتكم، بالجمع.

---

(١) انظر اسباب النزول ص٢٦٣، ولباب النقول ص١٩٧.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ هذه الآية قيل نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل، كان يمشي بالمدينة، وقد أسلم، فقال له قوم: هذا ابن فرعون هذه الأمّة! . فعزّ عليه ذلك، وشكاهم فنزلت[١].

قال الزمخشري[٢]: وهو في الأصل جمع قائم كصَوْم وزَوْر انتهى.

ليس «فَعْل» من أبنية الجموع إلا على مذهب أبي الحسن في قوله إن رَكْباً جمع راكب. ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ ﴾ يعني أن يكون المسخور منهم خيراً من الساخرين بهم. ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ ﴾ أي: يكون المسخور منهن خيراً من الساخرات بهنّ. ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ أي: تعيبوا بعضكم بعضاً. ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ ﴾ أي: القبيحة كقولهم: سعيدُ بطةٍ[٣]. وأما الألقاب الحسنة فهي كالصدّيق في أبي بكر والفاروق في عمر.

﴿ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ ﴾ أي: بئس اسم تكتسبونه بعصيانكم ونبزكم بالألقاب، فتكونون فسّاقاً بالمعصية بعد إيمانكم.

﴿ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ أي: لا تعملوا على حسبه. وأمر تعالى باجتنابه، لئلا يجترىء أحد على ظنٍّ إلا بعد نظر وتأمّل وتمييز بين حقه وباطله. والمأمور باجتنابه هو بعض الظن المحكوم عليه.

قال الزمخشري[٤]: فالهمزة فيه [- يعني في «إثم» -] بدل عن الواو،

---

(١) انظر القرطبي ١٦: ٣٢٥.

(٢) الكشاف ٣: ٥٦٥.

(٣) انظر شرح ابن عقيل ١: ١٢٣.

(٤) الكشاف ٣: ٥٦٨.

كأنه يَثِم الأعمال[١] أي: يكسرها بإحباطه انتهى.

هذا ليس بشيء؛ لأن تصريف هذه الكلمة مستعمل فيه الهمز، تقول: أثم يأثم فهو آثم، والإثم والآثام. فالهمزة أصل وليست بدلاً عن واو. وأمّا يَثِمُ فأصله يوثم وهي من مادة أخرى. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي: لا تتبّعوا عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف[٢] عما ستروه.

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ يقال: غابه واغتابه كغاله واغتاله. والغيبة من الاغتياب [٥١٥/ب] وهي ذكر الرجل بما يكرهه مما هو فيه. وفي الحديث[٣]: «سئل رسول الله ﷺ: ما الغيبة؟ فقال: أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع. فقيل[٤]: يا رسول الله، وإن كان حقّاً؟. فقال الرسول عليه السلام: إذا قلت باطلاً فذلك البهتان» وقال ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس!. ﴿أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ روي في الحديث[٥] «ما صام من أكل لحوم الناس». وقال أبو زيد السهيلي: ضرب المَثَل لأخذه العِرْض بأكل اللحم؛ لأنّ اللّحم ستر على العظم، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر.

قال الزمخشري[٦]: «ميتاً» نصب على الحال من الأخ انتهى. هذا ضعيف،

---

(١) ق: والأعمال.

(٢) ق: ومعانيهم والانكشاف.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ ٢: ٩٨٧ من حديث المطّلب بن عبد الله.

(٤) ق: فقال.

(٥) ضعيف، أخرجه الديلمي عن أنس، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥: ٩٨.

(٦) الكشاف ٣: ٥٦٨.

لأن المجرور بالإضافة لا يجيء الحال منه إلا إذا كان له موضع من الإعراب نحو: أعجبني ركوب الفرس مسرَجاً، وقيام زيد مسرعاً. فالفرس في موضع نصب، وزيد في موضع رفع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الآية، قيل: غضب الحارث بن هشام وعتّاب بن أسيد حين أذّن بلال يوم فتح مكّة على الكعبة فنزلت[1]. «من ذكر وأنثى» أي: من آدم وحوّاء. ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ قيل: الشعوب في العجم والقبائل في العرب والأسباط في بني إسرائيل. [﴿لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾] أي: جعلكم ما ذكر كي يعرف بعضكم بعضاً في النسب، فلا ينتمي [أحد] إلى غير آبائه [فلا وجه] للتفاخر[2] بالآباء والأجداد ودعوى التفاضل في الأنساب. ثم بيّن تعالى الخصلة التي يحصل بها التفاضل وهي التقوى. وفي

(١) انظر أسباب النزول ص٢٦٤.

(٢) ق: آبائه لا للتفاخر.

خطبته عليه السلام يوم فتح مكة[١] «إنما الناس رجلان مؤمن تقيّ كريم على الله تعالى، وفاجر شقيّ هيّن على الله، ثم قرأ الآية».

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ قال مجاهد: نزلت في بني أسد بن خزيمة، قبيلة تجاور المدينة، أظهروا الإسلام وقلوبهم دَخِلة[٢] إنما يحبّون المغانم وعَرَض الدنيا. فرد الله عليهم بقوله ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟﴾ كذّبهم في دعوى الإيمان ولم يصرّح بإكذابهم بلفظه، بل بما دلّ عليه من انتفاء إيمانهم. وهذا في أعراب مخصوصين. ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فهو اللفظ الصادق من أقوالكم، وهو الانقياد والاستسلام ظاهراً، فلذلك قال ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾. وجاء النفي بـ«لمّا» الدالّة على انتفاء الشيء إلى زمان الإخبار به. ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان والأعمال، وهذا فتح لباب التوبة. وقرىء: لا يَلِتْكُم، من لات يَليت وهي لغة الحجاز. وقرىء: يَأْلِتكُم، من ألت، وهي لغة غطفان وأسد.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ هي منقولة من. علمتُ به، أي: شعرت به، ولذلك تعدّت إلى واحد بنفسها، وإلى الآخر بحرف الجر لمّا ثُقّلت[٣] بالتضعيف. وفي ذلك تجهيل لهم حيث ظنّوا أن ذلك يخفى على الله تعالى. ثم ذكر إحاطته بما [٥١٦/أ] في السماوات والأرض.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ أي: يعتدّون عليك أن أسلموا. «فأن أسلموا» في موضع المفعول، ولذلك تعدّى إليه في قوله ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم﴾.

(١) أخرجه الترمذي ٩: ٢١ من حديث ابن عمر.
(٢) ق: دغلة. والدَّخَل: المكر والخديعة.
(٣) ق: نقلت.

سورة ق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا
شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ
وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ
يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ
مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ
مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ
بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١
كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ
خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾.

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ الآية، هذه السورة مكية، قال ابن عباس: إلاّ آية وهي قوله «ولقد خلقنا السماوات والأرض»[2] ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه تعالى أخبر[3] أن أولئك الذين قالوا آمنا، لم يكن إيمانهم [حقّاً] - وانتفاء إيمانهم دليل على إنكار نبوّة الرسول - فقال «بل عجبوا أن جاءهم منذر

---

(١) مكية وهي خمس وأربعون آية.

(٢) الآية ٣٨.

(٣) انظر الآية ١٤ من الحجرات.

منهم». وعدم الإيمان[١] أيضاً يدلّ على إنكار البعث، فلذلك أعقبه به.

﴿قٓ﴾ حرف. و«القرآن» مقسم به. و«المجيد» صفته وهو الشريف على غيره من الكتب. والجواب محذوف يدلّ عليه ما بعده تقديره: إنك جئتهم منذراً بالبعث فلم يقبلوا بل عجبوا.

والضمير في ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾ عائد على الكفار. والإشارة بقولهم «هذا شيء عجيب» الظاهر أنها إلى مجيء منذر من البشر. والإشارة بقوله «ذلك» إلى البعث. ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ أي: مستبعَد في الأوهام والفكر.

قال الزمخشري[٢]: ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب، ويكون من كلام الله تعالى استبعاداً لإنكارهم ما أُنذروا به من البعث. والوقف قبله على هذا التفسير حسن. فإن قلت: ما ناصب الظرف إذا كان الرجع بمعنى المرجوع؟ قلت: ما دلّ عليه المنذر من المنذَر به وهو البعث انتهى.

كون «ذلك [رجع] بعيد» بمعنى مرجوع، وأنه من كلام الله لا من كلامهم، على ما شرحه، مفهوم ينبو عن إدراكه فهم العرب.

﴿بَلْ كَذَّبُواْ﴾ أي: ما أجادوا النظر بل كذّبوا. والحق: القرآن.

﴿فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ قال الضحاك: مختلط، مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن.

﴿أَفَلَمْ[٣] يَنظُرُوٓاْ﴾ حين كفروا بالبعث وبما جاء به الرسول إلى آثار قدرة الله

(١) ق: الإنذار.
(٢) الكشاف ٤ : ٤.
(٣) ق: أولم.

تعالى في العالم العلوي والسفلي. ﴿كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا﴾ مرتفعة من غير عمد. ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا﴾ بالنّيرين وبالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي: من فتوق وشقوق، بل هي سليمة من كل خلل.

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا﴾ بسطناها. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ أي: جبالاً ثوابت تمنعها من التكفُّؤ[1].

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: نوع. ﴿بَهِيجٍ﴾ أي: حسن المنظر يسرّ[2] من نظر إليه.

و﴿تَبْصِرَةً﴾ مفعول من أجله. ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ أي: راجع إلى ربّه مفكّر في بدائع صنعه.

﴿مُّبَـٰرَكًا﴾ أي: كثير المنافع. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي: الحبّ الحصيد، فهو من إضافة الموصوف[3] إلى صفته [٥١٦/ب]. و«الحصيد» كل ما يُحصد ممّا له حبّ كالبُرّ والشعير.

﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾ أي: طوالاً في العلوّ. وهو منصوب على الحال، وهي حال مقدّرة، لأنها حالة الإنبات[4] لم تكن طوالاً. و«باسقات» جمع و«النخل» اسم جنس، فيجوز أن يذكّر نحو ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠﴾ [القمر]، وأن[5] يؤنث كقوله ﴿[نَخْلٍ] خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة]، وأن يُجمع باعتبار أفراده، ومنه

(١) أي المَيْد والاضطراب.

(٢) ق: بهيج يسر.

(٣) ق: إضافة الصفة الموصوف.

(٤) ق: الإتيان.

(٥) ق: وأنه.

«باسقات» وقوله ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد].

﴿لَّهَا طَلْعٌ﴾ تقدم شرحه [عند] ﴿مِن[١] طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام]. ﴿نَّضِيدٌ﴾ أي: منضود بعضه فوق بعض، يريد كثرة الطّلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر، وأول ظهور الثمر في الكُفُرّى[٢] وهو أبيض منضّد كحبّ الرّمان فما دام ملتصقاً بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا خرج من الكفرى تفرّق فليس بنضيد.

و﴿رِّزْقًا﴾ نصب على المصدر، لأنّ معنى «فأنبتنا» رَزَقْنا[٣]. أو على أنه مفعول له. والإشارة في «كذلك» إلى الإحياء أي: الخروج من الأرض أحياءً بعد موتكم مثل ذلك الحياة للبلدة المَيْت. وهذه كلها أمثلة وأدلّة على البعث.

وذكر تعالى في السماء ثلاثة: البناء والتزيين ونفي الفروج، وفي الأرض ثلاثة: المدّ وإلقاء الرواسي والإنبات. قابل المدّ بالبناء؛ لأن المدّ وضع والبناء رفع. وإلقاءَ الرّواسي بالتزيين[٤] بالكواكب لارتكاز كل واحد منهما. والإنبات المترتّب على الشّق بانتفاء الفروج فلا شق فيها.

ونبّه فيما تعلّق به الإنبات على ما يُقطف كل سنة ويبقى أصله، وما يزرع كل سنة أو سنتين [ويُقطف كلّ سنة]. وعلى ما اختلط من جنسين؛ فبعض الثمار فاكهة لا قوت، وأكثر الزرع قوت، والتّمر فاكهة وقوت.

(١) ق: ومن.
(٢) الكفرى، بتثليث الكاف والفاء معاً: وعاء طلع النخل.
(٣) ق: وأنبتنا رزقا.
(٤) ق: بالتزيّن.

ولمّا ذكر قوله ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ ﴿٥﴾ ﴾ [ق] ذكر من كذّب الأنبياء تسلية للرسول عليه السلام. وتقدم الكلام على مفردات هذه الآية وقصص من ذكر فيها[١].

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ الآية، «بالخلق الأول» وهو إنشاء الإنسان من نطفة على التدريج. وتقدّم تفسير عيي في قوله ﴿ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحقاف]. والمعنى: أعجزنا عن الخلق الأول فنعجز عن الخلق الثاني؟. وهذا توقيف للكفار وتوبيخ، وإقامة الحجّة الواضحة عليهم.

﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ ﴾ أي: خلط وشبهة وحيرة.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾
إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ
الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا
عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي
الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا
تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾
هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾
ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا

---

(١) انظر مثلاً: الآية ١٢، ١٣ من ص، والآية ١٦٠ من الشعراء، والآية ٣٨ من الفرقان.

قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هذه آيات فيها إقامة حجج على الكفار في إنكارهم البعث. و«الإنسان» اسم جنس، وقيل: آدم. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ قُرْبَ علمٍ به وبأحواله، لا يخفى عليه شيء من خفيّاته، فكأنّ ذاته قريبة منه، كما يقال: الله في كل مكان، أي: بعلمه وهو منزّه عن الأمكنة. و﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ مَثَلٌ في فرط القرب[1] كقول العرب: هو مني مقعد القابلة، ومعقد الإزار. والحبل: العِرْق، شبّه بواحد الحبال. وإضافته إلى الوريد للبيان كقولهم: بعيرُ سانيةٍ[2] أو يراد حبل العاتق فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق [٥١٧/أ] لاجتماعهما في عضو واحد.

والعامل في «إذ» «أقرب إليه» لأنه أخبر خبراً مجرداً بالخَلْق والعلم بخطرات الأنفس، والقرب بالقدرة والملك. فلمّا تمّ الإخبار أخبر بذكر الأحوال التي تصدّق هذاالخبر وتعيّن وروده عند السامع، فمنها ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ ومنها [مجيء] سكرة الموت، ومنها النفخ في الصور، ومنها مجيء كل نفس معها سائق وشهيد. و«المتلقيان» الملكان الموكلان بكل إنسان؛ ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات.

(١) في المستقصى ١: ١٢١ والدرّة الفاخرة ١: ٢٠٠: أدنى من حبل الوريد. ولم أجد ما بعده.

(٢) السانية: الإبل يُستقى عليها الماء بالسّواني (الدواليب) سمّيت بأسمائها. وفي الدرّة الفاخرة ١: ٢٠٤ وثمار القلوب ص٣٥٥: أذلّ من بعير سانية.

وقال الحسن: الحفظة أربعة؛ اثنان بالنهار واثنان بالليل. و﴿قَعِيدٌ﴾ مفرد، فاحتمل أن يكون معناه مُقاعد كما تقول: جليس وخليط أي: مجالس ومخالط، وأن يكون عُدل من فاعل إلى فعيل للمبالغة كعليم. قال الكوفيون: مفرد أقيم مقام اثنين. والأجود أن يكون حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، أي: عن اليمين قعيد.

وظاهر ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ العموم، قال مجاهد: يكتب عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه. ﴿رَقِيبٌ﴾ يرقب. ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر.

و﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ معطوف على «إذ يتلقى». و«سكرة الموت» ما يعتري الإنسان عند نزاعه. والباء في ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ للتعدية أي: جاءت سكرة الموت الحق، وهو الأمر الذي أنطق الله تعالى به كتبه وبعث به رسله من سعادة الميت وشقاوته. أو للحال أي: ملتبسةً بالحق.

﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي: تميل، يقول: أعيش كذا وأعيش كذا، فمتى فكّر في قرب الموت، حاد بذهنه عنه، وأمّله إلى مسافة بعيدة من الزمن. ومن الحيد الحذر من الموت. وظاهر «تحيد» أنه خطاب للإنسان الذي جاءته سكرة الموت.

﴿سَآئِقٌ﴾ حاثٌّ على السير. ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليه.

قال الزمخشري[1]: ومحل «معها سائق» النصب على الحال من «كل» لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة انتهى.

لا ضرورة تدعو إلى الحال، بل الجملة في موضع الصفة إن أعربت

(١) الكشاف ٤: ٧.

«معها سائق» مبتدأ وخبراً، وإلاّ فـ«سائق» فاعل بالظرف قبله، لأنه قد اعتُمد(١)، فالظرف في موضع الصفة. وأما قوله: لتعرُّفه بالإضافة إلى ما هو في حكم المعرفة، فكلام ساقط، لا يصدر عن مبتدىء في النحو؛ لأنه لو نعت «كل نفس» ما نعت إلا بنكرة، فهو نكرة على كل حال. ولا يمكن أن يتعرف «كل» وهو مضاف إلى نكرة.

﴿لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ الآية، أي: من عاقبة الكفر، فلما كُشف الغطاء عنك، احتدّ بصرك أي: بصيرتك، وهذا كما تقول: فلان حديد الذهن. وكنّى بالغطاء عن الغفلة، كأنها غطّت جميعه [٥١٧/ب] أو عينيه فهو لا يبصر. فإذا كان في القيامة زالت عنه الغفلة، فأبصر ما لم يكن يبصره من الحق.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾(٢) هو الشيطان الذي قيّض له في [قوله ﴿نُقَيِّضْ لَهُ] شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]. يشهد(٣) له قوله ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴿٢٧﴾﴾ [ق]. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ هذا شيء لديَّ وفي ملكتي عتيد لجهنم. والمعنى أن ملكاً يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطاناً مقروناً به يقول: قد أعتَدْتهُ(٤) لجهنم وهيّأته لها(٥) بإغوائي وإضلالي.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب من الله للملكين السائق والشهيد. ﴿كُلَّ كَفَّارٍ﴾ مبالغة، أي: يكفر النعمة والمنعم. ﴿عَنِيدٍ﴾ منحرف عن الطاعة.

---

(١) لأنه قد اعتمد: أي: لأن الظرف تقدّم على الفاعل.

(٢) هذه الفقرة كلها من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤: ٧.

(٣) قبلها في ق: يشهد له قرين.

(٤) فوقها في ق: كذا.

(٥) ق: له. وفوقها: كذا.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: الزكاة. ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاكّ في الله تعالى أو في البعث، وقيل: متّهم.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الظاهر تعلّقه بما قبله على جهة البدل، ويكون «فألقياه» توكيداً.

﴿۞قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ لم تأت هذه الجملة بالواو بخلاف «وقال قرينه» قبله، لأن هذه استؤنفت كما استؤنفت[١] الجمل في حكاية التقاول، كمقاولة موسى وفرعون، فجرت مقاولة بين الكافر وقرينه، فكأنّ الكافر قال: ربّ هو أطغاني، قال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأما «وقال قرينه» فعطف للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول؛ أعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له. ومعنى ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ تنزيه لنفسه من أنه[٢] أثّر فيه. ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: من نفسه لا منّي، فهو الذي استحبّ العمى على الهدى. وكذب القرين، بل[٣] أطغاه بوسوسته وتزيينه.

﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ استئناف أيضاً مثل «قال قرينه». كأنّ قائلاً قال: [ما قال] الله؟. فقيل: قال لا تختصموا لديّ، أي: في دار الجزاء وموقف الحساب. ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ لمن عصاني فلم أترك لكم حجّة.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ أي: عندي، فما أمضيته لا يمكن تبديله. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ﴾ تقدّم الكلام[٤] [عليه]. والمعنى: لا أعذّب من لا يستحق العذاب.

---

(١) ق: استأنفت.

(٢) ق: الله.

(٣) ق: قد.

(٤) انظر تفسير الآية ١٨٢ من آل عمران.

وانتصاب «يوم» بـ«ظلاّم». قال الزمخشري[(١)]: ويجوز أن ينتصب بـ«نفخ»[(٢)] كأنه قيل: ونُفخ في الصور يوم نقول. وعلى هذا يشار بـ«ذلك» إلى «يوم نقول» انتهى.

هذا بعيد جداً، قد فُصل على هذا القول بين العامل والمعمول بجمل كثيرة. ولا يناسب هذا القول فصاحة القرآن وبلاغته.

و﴿هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾ تقرير وتوقيف لا سؤال استفهام حقيقة، لأنه تعالى عالم بأحوال جهنم. وقيل: السؤال والجواب من باب التصوير الذي يثبت المعنى، أي: حالها حال من [لو] نطق بالجواب لسائله لقال كذا. وهذا القول يُظهر أنها إذ ذاك لم تكن ملأى. فقولها ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [٥١٨/أ] سؤال ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها.

﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ خطاب للمؤمنين. و﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ هو البدل من «المتقين».

﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ«كلّ». قال الزمخشري[(٣)]: ولا يجوز أن يكون في حكم أوّاب وحفيظ، لأنّ «من» لا يوصف به، ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي انتهى.

يعني بقوله: في حكم أواب [وحفيظ] أن يُجعل من صفته، وهذا حكم صحيح. وأما قوله: ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي، فالحصر فيه ليس بصحيح. قد وصفت العرب بما فيه أل وهو موصول[(٤)] نحو: القائم

---

(١) الكشاف ٤: ٩.
(٢) الآية ٢٠ المتقدمة.
(٣) الكشاف ٤: ١٠.
(٤) ق: موصوف.

والمضروب، ووصفت بـ«ذو» الطائيّة و«ذات» في المؤنث. ومن كلامهم[١]: بالفضل ذو فضّلكم الله به، والكرامة ذات أكرمكم الله بها[٢]. [يريدون: بالفضل الذي فضّلكم] والكرامة التي أكرمكم.

ولا يريد الزمخشري خصوصية الذي، بل فروعه من المؤنث والمثنى والمجموع على اختلاف لغات ذلك[٣].

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نعتاً انتهى. هذا لا يجوز لأنّ «مَن» لا يُنعت بها.

و﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ حال من المفعول أي: وهو غائب عنه وإنما أدركه بالعلم الضروري إذ كلّ مصنوع لا بدّ له من صانع.

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من العذاب، أو مسلّماً عليكم من الله تعالى وملائكته. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ أي: يوم تقدير الخلود.

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: ما تعلّقت به مشيئاتهم من أنواع الملاذّ والكرامات. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة أو شيء مزيد على ما يشاؤون عند ربهم ونحوه. و«مزيد» مبهم فقيل: مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها، وقيل: تجلّي الله تعالى لهم حتى يروه[٤].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ الآية، أي: كثيراً أهلكنا قبلهم، أي: قبل

---

(١) ق: كلامكم.
(٢) ق: به. وبهامشه: هكذا مضبوط بخطّ العتّابي تلميذ الشيخ أثير الدين رحمهما الله.
(٣) بعده في ق: انتهى.
(٤) ق: يرونه.

قريش. ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ لكثرة قوتهم وأموالهم. والظاهر أن الضمير في «فنقبوا» عائد على «كم» أي: دخلوا البلاد من أنقابها، والمعنى: طوّفوا في البلاد. وقيل: نقّروا وبحثوا، والتنقيب التنقير والبحث. نقّبوا في البلاد من حذر الموت، وجالوا في الأرض كل مجال. و﴿فَنَقَّبُوا﴾ متسبّب عن شدة بطشهم، فهي التي أقدرتهم على التنقيب وقوَّتْهم عليه. ويجوز أن يعود الضمير في «فنقبوا» على قريش، أي: فنقّبوا في أسفارهم في بلاد القرون، فهل رأوا محيصاً حتى يؤمّلوه لأنفسهم.

ويدلّ على عَوْد الضمير على أهل مكة قراءة ابن عباس وغيره: فنقِّبوا، بكسر القاف مشدَّدة، على الأمر لأهل مكة؛ أي: فسيحوا في البلاد وابحثوا.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في إهلاك تلك القرون. ﴿لَذِكْرَىٰ﴾ لتذكرة واتّعاظاً. ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: واعٍ. والمعنى: لمن كان له عقل، وعبّر عنه بمحلّه. ومن له قلب لا يعي كمن[(١)] لا قلب له. وقرأ الجمهور: ألقى [٥١٨/ب] السمعَ، مبنيًا للفاعل، والسمعَ نُصب به، أي: أوأصغى بسمعه لهذه[(٢)] الأنباء الواعظة. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر الذهن متفطّن لما أصغى إليه سمعه مفكّر فيه. فـ«شهيد» من المشاهدة وهو الحضور.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ

(١) ق: لمن.

(٢) ق: هذه.

وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ نزلت[1] في اليهود تكذيباً لهم في قولهم إنه تعالى استراح من خلق السماوات والأرض في ستة أيام يوم السبت واستلقى على العرش.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ احتمل أن تكون جملة حالية، واحتمل أن تكون استئنافاً. واللغوب: الإعياء.

﴿فَٱصْبِرْ﴾ قيل: منسوخ بآية السيف[2]. ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم من الكفّار، قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: فصلِّ. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ هي صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ هي صلاة العصر، وقيل غير ذلك.

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ أَمْر بالاستماع. والظاهر أنه أريد [به] حقيقة الاستماع، والمستَمَع له محذوف تقديره: واستمع لما أخبر به من حال يوم القيامة. وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبَر به كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ[3] «يا معاذ اسمع ما أقول لك. ثم حدّثه بعد ذلك». وانتصب «يوم» بما دلّ عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾، أي: يوم ينادي المنادي يخرجون من القبور.

وقيل: مفعول «استمع» محذوف تقديره: نداء المنادي، وقيل: تقديره:

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٦٦، ولباب النقول ص١٩٩.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

(٣) انظر مِثْله في تهويل شأن المخبَر به ما أخرجه البخاري ٥ : ٢٣٨٤ من حديث رسول الله ﷺ لمعاذ.

نداء الكافر بالويل والثبور، وقيل: لا يحتاج إلى مفعول إذ حذف اقتصاراً، والمعنى: كن مستمعاً ولا تكن غافلاً معرضاً.

[وقيل: معنى «واستمع»] وانتظر. والخطاب[1] لكل سامع. وفي الحديث[2] «إن ملكاً ينادي من السماء: أيتها الأجسام الهامدة والعظام البالية والرّمم الذاهبة، هلمّوا إلى الحشر والوقوف[3] بين يدي الله تعالى». ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وصفه بالقرب من حيث يسمع جميع الخلق. قيل: والمنادي إسرافيل عليه السلام، ينفخ في الصور وينادي. والمكان القريب هي صخرة بيت المقدس لقربها من السماء بثمانية عشر ميلاً.

﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من «يوم يناد». و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ صيحة المنادي، قيل: يسمعون من تحت أقدامهم، وقيل: من تحت شعورهم، وهي النفخة الثانية. و﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلّق بـ«الصيحة» والمراد به البعث والحشر. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع. يوم الخروج من القبور. وقيل: الإشارة بـ«ذلك» إلى النداء، أي: ذلك النداء، واتُّسع في الظرف فجُعل خبراً عن المصدر، و﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» الثاني.

وانتصب ﴿سِرَاعًا﴾ على الحال من الضمير في «عنهم» والعامل «تشقق».

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فصل [٥١٩/أ] بين الموصوف وصفته بمعمول الصفة وهو «علينا» أي: يسير علينا، وحَسُن ذلك لأجل كون الصفة فاصلة.

---

(١) ق: الخطاب.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٦: ١١٤ من حديث كعب الأحبار.

(٣) ق: هلمّ.. الوقوف.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ هذا وعيد محض للكفار وتهديد لهم وتسلية[١] للرسول عليه السلام. ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي: بمتسلّط حتى تجبرهم على الإيمان.

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ لأنّ من لا يخاف الوعيد لكونه غير مصدّق بوقوعه لا يُذَكَّر، إذ لا تنفع فيه الذكرى، كما قال ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]. وختمت بقوله «فذكر بالقرآن» كما افتتحت بـ«قَ والقرآن المجيد».

(١) ق: وتسديد.

سورة الذاريات[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ
مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١
يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ
ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِىٓ
أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝١٩ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ
أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣ ﴾ .

﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه قال «فذكّر بالقرآن»[2] وقال أول هذه بعد القسم «إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع».

و«الذاريات» الرياح. و«فالحاملات» السحاب. «فالجاريات» الفلك. «فالمقسمات» الملائكة. هذا تفسير عليّ رضي الله عنه على المنبر، وقد سأله

---

(١) مكية وهي ستون آية.

(٢) الآية الأخيرة من ق.

ابن الكواء، وقاله ابن عباس. والظاهر أن الآية في الكفار وأنه وعيد محض.

﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء. ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ أي: صار حقيقة على المكلّفين من الإنس والجن.

والظاهر في ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أنه جنس أريد به جميع السماوات. ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي: ذات الخلق المستوي الجيد. وقيل ذات الطرائق يعني المجرّة التي في السماء. وجواب القسم ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾. والظاهر أنه خطاب عام للمسلم والكافر، كما أن جواب القسم السابق يشملهما. واختلافهم كونهم مؤمناً بالرسول وكتابه وكافراً به.

﴿يُؤْفَكُ﴾ أي: يُصرف. ﴿عَنْهُ﴾ عن القرآن أو الرسول، مَن أُفِك أي: من صُرف الصرف الذي لا صَرْف[1] أشدّ منه وأعظم.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ دعاء عليهم وهم أصحاب القول المختلف مكذّبو الرسول عليه السلام.

﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم. ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عمّا أُمروا به.

﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: متى وقت الجزاء، سؤال تكذيب واستهزاء.

﴿يَوْمَ هُمْ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو، أي: الجزاء. ﴿يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذّبون في النار.

﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي: يقال لهم: ذوقوا. ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى﴾ مبتدأ وخبر. واستعجالهم قولهم «أيان يوم الدين».

ولما ذكر حال الكفار ذكر حال المؤمنين. وانتصب «آخذين» على الحال

---

(١) ق: يصرف. وكررت «الصرف» فيها.

[٥١٩/ب] أي: قابليه راضين به، وذلك في الجنة.

والظاهر أن «قليلا» ظرف، وهو في الأصل صفة أي: كانوا في قليل من الليل. ويجوز أن يكون نعتاً لمصدر محذوف تقديره: كانوا يهجعون هجوعاً قليلاً. و«ما» زائدة في كلا الإعرابين.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فيه ظهور على أن تهجّدهم يتّصل بالأسحار، فيأخذون في الاستغفار ممّا يمكن أن يقع فيه تقصير. والأسحار مظنّة الاستغفار.

والحقّ هنا هو الزكاة المفروضة. و«للسائل» الذي يستعطي. و«المحروم» الممنوع من الشيء.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ﴾ تدلّ على الصانع وقدرته وتدبيره من حيث هي كالبساط لما فوقها، وفيها الفجاج[1] للسُّلاّك. وهي متجزّئة من سهلٍ ووعر وبحر [وبرّ] وقطع متجاورات، من صلبة، ورخوة، ومنبتة، وسبخة، وتُلقح بأنواع النبات، وفيها العيون والمعادن والدوابّ المنبثّة، في بحرها وبرّها، المختلفة الأشكال. ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾ وهم الذين نظروا النظر الصحيح، وأدّاهم ذلك إلى إيقان[2] ما جاءت به الرسل، فأيقنوا به، لم يدخلهم في ذلك ريب.

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ في حال ابتدائها وانتقالها من حال إلى حال، وما أودع في شكل الإنسان من لطائف الحواس وما ترتّب على العقل الذي أُوتِيَهُ من بدائع العلوم وغريبُ الصنائع، وغير ذلك ممّا لا ينحصر.

---

(١) ق: الصحاح.

(٢) ق: إتقان.

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ وهو المطر والثلج لأنه سبب الأقوات. وكل عين دائمة هي من الثلج. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وهي الجنّة.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الإخبار السابق من الله تعالى فيما تقدّم في هذه السورة من صدق الموعود، ووقوع الجزاء، وكونهم في قول مختلف وقَتْل الخرّاصين، وكينونة المتقين في الجنة، على ما وصف وذكر أوصافهم، وما ذكر بعد ذلك. ولذا شُبّه في الحقيقة بما يصدر من نطق الإنسان بجامع ما اشتركا فيه من الكلام. وقرىء: مِثْلُ، بالرفع صفة لـ«حقّ». وقرىء بالفتح وهي حركة بناء، لمّا أضيف إلى مبني بُني. وينسبك ما بعده مصدر تقديره: مثلُ نطقكم [أي: لحقٌّ مثلُ حقّ نطقكم].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ الآية، «هل أتاك» تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرء، إذا أردت أن تحدّثه بعجيب، فتقرّره هل سمع ذلك أم لا، فكأنك تقتضي أن يقول لا، ويستطعمك[1] الحديث. وبدأ

(١) استطعمه الحديث: استفتحه.

بقصة إبراهيم عليه السلام، وإن كانت متأخرة عن قصّة عاد، هزّاً للعرب إذ كان أباهم الأعلى، ولكون الرسل الذين وفدوا عليه، جاؤوا بإهلاك قوم لوط، إذ قد كذبوه. ففيه وعيد للعرب وتهديد، واتّعاظ وتسلية للرسول عليه السلام عمّا[١] يجري عليه من قومه، ووصفهم بالمكرمين لكرامتهم عند [٥٢٠/أ] الله تعالى. وتقدم ذكر عددهم في سورة هود[٢].

و«إذ» معمولة لقوله «حديث». و«ضيف» الجماعة والواحد فيه سواء. والظاهر أنهم دخلوا عليه بغير استئذان منه لهم. وانتصب «سلاما» على إضمار [فعل] تقديره: سلّمنا سلاماً. وفي ذلك دليل على أن الوارد على قوم يبدؤهم بالسلام، ويردّون هم عليه. وارتفع «سلام» على إضمار [خبر] تقديره: عليكم سلام. ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ الذي يناسب حال إبراهيم عليه السلام أنه لا يخاطبهم بذلك؛ إذ فيه من عدم الأنس ما لا يخفى، بل يظهر أنه يكون التقدير: هؤلاء قوم منكرون. وقال ذلك مع نفسه أو لمن كان من أتباعه وغلمانه بحيث لا يسمع ذلك الأضياف. والظاهر أنّ أنتم[٣] خطاب للضيف، والمعنى أنكم قوم لم يتقدم لنا علم بكم، فأخبروه أنهم رسل الله.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ أي: مضى إلى أهله. ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ فيه دليل على المبادرة لإكرام الضيف، وتقديم أحسن ما يقدَّم للضيف.

﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه أدب المضيف من تقريب القِرى لمن يأكل، وفيه العرض على الأكل، فإنّ في ذلك تأنيساً للآكل. وثَمَّ صفة محذوفة تقديره[٤]:

---

(١) ق: وإن كانت متأخرة عمّا.

(٢) انظر تفسير الآية ٦٩ من هود.

(٣) على تقدير: أنتم قوم منكرون، انظر البحر ٨: ١٣٩.

(٤) فوقها في ق: كذا.

سمين محنوذ، أي: مشوي.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: فلمّا استمرّوا على الامتناع من الأكل، أوجس منم خيفة. وذلك أنّ أكل الضيف أَمَنة[١] ودليل على انبساط نفسه، وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة. فخشي إبراهيم عليه السلام أن [يكون] امتناعهم من أكل طعامه إنما هو لشرٍّ يريدونه، فقالوا لا تخف، وعرّفوه أنهم ملائكة الله تعالى. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ﴾ وقعت البشارة بعد التأنيس والجلوس. وكانت البشارة بذَكَر، لأنه أسرّ للنفس وأبهج. ووصفه بـ«عليم» لأنها الصفة التي يختصّ بها الإنسان الكامل، وفيه تبشير[٢] بحياته حتى يكون من العلماء.

﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي: [إلى] بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم وتسمع كلامهم. والصَّرة: الصيحة، وقيل الجماعة من النسوة. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي: لطمَتْه، وهو فِعْل النساء إذا تعجّبن من شيء. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي: أنا قد اجتمع فيّ أني عجوز، وذلك مانع من الولادة، وأني عقيم لم أَلِدْ قطّ، فكيف ألد؟ تعجّبَتْ [من ذلك].

﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ﴾ أي: مثل ذلك القول الذي أخبرناك به قال ربك، وهو القادر على إيجاد ما يُستعبد.

ولمّا علم إبراهيم عليه السلام أنهم ملائكة، وأنهم لا ينزلون إلا بإذن الله تعالى رسلاً، قال: «فما خطبكم». والخطب: الأمر الذي فيه غرابة. وفي قوله «أيها المرسلون» دليل على أنه عرفهم أنهم رسل الله تعالى جاؤوا بأمر عظيم.

---

(١) الأمنة بالتحريك: الأمن.

(٢) ق: تيسير.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ أي: ذوي جرائم، وهي كبار المعاصي من كفر وغيره. وأتى بـ«قوم» نكرة، وقد صرّح في آية أخرى ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ[٥٢٠/ب] قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠﴾ [هود].

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لنهلكهم بها. ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ وهو السجّيل، طين يُطبخ كما يُطبخ الآجرّ حتى يصير[1] في صلابة الحجارة.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة، على كل واحد منها اسم صاحبه. ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ وهم المجاوزون الحدّ في الكفر وغيره.

﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ هو من كلام الله تعالى. ﴿مَن كَانَ فِيهَا﴾ أي: في القرية التي حلّ العذاب بأهلها.

﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ هو بيت لوط عليه السلام. وهو لوط عليه السلام وابنتاه فقط، وقيل ثلاثة عشر نفساً[2].

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي: [في القرية. ﴿ءَايَةً﴾ علامة. قال ابن جريج: حجراً كبيراً جداً منضوداً. وقيل ماء أسود منتن. ويجوز أن يكون «فيها» عائداً على الإهلاكة التي أُهلكوها فإنها من أعاجيب الإهلاك بجعل أعالي القرية أسافل وإمطار الحجارة.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝٤٠ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ۝٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ۝٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ

---

(١) ق: يصيره.

(٢) ذكّروا النفس لأنهم يريدون بها الإنسان.

تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا
فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

والظاهر أن قوله ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ﴾ معطوف على «وتركنا فيها» أي]: وفي قصة موسى.

وقال الزمخشري[١] وابن عطية: يكون عطفاً على ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الذاريات][٢] وفي موسى. وهذا بعيد جدًّا، يُنزَّه القرآن عن مثله. ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ هو البرهان الذي ظهر على يديه من قلب العصا واليد البيضاء وغير ذلك.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أي: أعرض وازورّ، كما قال ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء].
﴿وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ تردّد في كذبه.

﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ أي: رميناهم في البحر كما ترمى الحصى[٣]. ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتى من المعاصي ما يُلام عليه من دعواه الإلهيّة[٤] وغير ذلك.

و﴿ٱلْعَقِيمَ﴾ التي لا خير فيها من إنشاء مطر أو إلقاح شجر.

﴿مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ أي: سُلّطت عليه. ﴿إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ جملة

(١) الكشاف ٤: ١٩.
(٢) وبقية عبارة الكشاف: أو على قوله «وتركنا فيها آية» على معنى: وجعلنا في موسى آية.
(٣) ق: العصا.
(٤) ق: إلهيّة.

حالية. والرميم تقدّم تفسيره في يس[١].

﴿تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال الحسن: هذا كان حين بُعث إليهم صالح، أُمروا بالإيمان بما جاء به، والتمتع إلى أن تأتي آجالهم، ثم إنهم عَتَوْا بعد ذلك. ولذلك جاء العطف بالفاء المقتضية تأخّر العتوّ عمّا أُمروا به، فهو مطابق لفظاً ووجوداً. و﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[٢] الصيحة. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي: فجأة وهم ينظرون بعيونهم[٣]، وكانت نهاراً. [أو] «وهم ينظرون» ينتظرون ذلك في تلك الأيام الثلاثة التي أُعلموا بها، ورأوا علاماته في قلوبهم. وانتظار العذاب أشدّ من العذاب.

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ كقوله ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف]. ونفي الاستطاعة أبلغ من نفي القدرة. ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أبلغ من نفي الانتصار، أي: فما قدروا على الهرب، ولا كانوا ممّن ينتصر لنفسه، فيدفع ما حلّ به.

وقرىء: وقومِ نوح، بالجرّ عطفاً على المجرور قبل ذلك. وبالنصب على إضمار فعلٍ تقديره: وأهلكنا قوم نوح.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ

(١) انظر الآية ٧٨ من يس.
(٢) ق: وجوداً أو الصاعقة.
(٣) ق: بعتوهم.

عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ
وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا
يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الآية، أي: وبنينا السماء، فهو من باب الاشتغال. وكذا «والأرض فرشناها». «بِأَيْدٍ» أي: بقوة قاله ابن عباس. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي: بناءها. فالجملة حاليّة أي: بنيناها بتوسيعها، كقوله: جاء زيد وإنه لمسرع، أي: مسرعاً. فهي بحيث إن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء كالنقطة في وسط الدائرة.

﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ المخصوص بالمدح محذوف [٥٢١/أ] تقديره: نحن.

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: من الحيوان خلقنا زوجين ذكراً وأنثى. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ عظيم قدرتنا.

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أمرٌ بالدخول في الإيمان وطاعة الله تعالى. وجَعَل الأمر بذلك بلفظ الفرار لينبّه على أنّ وراء الناس عقاباً وعذاباً وأمراً حقّه أن يُفَرَّ منه، فجمعت لفظة «ففرّوا» بين التحذير والاستدعاء. وينظر إلى هذا المعنى قول النبي عليه السلام[1] «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» ﴿إِنِّى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي: من العذاب نذير مبين.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ نهى عن جعل شريك لله تعالى وكرر ﴿إِنِّى لَكُم [مِّنْهُ] نَذِيرٌ﴾ على سبيل التوكيد.

---

(١) أخرجه البخاري ١: ٩٧ من حديث البراء بن عازب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر الأمم السابقة عند مجيء الرسل إليهم مثل الأمر من الكفار الذين[1] بُعثتَ إليهم وهو التكذيب. ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ «أو» للتفصيل، أي: قال بعض: ساحر، وقال بعض: مجنون، وقال بعض كليهما. ألا ترى أن قوم نوح لم يقولوا عنه ساحر بل قالوا ﴿بِهِۦ جِنَّةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون] فجُمعوا في الضمير ودلّت «أو» على التفصيل.

﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: بذلك القول. وهو توقيف وتعجيب من توارد نفوس الكفرة على تكذيب الأنبياء، مع افتراق أزمانهم. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يتواصوا به، لأنهم لم يكونوا في زمان واحد، بل جمعهم علّة واحدة، وهي كونهم طغاة، فهم مستعلون في الأرض مفسدون فيها عاتون.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن الذين كرّرتَ عليهم الدعوة فلم يجيبوا. ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ إذ قد بلّغت ونصحت.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ[2] تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تؤثّر فيهم وفيمن قدّر الله تعالى أن يؤمن. وما دلّ عليه الظاهر من الموادعة منسوخ بآية السيف[3]. وعن عليّ رضي الله عنه[4]: لمّا نزل «فتول عنهم فما أنت بملوم» حزن المسلمون وظنّوا أنه أمر بالتولّي عن الجميع، وأن الوحي قد انقطع، حتى نزلت «وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين» [فسُرّوا بذلك].

﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: مُعَدِّين ليعبدون. وكأنّ الآية تعديد نعمه؛ أي:

(١) ق: الذي.
(٢) في هامش ق: فقط. وتحته: كذا في الأصل.
(٣) الآية ٥ من التوبة.
(٤) انظر الطبري ٢٧: ٧.

خلقت لهم حواسّ وعقولاً وأجساماً منقادة نحو العبادة، كما تقول: هذا مخلوق لكذا، وإن لم يصدر منه الذي خُلق له، كما تقول: القلم مبريّ لأنه يُكتب به، وقد يُكتب به وقد لا يُكتب به.

﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا خَلْقي، فهو على حذف مضاف، فالإضافة إلى الضمير تجوز، قاله ابن عباس.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد القوة العظيمها[1].

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هم أهل مكة وغيرهم من الكفار الذين كذبوا الرسول[2] عليه السلام. ﴿ذَنُوبًا﴾ أي: حظًّا ونصيباً. ﴿مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَـٰبِهِمْ﴾ من الأمم السابقة التي كذبت الرّسل في الإهلاك [٥٢١/ب] والعذاب. ويجمع في القلّة على أذنبة وفي الكثرة على ذنابيب. وقال علقمة بن عبدة[3]: [من الطويل]

وفي كل حيٍّ قد خبطتَ بنعمةٍ فَحُقَّ لشأسٍ[4] من نداك ذَنوب

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ﴾ قيل يوم بدر، وقيل يوم القيامة. ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ أي: به أو يوعَدونه.

(١) فوقها في ق: كذا.
(٢) ق: الرسل.
(٣) البيت في المفضليات ص٣٩٦.
(٤) ق: للشاس.

سورة الطور[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ ۝١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾.

﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة، إذ في آخرها «فإن للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم»[2] وقال هنا «إن عذاب ربك لواقع». و«الطور» الجبل. والظاهر أنه اسم جنس لا جبل معيّن. وفي الشام جبل يسمّى الطّور وهو طور سيناء. وقال نوف البكالي إنه الذي أقسم الله تعالى به لفضله على الجبال. قيل: وهو الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام.

والكتاب المسطور: القرآن والكتب الإلهية.

﴿فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ﴾ أي: مبسوط، وقيل مفتوح لا ختم عليه.

---

(١) مكية وهي تسع وأربعون آية.

(٢) الآية ٥٩ من الذاريات.

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ قال علي رضي الله عنه وابن عباس: هو بيت في السماء مُسامِتٌ للكعبة، يقال له الضُّراح والضّريح، وهو الذي ذكر في حديث الإسراء[1] «قال جبريل عليه السلام: هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم».

﴿ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴾ السماء. قال ابن عباس: هو العرش وهو سقف الجنة.

﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ قال مجاهد وشمر بن عطية: هو البحر الموقد ناراً. وروي أن البحر هو جهنم. والواو الأولى واو القسم وما بعدها للعطف.

والجملة المقسم عليها هي قوله «إن عذاب ربك لواقع». وفي إضافة «العذاب» لقوله «ربك» لطيفة؛ إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبيد، فبالإضافة إلى الربّ وإضافته لكاف الخطاب أمان له عليه السلام وأن العذاب الواقع هو بمن كذّبه. و«لواقع» يدلّ على الشدّة، وهو أدلّ عليها من: لكائن. ألا ترى إلى قوله ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ ﴾ [الواقعة] وقوله ﴿ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۝٢٢ ﴾ [الشورى] كأنه مهيَّأ في مكان مرتفع فيقع على من حلّ به. وعن جبير بن مطعم[2] قال: قدمت المدينة لأسأل رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فوافيته يقرأ في صلاة المغرب «والطور» إلى «إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع» فكأنما صُدع قلبي فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت [٥٢٢/أ] أظن أن أقوم من مقامي حتى يقع بي العذاب.

وانتصب «يوم» بـ«دافع»، ويجوز أن ينتصب بقوله «لواقع» والجملة بعدها اعتراض بين العامل والمعمول. ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ﴾ قال ابن عباس: تضطرب.

---

(١) أخرجه البخاري ٣: ١١٧٤ من حديث أنس بن مالك ومالك بن صعصعة.

(٢) انظر القرطبي ١٧: ٦٢.

﴿ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ﴾ هذا في أول الأمر، ثم تُنسف حتى تصير آخراً كالعهن المنفوش.

﴿ فَوَيْلٌ﴾ عطف جملة على جملة تتضمن ربط المعنى وتأكيده.

والخوض: التخبّط[١] في الباطل، وغلب استعماله في الاندفاع في الباطل.

﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلّون أيدي الكفار إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعون بهم إلى النار دفعاً على وجوههم وزجّا[٢] في أقفيتهم، يقال لهم ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

ثم قيل لهم على قطع رجائهم ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ عذابكم حتم، فسواء صبركم وجزعكم، لا بدّ من جزاء أعمالكم.

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ
مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم
بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا
كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا
كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

(١) ق: التخليط.

(٢) فوقها في ق: كذا.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ لمّا ذكر حال الكفّار ذكر حال المؤمنين ليقع الترهيب والترغيب، وهو إخبار عمّا يؤول إليه حال المؤمنين أُخبروا بذلك. وخبر[1] «إن» «في جنات ونعيم».

وانتصب «فاكهين» على الحال، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور. [«فاكهين» مسرورين فرحين، وقيل من التفكّه]. و«ما» في قوله «بما» موصولة بمعنى الذي، والعائد عليها محذوف تقديره: آتاهموه. ويجوز أن تكون مصدرية، ومفعول «آتاهم» محذوف أي: بإيتائهم[2] ربهم الجنّة.

﴿هَنِيٓـًٔا﴾ تقدم الكلام عليه في النساء[3]، والمعنى هنا: هنأكم النعيم بسبب عملكم.

وانتصب «متكئين» على الحال. و«على سرر» متعلق به. «وزوجناهم» قرنّاهم، والتزويج كناية عن ذلك كما قال تعالى ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة].

وقال الزمخشري[4]: «والذين آمنوا» معطوف على حور عين، أي: قرنّاهم بالحور العين وبالذين آمنوا، أي: بالرفقاء وبالجلساء منهم، كقوله ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة

---

(١) ق: خبر.

(٢) ق: بإتيان.

(٣) انظر تفسير الآية ٤ من النساء.

(٤) الكشاف ٤: ٢٤.

بمؤانسة الإخوان المؤمنين، «وأتْبَعْناهم ذرّياتهم»[1] - ثم ذكر حديث ابن عباس ثم قال: فيجمع الله لهم أنواع السّرور بسعادتهم في أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الإخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم. ثم قال: «بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم» أي: بسبب إيمان عظيم رفيع المحلّ وهو إيمان الآباء، ألحقنا بدرجاتهم ذرّيتهم وإن كانوا لا يستأهلونها، تفضّلاً عليهم وعلى آبائهم ليتمّ سرورهم ويكمل نعيمهم. فإن قلت: ما معنى تنكير الإيمان؟. قلت: معناه الدلالة على أنه إيمان خاص عظيم المنزلة. ويجوز أن يراد إيمان الذرّية الدّاني المحلّ كأنه قال: بشيء من الإيمان لا يؤهّلهم لدرجة الآباء ألحقنا بهم [٥٢٢/ب] انتهى.

ولا يتخيل أحد أن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معطوف على «بحور عين» غير هذا الرجل، وهو تخيّل أعجمي مخالف لفهم العربي القحّ ابن عباس رضي الله عنه وغيره. والأحسن من هذه الأقوال قول ابن عباس، ويعضده الحديث الذي رواه؛ لأنّ الآيات كلها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنّة. فذكر من جملة[2] إحسانه أنه يرعى المحسن في المسيء. ولفظة «ألحقنا» تقتضي أن للملحَق بعض التقصير في الأعمال، فيكون إعراب «والذين» مبتدأً، و«أتبعناهم»[3] معطوف على «آمنوا»، و«بإيمان» متعلق بقوله «وأتبعناهم» ونكّره اكتفاءً[4] بحصول الإيمان وإن كان الإنسان مقصّراً في العمل. وخبر «والذين» قوله «ألحقنا بهم». ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم﴾ أي: نقصناهم.

---

(١) ق: ذرّيتهم. وما في النص هو قراءة أبي عمرو، انظر المهذب ٢: ٣٧٨.

(٢) ق: جهة.

(٣) قراءة أبي عمرو: وأتبعناهم ذرّياتهم، انظر البحر ٨: ١٤٩.

(٤) ق: اعتناء.

والظاهر أن الضمير في «ألتناهم» عائد على المؤمنين. والمعنى أنه تعالى يُلحق المقصّر بالمحسن ولا ينقص المحسن من أجره شيئاً، وهذا تأويل ابن عباس. ﴿بِمَا كَسَبَ[1]﴾ متعلق بـ«رهين».

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ أي: يسّرنا[2] لهم شيئاً فشيئاً حتى يكثر ولا ينقطع.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾ أي: يتعاطون فيها. والتنازع: التجاذب ملاعبةً؛ إذ أهل الدنيا لهم في ذلك لذة فكذلك في الجنة. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قرىء برفعهما. واللغو: السقط من الكلام كما يجري بين شُرّاب الخمر في الدنيا. والتأثيم: الإثم الذي يلحق شارب الخمر في الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مماليك. ﴿مَّكْنُونٌ﴾ أي: في الصدف لم تَنَلْه الأيدي وهو إذ ذاك رطب فهو أحسن وأصفى.

والظاهر أن التساؤل هو في الجنّة؛ إذ هذه كلها معاطيف بعضها على بعض، أي: يتساؤلون عن أحوالهم، وما نال[3] كل واحد منهم. ويدلّ عليه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بهذا النعيم الذي نحن فيه.

﴿مُشْفِقِينَ﴾ رقيقي القلوب خاشعين لله تعالى.

و﴿ٱلسَّمُومِ﴾ هنا النار. وقال الحسن: اسم من أسماء جهنم.

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل لقاء الله تعالى والمصير إليه. ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ونسأله الوقاية من عذابه. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ المحسن. ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الكبير

(١) ق: كسبت.
(٢) ق: سريت.
(٣) ق: يأكل.

الرحمة، إذا عُبد أثاب، وإذا سئل أجاب.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ
بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم
بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ
ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ
يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ
يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ
بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾.

﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ الآية، أمره بالتذكير إنذاراً للكافر وتبشيراً للمؤمن، ونفى عنه ما كان الكفار ينسبونه إليه من الكهانة والجنون؛ إذ كانا طريقين للإخبار ببعض المغيّبات، وكان للجنّ بهما ملابسة للإنس. وممّن كان ينسبه إلى الكهانة شيبة بن ربيعة، وممّن كان ينسبه إلى الجنون عقبة بن أبي معيط. والمعنى أنه عليه السلام انتفت عنه صفات النقص من الكهانة والجنون بسبب ما أنعم الله به عليه من النبوّة والرسالة.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ[1] ﴾ روي أن [٥٢٣/أ] قريشاً اجتمعت في دار الندوة،

---

(١) ق: شاعراً.

وكثرت آراؤهم فيه عليه السلام حتى قال قائل منهم وهم بنو عبد الدار - قاله الضحاك -: تربّصوا به ريب المنون فإنه شاعر سيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى. فافترقوا على هذه المقالة فنزلت[١] الآية.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ أي: عقولهم. ﴿بِهَٰذَآ﴾ أي: بقولهم كاهن وشاعر ومجنون، وهو قول متناقض. وكانت قريش تُدعى أهل الأحلام والنُّهى. وقيل لعمرو بن العاص رحمه الله: ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى بالعقل؟. فقال: تلك عقول كادها الله تعالى، أي: لم يصحبها التوفيق.

والهمزة في «أم تأمرهم» قيل: أم بمعنى الهمزة أي: أتأمرهم، وقدّرها مجاهد ببل. والصحيح أنها تُقدّر ببل والهمزة.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: مجاوزون الحدّ في العناد مع ظهور الحقّ لهم.

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من قبل نفسه، كما قال ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحاقة]. ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لكفرهم وعنادهم.

ثم عجّزهم بقوله ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: مماثل للقرآن في نظمه ورصفه ووصفه من البلاغة وصحة المعاني والإخبار بقصص الأمم السالفة والمغيبات والحكم. ﴿إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه تقوّله، فليتقوّلوا هم مثله؛ إذ هو واحد منهم، فإن كانوا صادقين، فليكونوا مثله في التقوّل.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ وقفهم، على جهة التوبيخ، على أنفسهم، أهم الذين خلقوا الأشياء [فهم] لذلك يتكبّرون؟. ثم خصّص من تلك الأشياء

(١) انظر لباب النقول ص٢٠١.

السماوات والأرض لعظمها وشرفها في المخلوقات. ثم حكم عليهم بأنهم لا يوقنون، ولا ينظرون نظراً يؤدّيهم إلى اليقين.

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ أي: خزائن الرزق حتى يرزقوا النبوّة من شاؤوا، أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاوروا لها مَن اختياره حكمة ومصلحة. ﴿أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبّروا أمر النبوّة، ويبنوا الأمر على إرادتهم.

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ﴾ منصوب إلى السّماء. ﴿يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ﴾ أي: عليه أو منه؛ إذ حروف الجرّ قد يسدّ بعضها مسدّ بعض. ﴿بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجّة واضحة تصدق استماع مستمعهم.

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا﴾ على الإيمان بالله وتوحيده واتّباع شرعه، فهم من ذلك المغرم الثقيل اللازم مثقلون، فاقتضى زُهْدَهم في اتّباعك.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ. ﴿فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ﴾ ما فيه حتى يقولوا: لا نُبعث وإن بُعثنا لا نُعذَّب.

﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ﴾ أي: بك وبشرعك، وهو كيدهم به في دار الندوة. ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فهم، وأبرز الظاهر تنبيهاً على العلّة. أو «الذين كفروا» عامّ [٥٢٣/ب] فيندرجون فيه. ﴿هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ أي: الذين يعود عليهم وبال كيدهم، ويحيق بهم مكرهم، وذلك أنهم قُتلوا يوم بدر. وسمّى غلبتهم كيداً، إذ كانت عقوبة الكيد.

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ﴾ يعصمهم ويدفع في صدر إهلاكهم. ثم نزّه تعالى نفسه عمّا يشركون به من الأصنام والأوثان.

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا﴾ كانت قريش قد اقترحت على رسول الله ﷺ فيما اقترحت

قولهم ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء] فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عياناً حسب اقتراحهم، لبلغ بهم عتوّهم وجهلهم أن يغالطوا أنفسهم فيما عاينوه، وقالوا: هو سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا، وليس بكسف ساقط للعذاب.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ أمر موادعة منسوخ بآية السيف[1]. ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ﴾ أي: يوم موتهم واحداً واحداً. والصّعق: العذاب.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: لهؤلاء[2] الظّلمة. ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون يوم القيامة وقبله، وهو يوم بدر والفتح، قاله ابن عباس.

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن الحفظ والكلاءة. وجُمع لأنه أضيف إلى ضمير الجماعة، وحين[3] كان الضمير مفرداً أفرد العين؛ قال تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ وهو قول: سبحان الله، عند كل قيام.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قيل[4]: صلاة المغرب والعشاء. ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ صلاة الصبح.

---

(١) الآية ٥ من التوبة.

(٢) ق: هؤلاء.

(٣) ق: وخبر.

(٤) ق: فسبّح قبل.

سورة النجم(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ
هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ
ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ
أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً
أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا
زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾.

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة؛ لأنه قال ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۝٣٣﴾ [الطور] أي: اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن، هو مجنون. فأقسم تعالى أنه عليه السلام ما ضلّ، وأن ما يأتي به هو وحي من الله تعالى. وهي أول سورة أعلن(2) رسول الله ﷺ بقراءتها في الحرم، والمشركون يسمعون. وفيها سجد وسجد معه المؤمنون والمشركون والجن والإنس غير أبي لهب، فإنه رفع حفنة من تراب إلى جبهته وقال: يكفي هذا. وسبب نزولها قول المشركين إنّ محمداً يختلق القرآن. وأقسم تعالى بالنجم وهو هنا اسم جنس والمراد النجوم إذا هوت أي: غربت.

---

(1) مكية وهي اثنتان وستون آية.

(2) ق: أعلى.

وقيل «النجم» معيّن وهو الثريا. وهُوِيُّها: سقوطها مع الفجر. وهو عَلَم عليها بالغلبة، ولا تقول العرب «النجم» مطلقاً إلا للثريّا. و«إذا» ظرف زمان [٥٢٤/أ] والعامل فيه محذوف تقديره: كائناً إذا هوى. وكائناً: منصوب على الحال. أقسم تعالى بالنجم في حال هُوِيّه.

﴿مَاضَلَّ﴾ جواب القسم. و﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: الرسول عليه السلام. ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي: عن هوى نفسه ورأيه. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ﴾ من عند الله تعالى يوحى إليه.

﴿عَلَّمَهُۥ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام، فالمفعول الثاني محذوف، أي: علّمه الوحيَ[1]. ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه السلام وهو مناسب للأوصاف التي بعده.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي: ذو قوة. ومنه[2] «لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مرّة سويّ». «فاستوى» أي: جبريل في الجو. ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إذ رآه الرسول عليه السلام بحراء قد سدّ الأفق، له ستّ مئة جناح. وحينئذٍ دنا من محمد ﷺ حتى[3] كان قاب قوسين. وكذلك هو المرئي في النّزلة[4] الأخرى [له] ستّ مئة جناح عند سدرة المنتهى.

﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ. «فتدلّى» فتعلّق عليه في الهواء.

﴿فَكَانَ﴾ مقدار مسافة قربه مثل ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي: قدر قوسين. فحذفت

---

(١) ق: الرسول. وانظر وجهاً آخر في البحر ٨: ١٥٧.

(٢) أخرجه أبو داود ٢: ١١٨ من حديث عبد الله بن عمرو.

(٣) ق: حين.

(٤) ق: المنزلة.

هذه المضافات. والظاهر أن الدنوّ والتدلّي كان بين جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله «ولقد رآه نزلة أخرى».

و﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قيل: هي شجرة نَبِق[١] في السماء السابعة ثمرها كقِلال هَجَر[٢]، وورقها كآذان الفيلة، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها. و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ موضع الانتهاء، كأنه ينتهي إليها علم كلّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صعداً إلا الله تعالى. وقال الشاعر في وصف الرسول عليه السلام[٣]: [من الطويل]

إلى[٤] السدرة العليا تسامى حقيقة فكان به المجد المؤثّل للسّدر

﴿عِندَهَا﴾ الضمير عائد على السّدرة. ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه بإبهام[٥] الموصول وصلته تعظيم وتكثير للغاشي الذي يغشاه[٦] إذ ذاك أشياء لا يعلم وصفها إلا الله تعالى.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي: ما مال لا هكذا ولا هكذا. ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما تجاوز المرء إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً. وهذا تحقيق للأمر ونفي للرّيب[٧] عنه.

---

(١) النّبق: هو حَمْل السّدر.

(٢) هجر: بلد. والقلال: جمع قُلّة: إناء كالجرة الكبيرة. وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي، فارسي معرّب).

(٣) لم أجده.

(٤) ق: لدى.

(٥) ق: إبهام.

(٦) ق: يغشاها.

(٧) ق: للمريب.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قيل «الكبرى» مفعول «رأى»، أي: رأى الآيات الكبرى والعظمى التي هي بعض آيات ربه، أي: حين رقي إلى السماء، رأى عجائب الملكوت، وتلك بعض آيات الله تعالى. وقيل «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفة [٥٢٤/ب] لـ«آيات ربه». ومثل هذا الجمع يوصف بوصف الواحدة، وحسّن ذلك هنا كونها فاصلة.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطاب لقريش. ولمّا قرّر الرسالة أولاً وأتبعه بما أتبعه من ذكر عظمة الله تعالى وقدرته الباهرة، بدأ بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، فوقفهم على حقارة معبوداتهم وهي الأوثان، وأنها ليست لها قدرة. و﴿ٱللَّٰتَ﴾ صنم كانت العرب تعظّمه، قال قتادة: كان بالطائف. وقرىء: اللاّت، قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يلتّ السمن والسويق عند صخرة. وقيل كان ذلك الرجل[١] يلتّ السويق للحاجّ على حجر، فلما مات عبدوا الحجر الذي كان عنده إجلالاً لذلك الرجل وسمّوه باسمه. و«العزى» صنم، وقيل: سَمُرة[٢] كانت لغطفان، وأصلها تأنيث الأعزّ، بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها، وخرجت منها شيطانة[٣] ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى

(١) بعده في ق: من بهز. وانظر صحيح البخاري ٤: ١٨٤١.
(٢) السمرة: من شجر الطلح.
(٣) ق: سنا. وفوقها: كذا.

قتلها وهو يقول[١]: [من الرجز]

يا عُزَّ كفرانكِ لا سبحانكِ إني رأيتُ الله قد أهانكِ

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام[٢]: «تلك العزّى ولن تُعبد أبداً».

﴿وَمَنَوٰةَ﴾ قيل صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل غير ذلك. والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة، لأن المخاطب بذلك في قوله «أفرأيتم»[٣] هم قريش. والظاهر أن ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفتان لـ«مناة» وهما يفيدان التوكيد. قيل: ولمّا كانت مناة هي أعظم هذه الأوثان، أُكّدت بهذين الوصفين كما تقول: رأيت فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أجلّ منهما فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمره وشأنه. ولفظة آخر وأخرى يوصف به الثالث من المعدودات، وذلك نص في الآية.

و«اللات والعزى ومناة» منصوبة بقوله «أفرأيتم» وهي بمعنى أخبِرْني. والمفعول الثاني الذي لها هو قوله «ألكم الذكر وله الأنثى» على حدّ ما تقرر في متعلق أرأيت، إذا كانت بمعنى أخبِرْني. ولم يعد ضمير من جملة الاستفهام على «اللات والعزّى ومناة» لأن قوله «وله الأنثى» هو في معنى: وله هذه الإناث[٤]، فأغنى عن الضمير. وكانوا يقولون في هذه الأصنام هي بنات الله، فالمعنى: ألكم النوع المستحسن المحبوب الموجود فيكم، وله النوع

(١) البيت في اللسان «عزز» منسوب لخالد بن الوليد.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ٢٢٢ برواية أخرى من حديث عروة.

(٣) ق: افرأيت.

(٤) ق: الآيات.

المذموم بزعمكم، وهو المستثقَل[١]. وحسّن إيراد «الأنثى» كونه نصّاً في اعتقادهم أنهنّ إناث[٢]، وأنهن بنات الله، وإن كان في لحاق تاء التأنيث في اللات وفي مناة، وألف التأنيث في العزّى ما يشعر بالتأنيث، لكنه قد يُسّمى [٥٢٥/أ] المذكر بالمؤنث، فكان في قوله «الأنثى» نصٌّ على اعتقاد التأنيث فيها، وحسّن ذلك أيضاً كونه جاء فاصلة؛ إذ لو أتى ضميراً فكان التركيب: ألكم الذكر[٣] وله هنّ، لم تقع فاصلة[٤].

والإشارة بـ«تلك» إلى قسمتهم وتقريرهم أن لهم الذُّكران ولله البنات. وكانوا يقولون إن هذه الأصنام والملائكة بنات الله تعالى.

و﴿ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جائرة، يقال: ضازه يَضُوزه، وضازه يَضِيزه، وضأزه يضْأَزه. وقرىء: ضِيْزىٰ، بغير همز، وبالهمز. ووزنها فُعْلى، والألف فيها للتأنيث.

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ هو ترجيح أحد الجائزين. ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه بلذّة. وإنما تهوى أبداً ما هو غير الأفضل، لأنها مجبولة على حبّ الملاذّ، وإنما يسوقها إلى حسن العاقبة العقل. ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ توبيخ لهم، فالذي هم عليه فاصل[٥] واعتراض بين الجملتين، أي: يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم، فكانوا أولى من يقبله ويترك عبادة من لا تجدي عبادته.

---

(١) ق: المستقل.

(٢) ق: آيات.

(٣) ق: المذكر.

(٤) بعده في ق: عندكم.

(٥) ق: باطل.

﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ هو متصل بقوله «وما تهوى الأنفس» أي: بل للإنسان، والمراد به الجنس. ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ما تعلقت به أمانيه، أي: ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني، بل الأمر لله تعالى، فقولكم إن آلهتكم تشفع وتقرّب زلفى، ليس لكم ذلك.

﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ [وَالْأُولَىٰ]﴾ أي: هو مالكها فيعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحد أن يبلغ منهما إلا ما شاء الله تعالى [له]. وقدّم «الآخرة» في الذكر لشرفها وديمومتها، وأخّر «الأولى» لتأخيرها في ذلك، ولكونها فاصلة، فلم يُراع الترتيب الوجودي، كقوله ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الآية، «كم» هي خبرية، ومعناها هنا التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء، والخبر «لا تغني». والغَناء: جلب النفع ودفع الضر بحسب الأمر الذي يكون فيه الغَناء. و«كم» لفظها مفرد ومعناها جمع، ولذلك جاء «لا تغني شفاعتهم».

ومعنى ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ كونهم يقولون إنهم بنات الله تعالى. و﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم العرب منكرو البعث.

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي ﴾ ما يدركه[1] العلم لا ينفع فيه الظن، وإنما يُدرَك بالعلم والتيقّن.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ ﴾ موادعة منسوخة بآية السيف[2]. ﴿ وَلَمْ يُرِدْ ﴾ أي: لم تتعلق إرادته بغيرها، فليس له فكر في سواها.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى تعلّقهم بالدنيا وتحصيلها. ﴿ مَبْلَغُهُم ﴾ غايتهم ومنتهاهم من العلم، وهو ما تعلّقت به علومهم من مكاسب الدنيا كالفلاحة والصنائع كقوله ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۝٧ ﴾ [الروم]. ولمّا ذكر ماهم [٥٢٥/ب] عليه، أخبر تعالى أنه عالم بالضالّ والمهتدي، وهو مجازيهما.

واللام في «ليجزي» متعلقة بما دلّ عليه معنى الملك، أي: يضلّ ويهدي ليجزي. [وقيل: بقوله «بمن ضل» و«بمن اهتدى» واللام للصيرورة، والمعنى أن عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء] بما عملوا، أي: بعقاب ما عملوا. والحسنى: الجنّة.

والكبائر: تقدم الكلام عليه[3]. ﴿ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ استثناء منقطع، لأنه لم يدخل تحت ما قبله، وهو صغار الذنوب كالنظرة والقُبْلة وغير ذلك. ﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ حيث يكفّر الصغائر باجتناب الكبائر. ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ الظاهر أنه خطاب عام. و«أعلم» على بابها من التفضيل. والظاهر أن المراد بـ«أنشأكم» أنشأ أصلكم - وهو آدم عليه السلام - من الأرض. ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾

(١) ق: مدركه.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

(٣) انظر شرح الآية ٣١ من النساء.

فلا تنسبوها إلى زكاء العمل والطهارة عن المعاصي ولا تُثْنوا[١] عليها، واهضموها، فقد علم الله منكم الزكيّ والتقي.

والجنين: ما كان في البطن، فإذا خرج سمّي ولداً أو سقطاً. وقوله ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ﴾ تنبيه على كمال العلم والقدرة، فإن بطن الأم في غاية الظلمة. ومن علم حاله وهو مُجَنّ [لا يخفى عليه وهو ظاهر. ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قيل الشرك. وقال علي كرم الله وجهه: عمل حسنة وارعوى] عن[٢] معصية.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ الآية، قال مقاتل وغيره: نزلت[٣] في

(١) ق: تبنوا.

(٢) ق: لا عن.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٦٧.

الوليد بن المغيرة، [كان] قد سمع قراءة رسول الله ﷺ، وجلس إليه ووعظه، فقرب من الإسلام، وطمع فيه رسول الله ﷺ. ثم إنه عاتبه رجل من المشركين وقال: أتترك ملّة آبائك؟ ارجع إلى دينك، واثبت عليه، وأنا أتحمّل عنك بكل شيء تخافه في الآخرة، لكن على أن تعطيني كذا وكذا من المال. فوافقه الوليد على ذلك، ورجع عمّا همّ به من الإسلام وضلّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعض ذلك المال لذلك الرجل، ثم أمسك عنه وشحّ. «أكدى» أصله من الكدية؛ يقال لمن حفر بئراً ثم وصل إلى حجر لا يتهيأ له فيه حفر: قد أكدى. ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتمم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره. و«أفرأيت» هنا بمعنى أخبِرْني، ومفعولها الأول الموصول، والثاني الجملة الاستفهامية وهي «أعنده علم الغيب». و﴿تَوَلَّىٰ﴾ أي: أعرض عن الأسلام.

﴿أَعِندَهُۥ﴾ استفهام فيه[1] تهكم؛ إذ ليس عنده شيء من علم الغيب. ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: لا جزاء.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخْبَر. ﴿بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ وهي التوراة.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ اي: وفي صحف إبراهيم التي نزلت[2] [عليه]. وخصّ هذين النبيّين صلّى الله عليهما، قيل: لأنه ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بابنه وأبيه وعمّه وخاله، والزوج بامرأته، والعبد بسيّده. فأولّ من [٥٢٦/أ] خالفهم[3] إبراهيم عليه السلام. ومن شريعة إبراهيم إلى شريعة

---

(١) ق: فيه استفهام.

(٢) ق: نزلت هذه.

(٣) ق: يخالفهم.

موسى كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ بتبليغ الرسالة والاستقلال بأعبائها[1]، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمّه، وعلى نار نمروذ، وقيامه بأضيافه وخدمته إياهم بنفسه. وكان يمشي كلّ يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه وإلاّ نوى الصوم.

و«أن» هي المخففة من الثقيلة، وهي بدل من «ما» في قوله «بما في صحف». ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ﴾ الظاهر أن الإنسان يشمل المؤمن والكافر وأن الحصر في السعي فليس له سعي غيره. وسأل والي خراسان عبد الله بن طاهر الحسين بن الفضل عن هذه الآية مع قوله ﴿وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة] فقال: ليس له بالعدل إلا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله تعالى. فقبّل عبدالله رأس الحسين. والسّعي: التكسّب. و«يُرى» مبني للمفعول، أي: سوف يراه حاضراً[2] [يوم] القيامة. وفي عرض الأعمال تشريف للمحسن وتوبيخ للمسيء.

والضمير المرفوع في «يجزاه» عائد على الإنسان، والمنصوب عائد على السعي، و«الجزاء» مصدر.

قال الزمخشري[3]: ويجوز أن يكون الضمير للجزاء، ثم فسّره بقوله «الجزاء الأوفى»، أو أبدله منه[4] كقوله ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء]

---

(١) ق: بأعباء الرسالة.

(٢) ق: حاضروا.

(٣) الكشاف ٤: ٣٣.

(٤) ق: عنه.

انتهى.

وقوله «ثم فسّره بقوله: الجزاء» وإذا كان تفسيراً للضمير المنصوب في «يجزاه» فعلى ماذا انتصابه؟. وأما إذا كان بدلاً فهو من باب بدل الظاهر من المضمر الذي يفسره الظاهر، وهي مسألة خلاف والصحيح المنع.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى جزاء ربك المنتهى.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: المصطحبين من رجل وامرأة وغيرهما من الحيوان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: إذا تُدْفَق، وهو المنيّ. يقال: أمنى الرجل ومَنَى.

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى. وجاء بلفظ «عليه» المشعرة بالتحتّم لوجود الشيء. لمّا كانت هذه النشأة ينكرها الكفار، بولغ بقوله «عليه» بوجودها لا محالة وكأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ أي: أكسب القنية، يقال: قنيت المال أي: كسبته، وأقنيته إياه أي: أكسبته إياه. ولم يذكر متعلق «أغنى وأقنى» لأن المقصود نسبة هذين الفعلين له تعالى.

و﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ التي عُبدت هي العَبور، قال السدّي: كانت تعبدها حمير وخزاعة، وهي تقطع السماء طولاً والنجوم كلها تقطعها عرضاً.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ جاء بين أنّ وخبرها [٥٢٦/ب] لفظ «هو» وذلك في قوله «وأنه هو أضحك» «وأنه هو أمات» «وأنه هو أغنى» «وأنه هو رب

الشعرى». ففي الثلاثة الأول لمّا كان قد يدّعي ذلك بعض الناس - كقول نمروذ ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٨] احتيج إلى تأكيد في أن ذلك هو لله[١] لا غيره؛ فهو الذي يضحك ويبكي، وهو المميت المحيي، والمغني والمقني حقيقة، وإن ادّعى ذلك أحد فلا حقيقة له.

وأمّا ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴾ فلأنها لمّا عُبدت من دون الله تعالى، نصّ على أنه تعالى هو ربّها وموجدها. ولمّا كان خَلْق الزوجين والإنشاء الأخير وإهلاك عادٍ ومن ذكر، لا يمكن أن يدّعي ذلك أحد، لم يحتج إلى تأكيد تنصيص أنه تعالى هو فاعل ذلك و[عاد] الأولى هم قوم هود، وعاد الأخرى إرم.

﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ ﴾ أي: كانوا أكفر من قريش وأطغى. ففي ذلك تسلية لرسول الله ﷺ. و﴿ هُمۡ ﴾ يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب، ويجوز أن يكون فصلاً لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل وحُذف المفضول بعد الواقع خبراً لكان، لأنه جارٍ مجرى خبر المبتدأ، وحذفه فصيح فيه فكذلك[٢] في خبر كان.

﴿ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴾ هي مدائن قوم لوط بإجماع من المفسرين. وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذباً، أَفكَه فائتفك[٣]. والظاهر أن «أهوى» ناصب لـ«المؤتفكة» وأخرّ العامل لكونه فاصلة.

﴿ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ فيه تهويل للعذاب الذي حلّ بهم لمّا قلبها جبريل عليه السلام أتبعت حجارة غشيَتْهم. والتضعيف في «غشّاها» للتعدية فتكون «ما» مفعولة والفاعل ضمير عائد على الله تعالى.

---

(١) ق: الله، وفوقها: كذا.

(٢) ق: فلذلك.

(٣) ق: أفكت فائتفكت.

﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ ﴾ الباء ظرفية والخطاب للسامع. و﴿ تَتَمَارَىٰ ﴾ تتشكّك، وهو استفهام في معنى الإنكار، أي: آلاؤه وهي النّعم لا يتشكّك فيها سامع. وقد سبق ذكر نقم ونعم وأطلق عليها كلها «آلاء»[1] لما في النّقم من الزّجر والوعظ لمن اعتبر. وقرأ يعقوب: ربك تَّمارَى، بتاء واحدة مشدّدة.

﴿ هَٰذَا نَذِيرٌ ﴾الإشارة إلى رسول الله ﷺ، افتتح أول السورة به، واختتم آخرها به.

ولمّا ذكر إهلاك من تقدّم ذكره، وذكر قوله «هذا نذير» ذكر أن الذي أنذر به قريب الوقوع فقال ﴿ أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴾ أي: قربت الموصوفة بالقرب في قوله ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ۝١ ﴾ [القمر] وهي القيامة.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ أي: نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه، لا يعلم ذلك إلا الله تعالى.

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ وهو القرآن. ﴿ تَعْجَبُونَ ﴾ فتنكرون.

﴿ وَتَضْحَكُونَ ﴾ [٥٢٧/أ] مستهزئين. ﴿ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ جزعاً من وعيده.

﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ أي: لاهون. وروي[2] أنه عليه السلام لم يُرَ ضاحكاً بعد نزولها.

﴿ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ﴾ أي: صلّوا له. ﴿ وَٱعْبُدُوا۩ ﴾ وأفرِدوه بالعبادة، ولا تعبدوا اللات والعزّى ومناة والشّعرى وغيرها من الأصنام.

---

(١) سبق أن فسّر الآلاء بالنعم، انظر شرح الآية ٦٩ من الأعراف.

(٢) انظر القرطبي ١٧ : ١٢٤.

سورة القمر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾.

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ الآية، هذه السورة مكية وقيل غير ذلك. ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرة؛ قال «أزفت الأزفة»[2] وقال «اقتربت الساعة» وسبب نزولها[3] أن مشركي قريش قالوا للرسول عليه السلام: إن كنت صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين. ووعدوا بالإيمان إن فعل. وكانت ليلة بدر، فسأل ربه فانشقّ القمر نصفين: نصفاً على الصفا ونصفاً على قُعَيْقعان[4]. فقال أهل مكة: آية سماوية لا يعمل فيها السحر. فقال أبو

(١) مكية وآياتها خمس وخمسون.

(٢) الآية ٥٧ من النجم.

(٣) انظر البخاري ٤ : ١٨٤٣، وأسباب النزول ص٢٦٨، والفتح الرّباني ٢٢:٤٣، ومسلم ٤ : ٢١٥٨.

(٤) ق: قيقعان. وهو جبل بمكة، انظر معجم البلدان «قعيقعان».

جهل: اصبروا حتى يأتينا أهل البوادي، فإن أخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلاّ فقد سحر محمد أعيننا. فجاؤوا وأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل وقال: سحر مستمرٌ.

﴿وَكَذَّبُوا﴾ أي: بالآيات وبمن جاء بها، أي قالوا: هذا سحر مستمرٌ، سحرنا محمد. ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: شهوات أنفسهم وما يهوون. ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾ أي: له غاية ينتهي إليها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ﴾ أي: من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك من كذّب الأنبياء وما يؤولون إليه في الآخرة. ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجار رادع لهم عمّا هم فيه.

و﴿حِكْمَةٌ﴾ بدل من «مزدجر». ووصفت الحكمة بـ«بالغة» لأنها تبلغ من مقصد الوعظ والبيان لمن له عقل ما لا يبلغ غيرها. ﴿فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، وأن تكون استفهاماً يراد به التقرير؛ أي: فأيّ شيء تغني النذر مع هؤلاء الكفرة؟.

ثم سلّى رسول الله ﷺ فقال ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [أي]: أعرِضْ عنهم فإنّ الإنذار لا يجدي فيهم. ثم ذكر شيئاً من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك، متعلّقاً[١] باقتراب الساعة فقال ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾. والناصب لـ«يوم»: اذكر، مضمرةً.

وانتصبْ «خُشَّعاً» وخاشعة وخاشعاً[٢]، على الحال من ضمير «يخرجون». والعامل فيه «يخرجون» لأنه فعل متصرّف. وفي هذا دليل على بطلان مذهب

---

(١) ق: متعلق.

(٢) في قراءات أخر، انظر البحر ٨: ١٧٥.

الجرمي أنه لا يجوز تقدّم الحال على الفعل وإن كان متصرّفاً، وقد قالت العرب: شتّى تؤوب الحَلَبة[1]. فشتّى حال وقد تقدمت على عاملها [٥٢٧/ب] وهو تؤوب لأنه فعل متصرف.

﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي: من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ﴾ جملة حالية، شبّههم بالجراد في الكثرة والتموّج. ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ قال أبو عبيدة: مسرعين.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يشاهدون من مخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه.

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش قوم نوح. وفيه وعيد لقريش وضَرْب مثلٍ لهم. ومفعول «كذّبت» محذوف أي: كذّبت الرسل فكذّبوا نوحاً. لمّا كانوا مكذّبين بالرسل جاهدين للنبوة رأساً، كذّبوا نوحاً لأنه من جملة الرسل.

وفي لفظ ﴿عَبْدَنَا﴾ تشريف وخصوصية بالعبودية كقوله ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴿٤١﴾﴾ [الأنفال].

﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون. لمّا رأوا الآيات الدالّة على صدقه قالوا هو مصاب الجن، لم يقنعوا بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون.

---

(١) انظر مجمع الأمثال ١: ٣٧١.

والظاهر أن قوله «وازدجر» إخبار من الله تعالى، أي: انتهروه[١] وازدجروه بالسبّ والتخويف.

﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ أي: غلبني قومي، فلم يسمعوا منّي ويئست من إجابتهم لي. ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي: فانتقم بعذاب[٢] تبعثه عليهم. وإنما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرهم.

﴿فَفَتَحْنَآ﴾ بيان أن الله تعالى انتصر منهم وانتقم. ومن العجب أنهم كانوا يطلبون المطر سنين، فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم[٣]. ﴿أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جعل الماء كأنه آلة يفتح بها. ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي: شديد غزير.

وانتصب ﴿عُيُونًا﴾ على التمييز، جعلت الأرض كلها كأنها عيون تتفجّر. وهذا أبلغ من: وفجّرنا عيون الأرض. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ في اللوح [المحفوظ] أنه يكون، وهو هلاك قوم نوح بالطوفان. ولذلك ذكر نجاة نوح بعدها في قوله ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾. والدّسر: المسامير التي تُشدّ بها السفينة. وذات الألواح: هي السفينة.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: بمرأى منّا. ﴿جَزَآءً﴾ أي: مجازاة. ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: لنوح عليه السلام؛ إذ كان نعمة أهداها الله تعالى إلى قومه لأن يؤمنوا فكفروها. المعنى أنّ حَمْله في السفينة ومن آمن معه كان جزاءً له على صبره على قومه المئين[٤] من السنين. و«مَن» كناية عن نوح عليه السلام. قال:

---

(١) ق: انتهروا.
(٢) ق: بعد أن.
(٣) ق: لمطلوبهم.
(٤) ق: المبين.

معنى: لمن كُفر: لمن جُحِدت نبوّته. والضمير في «تركناها» عائد على الفعلة والقصّة.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويل لما حلّ بقوم نوح من العذاب وإعظام له؛ إذ قد استأصل جميعهم وقطع دابرهم فلم ينسلْ منهم أحد. أي: فكيف[1] كان عاقبة إنذاري. والنّذر: جمع نذير وهو الإنذار وفيه توقيف لقريش على ما حلّ بالمكذّبين أمثالهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ أي: سهّلنا القرآن. ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للادّكار والاتّعاظ، لما ضمّنه من المواعظ والوعد والوعيد. ﴿فَهَلْ [٥٢٨/أ] مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من متّعظ.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ الآية، الصّرصر: الريح الشديدة[2] الصوت الباردة. ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يجوز أن تكون صفة للريح، وأن تكون حالاً

(١) ق: وكيف.

(٢) ق: الشديد.

منها لأنها وُصفت، فقربت من المعرفة، وأن تكون مستأنفة. وجاء الظاهر مكان المضمر ليشمل ذكورهم وإناثهم. والجملة التشبيهية حال من «الناس» وهي حال مقدّرة. شبّههم بأعجاز النخل المنقعر إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً، وهم جثث عظام طوال. والأعجاز: الأصول بلا فروع قد انقلعت من مغارسها. وقيل: كانت الرّيح تقطع رؤوسهم فتُبقي أجساداً بلا رؤوس فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعت من مغرسها.

وقرىء: أبشراً، بنصب «بشراً» على الاشتغال، ونصب «واحداً» صفةً له، تقديره: أنتّبع بشراً. ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتّبعناه، فنحن في ضلال، أي: في بعد عن الصواب وحيرة. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عذاب.

ثم زادوا عليه في الإنكار والاستبعاد فقالوا ﴿أَءُلْقِىَ﴾ أي: أُنزل. قيل: وكأنه يتضمن العجلة في الفعل. والعرب تستعمل هذا الفعل في العجلة. و﴿ٱلذِّكْرُ﴾ هنا الوحي والرسالة وما جاءهم به من الحكمة والموعظة، ثم قالوا: ليس الأمر كما يزعم[1] ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: بَطِرٌ يريد العلوّ علينا.

وفي قوله ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ تهديد ووعيد ببيان انكشاف الأمر. والمعنى أنهم هم الكاذبون الأشرون. وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيّين.

﴿إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً. وآنس بذلك صالحاً. ولمّا هدّدهم بقوله «سيعلمون غدا» وكانوا قد ادّعَوْا أنه كاذب، قالوا: ما الدليل على صدقك؟. قال الله تعالى «إنا مرسلوا الناقة» أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها. ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظرهم وتبصّر ما هم فاعلون. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾

---

(١) ق: تزعم.

على أذاهم ولا تعجل حتى يأتي أمر الله.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ﴾ أي: ماء البئر التي لهم. ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثمود والناقة. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي: محضّر[1] لهم وللناقة.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قدار بن سالف. ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ هو مطاوع عاطى. وكأنّ هذه الفعلة تدافعها الناس وعاطاها[2] بعضهم بعضاً فتعاطاها قدار، وتناول العقر بيده. ولمّا كانوا راضين، نسب إليهم ذلك في قوله ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأعراف].

والصّيحة التي أُرسلت عليهم؛ يروى أن جبريل عليه السلام صاح في طرف منازلهم، فتفتّتوا وهمدوا، وصاروا كهشيم المحتظر، وهو ما تفتّت من الشجر وتهشّم. و﴿الْمُحْتَظِرِ﴾ الذي يعمل الحظيرة، فإنه تتفتّت منه حالة العمل [٥٢٨/ ب] وتتساقط[3].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً
عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾
أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾
سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) ق: محضور.

(٢) ق: وعطاها.

(٣) ق: يتفتت.. ويتساقط.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ﴾ الآية، تقدمت قصة لوط عليه السلام[1].

والحاصب: من الحصباء وهو المعنيّ بقوله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود]. ﴿بِسَحَرٍ﴾ هو بكرة، فلذلك صُرف.

وانتصب ﴿نِّعْمَةً﴾ على أنه مفعول من أجله، أي: أنجيناهم لإنعامنا عليهم. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى﴾ أي: مثل ذلك الإنعام والتّنجية نجزي من شكر إنعامنا وآمن وأطاع.

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم [بَطْشَتَنَا]﴾ أي: أَخْذتنا لهم بالعذاب. ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أي: تشكّكوا وتعاطوا ذلك. ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بالإنذار.

﴿فَطَمَسْنَآ﴾ الطمس حقيقة؛ جرّ جبريل عليه السلام جناحه على أعينهم فاستوت مع وجوههم. ﴿فَذُوقُوا۟﴾ أي: فقلت لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم﴾ أي: أول [النهار] وباكره، كقوله ﴿مُّشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الحجر].

﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التّسع. والتوكيد هنا كهو في قوله ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ[2] [ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا] ﴿٥٦﴾﴾ [طه]. والظاهر أن الضمير في «كذبوا» وفي «فأخذناهم» عائد على آل فرعون. ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ[3] عَزِيزٍ﴾ لا يغالب. ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء، وهو كناية [عن] الله تعالى.

---

(١) انظر الآيات ٧٧-٨٣ من هود.

(٢) ق: ولقد رأينا.

(٣) ق: أي أخذ.

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطاب لأهل مكّة. ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ وقفهم على توبيخهم؛ أي: ليس كفاركم خيراً من أولئك، بل هم مثلهم أو شرٌّ منهم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ أي: ألكم في الكتب الإلهية براءة من عذاب الله تعالى.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: واثقون بجماعتنا منتصرون بقوّتنا[1].

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ خطاب للرسول عليه السلام.

و﴿ٱلدُّبُرَ﴾[2] هنا اسم جنس. وحسّن اسم الجنس هنا كونه فاصلة.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشدّ عليهم من كل هزيمة وقتال. ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أي: أفظع وأشدّ. والداهية: الأمر المنكر الذي لا يُهتدى لدفعه وهي الرزيّة العظمى، تحلّ بالشخص. ﴿وَأَمَرُّ﴾ من المرارة، استعارة لصعوبة الشيء على النفس.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي: في حيرة وتخبّط في الدّنيا. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: احتراق في الآخرة، جُعلوا فيه من حيث إنّ مصيرهم إليه. ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ يُجرّون في النار على وجوههم.

---

(١) ق: أي أنفوز كما عتنا بمنتصر قوتنا.

(٢) ق: فالدبر.

﴿ذُوقُواْ﴾ أي: مقولاً لهم: ذوقوا مسّ سقر. و﴿سَقَرَ﴾ لا ينصرف للتأنيث المجازي والعلمية، وهو اسم من أسماء جهنم.

﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب على الاشتغال؛ أي: خلقنا كل شيء. ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: مقدور لله تعالى كما جاء في الحديث[1] «أن تؤمن بالقدر خيره وشرّه».

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾ إلا كلمة واحدة وهي كن. ﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيه بأعجل ما يحسّ.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الفرق المتشايعة في مذهب ودين.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: فعلته الأمم المكذّبة محفوظ عليهم إلى يوم [٥٢٩/أ] القيامة، قاله ابن عباس. ومعنى ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كل ما هو كائن. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مسطور في اللوح. يقال: سطرت وأسطرت بمعنى واحد.

وقرىء: ونَهْرْ، على الإفراد والمراد به الجنس. وحسّنه كونه جاء فاصلة.

وقرىء: في مقعد، على الإفراد ويراد به اسم الجنس. وقرىء: في مقاعد، على الجمع. و﴿عِندَ﴾[2] تدلّ على تقريب المكانة من الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم ١: ٣٧ من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) ق: وقيل.

سورة الرحمن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ۝١٢﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. وسبب نزولها[2] أنه لمّا نزل ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ ۝٦٠﴾ [الفرقان] قالوا: ما نعرف الرحمن، فنزلت. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر مقرّ المجرمين ﴿فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧﴾ ومقرّ المتقين ﴿فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤﴾ [القمر] ذكر شيئاً من آثار الملك والقدرة، ثم ذكر مقرّ الفريقين على جهة الإسهاب، إذ كان في آخر السورة ذكره على جهة الاختصار والإيجاز. ولما ذكر قوله ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر] فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير، فكأنه قيل: من المتصف بذلك؟ فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذي هو شفاء للقلوب.

---

(١) مكية وهي ثمان وسبعون آية.

(٢) انظر القرطبي ١٧ : ١٥٢.

والظاهر أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مرفوع على الابتداء، و﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ خبره.

ولمّا ذكر تعليم القرآن ولم يذكر المعلم ذكره[1] بعدُ في قوله ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ ليعلم أنه هو المقصود بالتعليم. ولمّا كان خلقه من أجل الدين وتعليمه القرآن، كان كالسبب في خَلْقه فقُدّم على خَلْقه.

ثم ذكر تعالى الوصف الذي يتميز به الإنسان من المنطق المفصح عن الضمير، والذي به يمكن قبول التعليم وهو البيان. ألا ترى أن الأخرس لا يمكن أن يتعلم شيئاً مما يُدرَك بالنّطق؟.

ولمّا ذكر تعالى ما أنعم به على الإنسان من تعليمه البيان، ذكر ما امتنّ [به] من وجود الشمس والقمر، وما فيهما من المنافع العظيمة للإنسان، إذ هما يجريان على حساب معلوم وتقدير سويّ في بروجهما ومنازلهما. والحسبان: مصدر كالغفران، وهو[2] بمعنى الحساب. وارتفع «الشمس» [إمّا] على الابتداء، وخبره[3] «بحسبان»، وإمّا على حذف، أي: جريُ الشمس والقمر كائن بحسبان.

ولمّا ذكر ما به حياة الأرواح من تعليم القرآن، ذكر ما به حياة الأشباح من النّبات الذي لا ساق له، والنبات الذي له ساق. وكان تقديم النجم، وهو ما لا ساق له، لأنه أصل القوت [٥٢٩/ب] والذي له ساق ثمره يُتفكّه به غالباً. ولمّا أُوردت هذه الجمل مورد تعديد النّعم ردّ الكلام إلى العطف في وصل ما يناسب وصله. والتناسب الذي بين هاتين الجملتين ظاهر؛ لأن

---

(١) ق: ذكر.

(٢) ق: وهي، وفوقها: كذا.

(٣) ق: وخبر.

الشمس والقمر علويّان، والنجم والشجر سفليّان.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ أي: خلقها مرفوعة حيث جعلها مصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين ينزّلون بالوحي على أنبيائه عليهم السلام. ونبّه بذلك على عظيم شأنه وملكه. «والسماء» نُصب[١] على الاشتغال، روعي مشاكلة الجملة التي قبله[٢] وهي «يسجدان».

﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ الظاهر أنه كلّ [ما] توزن به الأشياء وتُعرف مقاديرها، وإن اختلفت أشكال الآلات، بدأ أوّلاً بالعلم، فذكر ما فيه أشرف أنواع العلوم وهو القرآن، ثم ذكر ما به التعديل في الأمور وهو الميزان كقوله ﴿وَأَنزَلْنَا[٣] مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد].

﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ﴾ أي: لِأَن لا تطغوا. فـ«تطغوا» منصوب بـ«أن».

وقال الزمخشري[٤]: أوهي أنْ المفسّرة. وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «أنْ» مفسّرة، فيكون «تطغوا» جزماً بالنّهي انتهى.

ولا يجوز ما قالاه من أنّ «أنْ» مفسّرة؛ لأنه فات أحد شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملة فيها معنى القول. ووضع الميزان ليس جملة فيها معنى القول. والطغيان في الميزان هو أن يكون بالتّعمد. وأمّا ما لا يُقْدَر عليه من التحرير بالميزان فمعفوّ عنه.

---

(١) ق: نصباً.

(٢) ق: تليه.

(٣) ق: وأنزل.

(٤) الكشاف ٤: ٤٤.

ولمّا كانت التسوية مطلوبة جدّاً أمر تعالى فقال ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾. وقرأ الجمهور: ولا تخسروا، مِن أخسر أي: أفسد ونقص، كقوله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففون] أي: يُنقصون. وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتقوية للأمر باستعماله والحثّ عليه.

ولمّا ذكر السماء ذكر مقابلها فقال ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: خفضها مدحوّة على الماء ليُنتفع بها. والأنام: الخلق.

﴿ فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب ممّا يُتفكّه[1] به. وبدأ بقوله «فاكهة» إذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقّي إلى الأعلى. ونكر لفظها لأنّ الانتفاع بها دون الانتفاع بما يذكر بعدها. ثم ثنّى بالنخل فذكر الأصل ولم تذكر ثمرها[2]، وهو التّمر، لكثرة الانتفاع بها من ليف وسعف وجريد وجذوع وجُمّار[3] وثمر. ثم أتى ثالثاً بالحبّ الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، وهو البرّ والشعير وكلّ ما له سنبل وأوراق مشعبة على ساقه. ووصفه بقوله ﴿ ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم به من الحب، ويقوت بهائمهم من ورقه، وهو التّبن.

وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحب ليحصل ما به يُتفكه وما به يُتقوّت وما [٥٣٠/أ] به تقع اللذاذة من الرائحة الطّيبة. وذكر النخل باسمها، والفاكهة دون شجرها لعظم المنفعة بالنخل من جهات متعدّدة، وشجرة الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرة. فنصّ على ما يعظم به الانتفاع من

(١) ق: ينفك.

(٢) ق: ثمرتها.

(٣) الجُمّار: شحم النخل.

شجرة النخل ومن الفاكهة دون شجرها.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ
كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ
يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ
وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ
كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى
شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا﴾ خطاب للثّقلين. والآلاء: النّعم.

ولمّا خاطب الثقلين ذكر أصلهما فقال ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ وهو آدم عليه السلام.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ وهو إبليس. والمارج: المختلط. و«مِن» الأولى لابتداء الغاية، والثانية في «من نار» للتّبعيض.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو ربّ. وعن ابن عباس: [للشمس] مشرق في الصيف مُصعد، ومشرق في الشتاء منحدر تنتقل فيهما مُصْعدة ومنحدرة. والمغربان: مغرب الشفق ومغرب الشمس.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ تقدم الكلام عليه في الفرقان[1]. والظاهر التقاؤهما[2]،

(١) انظر تفسير الآية ٥٣ من الفرقان.

(٢) ق: انتقاؤهما.

أي: يتجاوزان فلا فصل بينهما في رؤية العين.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجز من قدرة الله تعالى. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممارجة[(١)].

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ قال الجمهور: وإنما يخرج من الأجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهار والمياه العذبة، فناسب إسناد ذلك إليهما. وهذا مشهور عند الغواصين. وقال ابن عباس وعكرمة: تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر، لأن الصدف وغيرها تفتح أفواهها للمطر، فلذلك قال «منهما». وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان. و﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ كبار الجوهر. ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ اسم أعجمي معرّب.

و﴿ٱلْجَوَارِ﴾ السفن. ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أي كالجبال، شبّهها بالجبال.

وعبّر بـ«مَن» في قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ تغليباً لمن يعقل. والضمير في «عليها» قيل: عائد على الأرض وقد تقدّم ذكرها[(٢)]. والفناء عبارة عن إعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره.

والوجه يعبّر به عن حقيقة الشيء، والجارحة منفية عن الله تعالى. والظاهر أن الخطاب في قوله ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ للرسول عليه السلام، وفيه تشريف عظيم له عليه السلام. ومعنى ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ الذي يجلّه الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم. ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ للمخلصين من عباده.

---

(١) ق: بالمماوجة.

(٢) في الآية ١٠.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حوائجهم [وهو] ما[1] يتعلق بمن في السماوات من أمر الدين، وما استعبدوا[2] به، ومن في الأرض من أمر دينهم ودنياهم. والظاهر أن قوله «يسأله» استئناف إخبار. ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: كل ساعة ولحظة. وذكر اليوم لأن الساعات واللحظات في ضمنه. ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ قال ابن عباس: في شأن يمضيه من الخلق [٥٣٠/ب] والرزق والإحياء والإماتة. وانتصب «كل يوم» على الظرف، والعامل فيه العامل في قوله ﴿فِى شَأْنٍ﴾ وهو: مستقرّ المحذوف، نحو: يوم الجمعة زيد قائم.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ

---

(١) ق: وما.

(٢) ق: استبعدوا.

ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ
حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ
رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ الآية، ﴿سَنَفْرُغُ﴾ أي: ننظر في أموركم يوم القيامة، لا أنه تعالى كان له شغل فهو يفرغ منه. وجرى هذا على كلام العرب في أن المعنى: سنقصد لحسابكم، فهو استعارة من قول الرجل لمن يتهدّده: سأفرغ لك، أي: سأتجرد[1] للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه. والمراد التوفر على الانتقام منه.

والظاهر أن قوله ﴿يَـٰمَعْشَرَ﴾ الآية، من خطاب[2] الله تعالى إياهم يوم القيامة. وقوله[3] «يا معشر» كالترجمة لقوله: أيها الثقلان. «إن استطعتم» أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا. ثم قال: لاتقدرون على النفوذ إلا بسلطان، يعني بقوة وغلبة، وأنّى لكم ذلك؟ ونحوه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت]. و﴿فَٱنفُذُوا۟﴾ أمر تعجيز.

---

(١) ق: ساتجر.

(٢) ق: خطاب من.

(٣) النص التالي من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤: ٤٧.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ قال ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم، ساقهم شواظ إلى المحشر. والشواظ: لهب النار. والنحاس: الصُّفْر المعروف.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ جواب «إذا» محذوف تقديره: فما أعظم الهول. وانشقاقها انفطارها يوم القيامة. ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: محمّرة كالوردة. ﴿كَالدِّهَانِ﴾ قال ابن عباس: كالأديم الأحمر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التنوين فيه للعوض من الجملة المحذوفة، والتقدير: فيوم إذا انشقت. والناصب لـ«يومئذ»: ﴿لَّا يُسْأَلُ﴾ ودلّ هذا على انتفاء السؤال، و﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] وغيرها من الآيات على وقوع السؤال، فقيل: هي مواطن يُسأل في بعضها.

وسيماهم: سواد الوجوه وزرقة العيون والبكم والعمى والصمم. ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قال ابن عباس: يؤخذ بناصيته وقدميه، فيطوى ويجمع كالحطب، ويلقى كذلك في النار. ويؤخذ مبني للمفعول، والجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله.

﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي: يتردّدون بين نارها وبين ما غلا منها من مائع عذابها. و﴿آنٍ﴾ أي: منتهى الحرّ والنّضج، فيعاقب بينهم بين تصلية النار وبين شرب الحميم.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الآية، «مقام» مصدر، فاحتمل أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي: قيام ربه عليه. والظاهر أن لكل فرد من الخائفين جنّتين[1].

---

(١) ق: لكل فرد فرد من الخائفين جنتان.

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ أي: صاحبتا أغصان، وهي الغصون التي تتشعب من فروع الشجرة، لأنها هي التي تورق وتثمر، فمنها [٥٣١/أ] تمتدّ الظّلال، ومنها تجنى الثمار. وذات: مؤنث ذا بمعنى صاحب، فكان القياس أن يقال: ذاتا أفنان، فزدت عين الكلمة وهي الواو فقيل: ذواتا أفنان، وهو أفصح من ذاتا.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قيل: بالماء الزّلال، إحداهما التّسنيم والأخرى[١] السّلسبيل.

﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ قال ابن عباس: ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرّة إلا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل إلا أنه حلو.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نُصب[٢] على الحال، والعامل فيه محذوف تقديره: يتنعّمون. والاتّكاء من صفات التنعّم الدالّة على صحة الجسم وفراغ القلب. والمعنى: متكئين في منازلهم على فرش. و﴿إِسْتَبْرَقٍ﴾ تقدم الكلام عليه[٣].

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال ابن عباس: يجتنيه قائماً وقاعداً ومضطجعاً لا يردّ يده بُعْدٌ ولا شوك.

والضمير في «فيهن» عائد على الجنات الدالّ عليهن «جنّتان»، إذ كل فردٍ فُرد له جنتان فصحّ أنها جنان كثيرة. والظاهر أن [«قاصرات الطرف»] هن[٤] اللواتي يقصرن أعينهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾

(١) ق: والآخر.

(٢) ق: نصباً.

(٣) انظر شرح الآية ٣١ من الكهف.

(٤) ق: والظاهر أنهن اللواتي.

قال ابن عباس: أي: لم يفتضّهن قبل أزواجهن أحد. والضمير في ﴿قَبْلَهُمْ﴾ عائد على ما دلّ عليه الضمير في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ وهي من الأشياء التي برع[1] حسنها، فشُبّهن بهما فيما يحسن التشبيه به؛ فالياقوت في إملاسه وشفوفه، والمرجان في إملاسه وجمال منظره. وسَمَّتِ العرب بذلك.

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون تينك[2] الجنتين في المنزلة والقَدْر جنتان لأصحاب اليمين. والأُوليان هما للسابقين، والأخريان للتابعين.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي: كثيرة الاخضرار، ولكثرة ذلك أشبهتا الدّهمة وهي السّواد.

﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ أي: تسيلان قليلاً قليلاً بخلاف الجري.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ يشمل سائر الفواكه، وهي نكرة في سياق الإثبات، لايُراد بها واحدة من الفواكه. ﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ تجريد من الفاكهة لشرفهما كما قال تعالى ﴿وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ[3] ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ جمع خيرة، وهي المنتهية في الخير.

﴿حُورٌ﴾ جمع حوراء، والحَوَر: شدّة سواد العين وشدّة البياض فيه. و﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ ممتنعات غير مبتذلة. ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ جمع خيمة وهي بيوت اللؤلؤ في الجنّة.

---

(١) ق: نزع.

(٢) ق: تانك.

(٣) ق: وميكائيل.

﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: فضول المجلس والبسط. و«عبقري» قال الحسن: بسط حسان، فيها صور وغير ذلك، تصنع بعبقر.

ولمّا ختم تعالى نعم الدنيا بقوله ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن] ختم نعم الآخرة بقوله ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي[1] الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ وناسب هنالك ذكر [البقاء والديمومة له تعالى؛ إذ ذكر فناء العالم، وناسب هنا ذكر] ما اشتقّ من البركة وهي النموّ [٥٣١/ ب] إذ جاء ذلك عقب ما امتنّ به على المؤمنين، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته. وياذا الجلال والإكرام من الصفات التي جاء في الحديث أن يُدعى الله تعالى بها، قال عليه السلام[2] «ألظّوا بيا ذا الجلال والإكرام». وقرىء: ذو الجلال صفة لـ«اسم». وذي الجلال، صفة لـ«ربك».

---

(١) ق: ذو.

(٢) أخرجه أحمد ٤: ١٧٧ من حديث ربيعة بن عامر، والترمذي ٩: ١٨٦ من حديث أنس. وانظر صحيح الجامع الصغير ١: ٣٩٥.

سورة الواقعة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا
ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا
مُتَقَٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١
وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ۝٢٦ ﴾ .

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ما آل إليه الثّقلان من عذاب ونعيم، ذكر ذلك هنا مفصّلاً للسابقين المقرّبين وأصحاب اليمين والمكذبين الضالّين.

والواقعة والآزفة والصاخّة والطامّة من أسماء الساعة. فقوله «وقعت الواقعة» أي: وقعت التي لا بدّ من وقوعها كما تقول: حدثت الحادثة وكانت

---

(1) مكية وهي ست وتسعون آية.

الكائنة. ووقوع الأمر: نزوله، يقال[١]: وقع ما كنت أتوقّعه، أي: نزل ما كنت أترقب نزوله. والعامل في «إذا» الفعل بعدها على ما قررناه في كتب النحو، فهي في موضع نصب بـ«وقعت» كسائر أسماء الشرط.

قال الزمخشري[٢]: فإن قلت: بم[٣] انتصب «إذا»؟ قلت: بـ«ليس» كقولك: يومَ الجمعة ليس لي شغل، أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كيت وكيت[٤]، أو بإضمار: اذكر انتهى.

أما نصبها بـ«ليس» فلا يذهب نحوي أو من شدا[٥] شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأنّ ليس في النفي كما و«ما» لا تعمل فكذلك ليس؛ وذلك أنّ ليس مسلوبة الدلالة على الحدث والزّمان. والقول بأنها فعل هو على سبيل المجاز؛ لأنّ حدّ الفعل لا ينطبق عليها. والعامل في الظرف إنما هو ما يقع فيه من الحدث. فإذا قلت: يوم الجمعة أقوم، فالقيام في يوم الجمعة واقع، و«ليس» لا حدث لها فكيف يكون لها عمل في الظرف؟. والمثال الذي شبّه [به] وهو يوم: الجمعة ليس لي شغل، لا يدل على أن يوم الجمعة منصوب بليس، بل هو منصوب بالعامل في خبر ليس وهو الجار والمجرور، فهو من تقديم معمول الخبر على ليس. وتقديم ذلك مبني على جواز تقديم الخبر الذي لليس عليها. وهو مختلف فيه، ولم يُسمع من العرب: قائماً ليس زيد.

---

(١) ق: فقال.

(٢) الكشاف ٤: ٥١.

(٣) ق: بما.

(٤) ق: كنت وكنت.

(٥) ق: شد.

وليس إنما تدلّ على نفي الحكم الخبري عن المحكوم عليه فقط، فهي كما، لكنه لما اتّصلت بها ضمائر الرفع جعلها ناسٌ فعلاً، وهي في الحقيقة حرف نفي كما النافية. ويظهر من تمثيل الزمخشري إذا بقوله: يوم الجمعة، أنه سلبها الدلالة على الشرط الذي [٥٣٢/أ] هو غالب فيها.

ولو كانت شرطاً وكان الجواب الجملة المصدّرة بليس لزمت الفاء إلا إن حذفت في شعر إذ[١] ورد ذلك فتقول إذا أحسن إليك زيد فلست تترك مكافأته، ولا يجوز: لست بغير فاء إلاّ إن اضطر إلى ذلك.

وأما تقديره: إذا وقعت كان كيت وكيت، فيدلّ على أنّ إذا عنده شرطية، ولذلك قدّر لها جواباً عاملاً فيها. وأما قوله: أو بإضمار اذكر، فإنه سلبها الظرفية وجعلها مفعولاً بها منصوبة باذكر.

و﴿ كَاذِبَةٌ﴾ ظاهره أنه اسم فاعل من كذب، وهو صفة لمحذوف، فقدّره الزمخشري[٢]: نفس كاذبة. والذي يظهر أنها جملة اعتراض بين الشرط وجوابه.

وقرىء: خافضة رافعة، برفعهما على تقدير هي. ونصبهما على الحال.

﴿ إِذَا رُجَّتِ﴾ قال ابن عباس[٣]: [زلزلت] وحُرّكت بعنف.

﴿ وَبُسَّتِ﴾ فُتِّتَتْ. [و«إذا رجت» بدل من «إذا وقعت». وجواب الشرط عندي ملفوظ به وهو قوله «فأصحاب الميمنة»] والمعنى: إذا كان كذا وكذا

(١) ق: إن.

(٢) انظر الكشاف ٤ : ٥١.

(٣) ق: ابن عبد السلام.

فأصحاب الميمنة ما أسعدهم وما أعظم ما يُجازَوْن به، أي: أن سعادتهم وعظم رتبتهم عند الله تعالى يظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم.

وقال الزمخشري[1]: ويجوز أن ينتصب بـ«خافضة رافعة» أي: تخفض وترفع وقت رجّ الأرض وبسّ الجبال، لأنه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض انتهى. ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً بل بأحدهما، لأنه لا يجتمع مؤثران على أثر واحد.

وقال ابن جني وأبو الفضل الرازي[2]: «إذا رجّت» في موضع رفع على أنه خبر للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت» وليست واحدة منهما شرطية بل جعلت بمعنى وقت، وما بعد إذا أحوال ثلاثة. والمعنى: وقتُ وقوع الواقعة صادقةَ الوقوع خافضةَ قومٍ رافعةً آخرين وقتُ رجِّ الأرض.

وهكذا ادّعى ابن مالك أنّ إذا تكون مبتدأ واستدلّ بهذا. وقد ذكرنا في شرح التسهيل ما تبقى به إذا على مدلولها من الشرط.

﴿وَكُنتُمْ﴾ خطاب للعالم. ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافاً ثلاثة. وهذه رتب الناس يوم القيامة.

﴿فَأَصْحَٰبُ﴾ مبتدأ. و«ما» مبتدأ ثانٍ، استفهام في معنى التعظيم. و﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبر عن «ما»، و[«ما»] وما بعدها خبر عن «أصحاب». وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه، وأكثر ما يكون ذلك في

---

(١) الكشاف ٤: ٥٢.

(٢) انظر تفسير الرازي ٢٩: ١٤٣.

موضع التهويل والتعظيم. وإعراب ﴿أَصۡحَـٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ كذلك.

﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ﴾ في أعمال الخيرات ﴿ٱلسَّـٰبِقُونَ﴾ إلى الجنّة. والجملة مبتدأ وخبر. ويجوز أن يكون «السابقون» توكيداً للأول، ويكون خبر المبتدأ الجملة التي هي اسم الإشارة وما بعدها وهو قوله «أولئك المقرّبون».

والثّلة: الجماعة قلّت أو كثرت، والمراد بها في الآية الجماعة الكثيرة لمقابلتها في [٥٣٢/ب] قوله «وقليل من الآخرين». وارتفع «ثلة» على إضمار: هم. وفي الحديث[١] «الفرقتان في أمّتي فسابق في أول الأمة ثلّة، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل».

﴿مَّوۡضُونَةٍ﴾ الموضونة: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحلق الدّرع. وقال عكرمة: مشبكة بالدّر والياقوت.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على السّرر. و«متكئين» حال من الضمير المستكن في «على سرر». «متقابلين» ينظر بعضهم إلى بعض، وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق وصفاء بواطنهم.

﴿وِلۡدَٰنٌ﴾ صغار الخدم. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ وُصفوا بالخُلْد وهو البقاء على حالهم من الصّغر لا يكبرون. وقيل: مقرّطون بالخلدات وهي ضروب من الأقراط.

﴿مَّعِينٍ﴾ قال ابن عباس: من خمر سائلة جارية مَعينة.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ أي: لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يلحق من خمر الدنيا. ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يفرغ خمرهم، مِن نَزَف البئر: استفرغ ماءها.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٧: ١١٠ من حديث ابن عباس بألفاظ أخر، وانظر الفتح الرباني ١٨: ٢٩٤.

وقرىء: وحور، بالرفع على تقدير: ولهم حور. وبالجرّ عطفاً على المجرورات قبله، والمعنى أن الولدان يطوفون عليهم بالحور العين.

ووصف اللؤلؤ بالمكنون، لأنه أصفى وأبعد من التغيّر. وفي الحديث[١] «صفاؤهنّ كصفاء الدّر الذي لا تمسّه الأيدي».

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ﴾ روي أن المنازل تقسم[٢] في الجنة على قدر الأعمال. ونفس دخول الجنة [هو بفضل الله ورحمته لا بعمل عامل؛ وفي النص الصحيح الصريح[٣]: لا يدخل أحد الجنّة] بعمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني منه بفضل ورحمة.

اللغو: سقط القول وفحشه. والتأثيم: ما يؤثم به، أي: لا يؤثم فيها أحد.

والظاهر أنّ ﴿إِلَّا قِيلࣰا سَلَـٰمࣰا سَلَـٰمࣰا﴾ استثناء منقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم.

﴿وَأَصۡحَـٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَـٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِی سِدۡرࣲ مَّخۡضُودࣲ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحࣲ مَّنضُودࣲ ﴿٢٩﴾ وَظِلࣲّ مَّمۡدُودࣲ ﴿٣٠﴾ وَمَاۤءࣲ مَّسۡكُوبࣲ ﴿٣١﴾ وَفَـٰكِهَةࣲ كَثِیرَةࣲ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةࣲ وَلَا مَمۡنُوعَةࣲ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشࣲ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّاۤ أَنشَأۡنَـٰهُنَّ إِنشَاۤءࣰ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَـٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابࣰا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَـٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةࣱ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِینَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةࣱ مِّنَ ٱلۡـَٔاخِرِینَ ﴿٤٠﴾﴾.

(١) رواه ابن جرير ٢٧: ١٠٢ من حديث أم سلمة.
(٢) ق: والقسم.
(٣) أخرجه البخاري ٥: ٢١٤٧ من حديث أبي هريرة.

﴿فِي سِدْرٍ﴾ في الجنّة شجر على خلقة [السّدر] له ثمر كقِلال هجر[1]، طيب الطعم والرّيح. ﴿مَّخْضُودٍ﴾ عارٍ من الشوك.

﴿وَطَلْحٍ﴾ قال مجاهد: هو الموز. والمنضود: الذي نضد[2] من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق تظهر.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي: منبسط لا يتقلّص ولا ينسخه شيء.

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ جارٍ في غير أخاديد.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفاكهة الدنيا. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُمنع من تناولها بوجه ولا يُحظر عليها كالتي في الدنيا.

﴿وَفُرُشٍ﴾ جمع فراش. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نُضّدت[3] حتى ارتفعت، أو رُفعت على الأسرّة. والظاهر أن الفراش هو ما يُفترش للجلوس عليه والنوم.

والضمير في ﴿أَنشَأْنَٰهُنَّ﴾ عائد على الفرش في قول أبي عبيدة؛ إذ هنّ النساء عنده. وعلى ما دلّ عليه الفرش، إذا كان المراد بالفرش ظاهر ما يدلّ عليه من الملابس التي تفترش، ويضطجع عليها. أي: ابتدأنا خلقهنّ ابتداءً جديداً [٥٣٣/أ] من غير ولادة. والظاهر أن الإنشاء هو الاختراع الذي [لم] يُسبق بخَلْق [مثله]، ويكون ذلك مخصوصاً بالحور اللاتي لسن من نسل آدم عليه السلام.

(١) القُلّة: إناء للعرب، وقلال هجر شبيهة بالحِباب (الخوابي).

(٢) ق: تعبد.

(٣) ق: نضت.

﴿أَبْكَارًا﴾ قيل: دائمات البكارة كلما وُطئن وُجدن أبكاراً.

والعَروب: قال ابن عباس: المتحبّبة إلى زوجها. ﴿أَتْرَابًا﴾ في الشكل والقدّ والسنّ.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من الأمم الماضية. ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من أمّة محمد صلى الله ﷺ. ولا تنافي بين قوله «وثلة من الآخرين» وقوله قبلُ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة]؛ لأن قوله «[وقليل] من الآخرين» هو في السابقين، وقوله «وثلّة من الآخرين» هو في أصحاب اليمين.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ في هذا الاستفهام تعظيم مصابهم.

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في أشدّ حرّ. ﴿وَحَمِيمٍ﴾ ماء شديد السخونة. ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ اليحمومُ: الأسودُ البهيم. ﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفتان للظلّ نُفيتا[1] سُمّي ظلاًّ وإن كان ليس كالظّلال، ونُفيَ عنه بردُ الظلّ ونفعه لمن يأوي إليه. «ولا كريم» تتميم لنفي[2] صفة المدح فيه، وتمحيق لما يُتوهّم في الظّل من الاسترواح إليه عند شدة الحرّ، أو نفي لكرامة من يستروح إليه.

---

(١) ق: يفيتا.

(٢) ق: تتميم لصفة.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ خطاب لكفار قريش. ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾ للبعث.

﴿لَآكِلُونَ﴾ «من» الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض. والثانية إن كان «من زقوم» بدلاً فـ«مِن» تحتمل الوجهين. وإن لم تكن بدلاً فهي لبيان الجنس؛ أي: من شجر الذي هو زقوم.

﴿فَمَالِـُٔونَ﴾ الضمير في «منها» عائد على «شجر» إذ هو اسم جنس يؤنث ويذكّر.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ ذُكّر على لفظ الشجر، كما أُنّث على المعنى في «منها».

﴿ٱلْهِيمِ﴾ جمع أهيم وهيماء. والهيام داء معطش يصيب الإبل، تشرب حتى تموت، أو تسقم سقماً شديداً. ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا
تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ
أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ حضٌّ على التصديق؛ أشار إلى النشأة الأولى وهي خَلْقهم ثم قال: فلولا تصدّقون بالإعادة وتقرّون بها كما أقررتم بالنشأة الأولى.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هو من المنّي الذي يخرج من الإنسان؛ إذ ليس له في

خلقه عمل ولا إرادة ولا قدرة. ومفعول «أرأيتم» هو ما يليه، والثاني جملة الاستفهام بعده. و«أم» معادلة للهمزة، وكأنّ ما جاء من الخبر بعد «نحن» جيء به على سبيل التوكيد؛ إذ لو قال «أم نحن» لوقع الاكتفاء به دون ذكر الخبر. ونظير ذلك جواب من قال: من في الدار؟ زيد في الدار أو زيد فيها. ولو اقتصر في الجواب على: زيد، لاكتُفي به.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا﴾ أي: قضينا وأثبتنا أو رتّبنا في التقدّم والتأخر، فليس موت العالم دفعة واحدة بل بترتيب[1] لا يُتعدى. ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ يقال [٥٣٣/ب] سبقتُه على الشيء: أعجزتُه عنه وغلبته عليه.

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات، اي: نحن قادرون على أن نعدمكم وننشىء أمثالكم، وعلى تغيير أوصافكم ممّا لا يحيط به فكركم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أنه هو الذي أنشأكم اوّلاً إنساناً إنساناً، وأنه خلق آدم عليه السلام من طين، ولا ينكرها أحد من ولده. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حضٌّ على التذكّر المؤدي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة[2] الآخرة.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ما تُذْرونه وتبذرونه[3] في الأرض.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥ﴾ أي: زرعاً يتمّ وينبت حتى ينتفع به.

والحطام: اليابس المفتّت الذي لم يكن له حبّ ينتفع به. ﴿فَظَلْتُمْ﴾ أصله فظللتم، حذفت عين الكلمة. و﴿تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه تعجبون.

---

(١) ق: بترتب.

(٢) ق: النشأة.

(٣) تثيرونه وتذبرونه. وأذرى الحبّ: ألقاه في الأرض للزّرع.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: معذّبون، من الغرام الذي هو أشدّ العذاب.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: محدودون لا حظّ لنا في الخير.

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذب، ألا ترى مقابله وهو الأجاج؟. ودخلت اللام في ﴿لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ وسقطت في قوله ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا[١]﴾ وكلاهما فصيح.

والظاهر أنّ قوله ﴿شَجَرَتَهَآ﴾ المراد منه الشجر الذي يُقدح منه النار[٢]، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [يس].

﴿تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم. ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: النازلين الأرض القواء وهي القفر. وقدّم من فوائد النار ما هو أهمّ وآكد من تذكيرها بنار جهنم، ثم أتبعه بفائدتها في الدنيا. وهذه الأربعة التي ذكرها تعالى ووقفهم[٣] عليها - من أمر خلقهم وما به قوام عيشهم من المطعوم والمشروب والنار - من أعظم الدلائل على البعث؛ إذ فيها انتقال من شيء إلى شيء وإحداث شيء من شيء. ولذلك أمر في آخرها بتنزيهه تعالى عما يقول الكافرون. ووصف تعالى نفسه بـ«العظيم» إذ مَن هذه أفعاله تدلّ على عظمته وكبريائه وانفراده بالخلق والإنشاء.

﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ

---

(١) ق: أجاج.

(٢) ق: يقع منه النهار.

(٣) ق: وقفهم.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن
لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن
كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ
ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾
فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ الآية، قرأ الجمهور: فلا أقسم. فقيل: «لا» زائدة مؤكدة مثلها في قوله ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد] والمعنى: فأقسم. وقيل: المنفي محذوف أي: فلا صحة لما يقول الكفار، ثم ابتدأ: أقسم بمواقع النجوم. قال ابن عباس: هي نجوم القرآن التي أنزلت على الرسول عليه السلام. ويؤيد هذا القول قوله «إنه لقرآن» فعاد الضمير على ما يُفهم من قوله «بمواقع النجوم» أي نجوم القرآن.

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سرٌّ في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن. وقد أعظم ذلك تعالى فقال ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. والجملة المقسم [٥٣٤/ أ] عليها قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. وفصل بين القسم وجوابه، فالظاهر أنه اعتراض بينهما وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله «لو تعلمون». و«كريم» وصف مدرج ينفي عنه ما لا يليق.

والظاهر أن قوله ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ صفة لـ«قرآن كريم». فالمطهّرون هم الملائكة. [وقيل ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ صفة لـ«كتاب مكنون». فإن كان الكتاب الذي هو في السماء فالمطهّرون هم الملائكة] أيضاً، أي: لا يطّلع عليه من سواهم.

والإشارة في ﴿أَفَبِهَٰذَا﴾ للقرآن. و﴿أَنتُم﴾ خطاب للكفّار. ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: مهاودون فيما لا يحلّ.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شكر ما رزقكم الله تعالى من إنزال القرآن عليكم تكذيبكم به، أي: تضعون مكان الشكر التكذيب.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ ترتيب الآية: فلولا ترجعونها[1] إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين. و﴿فَلَوْلَآ﴾ الثانية مكررة للتوكيد. والضمير في ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ للنفس.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المتوفّى. ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون.

﴿فَرَوْحٌ﴾ وهو الراحة والرحمة. والريحان: الرزق.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ يا صاحب اليمين من إخوانك أصحاب اليمين، أي: يسلّمون عليك.

﴿فَنُزُلٌ﴾ النُّزلُ: ما يُعدّ للضيف. والفاء في المواضع الثلاثة جواب لأمّا. وأغنى عن جواب الشرط الذي هو «إنْ». وإذا[2] اجتمع شرطان فالجواب للأول ويغني عن جواب الثاني.

ولمّا انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آل إليه كل قسم منهم، أكّد ذلك بقوله ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إنّ هذا الخبر المذكور في هذه السورة. ﴿لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فقيل هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة كما تقول: هذا يقين اليقين وصواب الصواب، بمعنى أنه نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد

(١) ق: ترجعوا بها.

(٢) ق: إذا.

أضيف على سبيل المبالغة.

ولمّا تقدّم ذكر الأقسام الثلاثة مسهباً الكلام فيهم، أمره تعالى بتنزيهه عمّا لا يليق به من الصفات. ولمّا أعاد التقسيم موجزاً[1] الكلام فيه، أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربّه، والإعراض عن أقوال الكفرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء. ويظهر أن «سبّح» يتعدى بنفسه تارة كقوله «فسبح باسم ربك» ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح] وتارة بحرف الجر كقوله «فسبح باسم ربك». و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ يجوز أن يكون صفة لـ«اسم» ويجوز أن يكون صفة لـ«ربك».

(١) ق: مؤخراً.

سورة الحديد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ هذه السورة [٥٣٤/ب] مدنية بإجماع المفسّرين، قاله النقاش. وقال غيره كالزمخشري(٢): هي مكية. ومناسبتها لآخر ما قبلها واضحة، لأنه تعالى أمر بالتسبيح ثم أخبر أن التسبيح المأمور به قد فعله والتزمه كلّ من في السماوات والأرض. وأتى ﴿سَبَّحَ﴾ بلفظ الماضي و﴿يُسَبِّحُ ۝١﴾ [الجمعة] بلفظ المضارع، وكلّه يدلّ على الديمومة والاستمرار.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ

---

(١) مدنية وهي تسع وعشرون آية.

(٢) ليس في تفسيره.

وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ[١]﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى تسبيح العالم له، وما احتوى عليه من الملك والتصرّف، وما وصف به نفسه من الصفات العلا، وختمها بالعلم بخفيّات الصدور - أمر تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان وإدامته والنفقة في سبيل الله تعالى. قال الضحّاك: نزلت في غزوة العسرة غزوة تبوك.

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: ليست لكم بالحقيقة، وإنما انتقلت إليكم من غيركم وكما وصلت تتركونها[٢] لغيركم. وفيه تزهيد فيما بيد الإنسان، إذ مصيره إلى غيره، وليس له منه إلا ما في الحديث[٣] «يقول ابن آدم: مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أولبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت».

﴿وَمَا لَكُمْ﴾ استفهام على سبيل التأنيب[٤] والإنكار. وهو مبتدأ، و«لكم»

(١) ق: ورسله.
(٢) ق: تتركوها.
(٣) أخرجه أحمد ٤: ٢٤ من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه.
(٤) ق: التأنيث.

الخبر. ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ جملة حالية. والواو في «والرسول» واو الحال، [وفي] «وقد أخذ» واو الحال. وقرىء: أخذ، مبنياً للفاعل والمفعول. والمعنى أنّ من اتّصف بهذه الأحوال يجب أن يؤمن ويديم الإيمان. والميثاق الذي أخذ: قيل إنه أخذه الله تعالى حين[1] استخرج من ظهر آدم عليه السلام ذرّيته، وأشهدهم على أنفسهم. وجواب ﴿إِن كُنتُم﴾ محذوف أي: فدوموا على الإيمان.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ استفهام ثانٍ على معنى الإنكار. و«أن لا تنفقوا» مصدر على إسقاط حرف الجر تقديره: في عدم الإنفاق. والواو في «ولله» واو الحال. ومقابل قوله ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ محذوف يدلّ عليه ما بعده تقديره: ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل. ثم أثنى على من فعل ذلك قبل الفتح ثم قال ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي: كلاًّ من المنفقين. وهو منصوب على أنه مفعول أول بقوله «وعد». و«الحسنى» مفعول ثانٍ وهي قراءة الجمهور بالنصب. وقرأ ابن عامر: وكلٌّ، بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الجملة بعده، حذف منه المفعول وهو الضمير العائد على «كل» تقديره: وعده[2] الله. ونظير ذلك قول الشاعر[3]: [من السريع]

وخـالـدٌ يَحْمَـدُ سـاداتُنَـا   بالحقِّ لا يَحْمَدُ بالباطلِ

تقديره: يحمده ساداتنا. فحذف الضمير العائد على المبتدأ.

(١) ق: حتى.

(٢) ق: وعد.

(٣) البيت من شواهد مغني اللبيب ٢: ٦١١ غير منسوب. وهو في شرح أبيات المغني ٧: ٢٨٠ منسوب للأسود بن يعفر.

والظاهر أنّ قوله ﴿وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ هو زيادة على التضعيف المترتّب على القرض [٥٣٥/أ] أي: وله مع التضعيف أجر[١] كريم.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥﴾.

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ الآية، العامل في «يوم» ما عمل في «له» التقدير: ومستقرّ له[٢] أجر كريم يوم ترى. أو اذكر يوم ترى، إعظاماً لذلك اليوم. والرؤية هنا رؤية العين، والنور حقيقة. والظاهر أن النّور يتقدّم لهم بين أيديهم، ويكون أيضاً بأيمانهم، فيظهر أنهما نوران: نور ساعٍ بين أيديهم، ونور بأيمانهم، فلذلك تضيء الجهة التي يؤمّونها. وهذا يضيء ما حواليهم من الجهات.

﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ﴾ جملة معمولة لقول محذوف تقديره: تقول لهم الملائكة الذين يتلقّونهم. ﴿جَنَّٰتٞ﴾ أي: دخول جنات.

﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾. وقيل معمولة لاذكر.

---

(١) ق: أجري.

(٢) ق: لهم، في الموضعين. وتصحّ الجملة بإعادة الضمير على معنى «مَن» في الآية السابقة.

قال ابن عطية: ويظهر لي أن العامل فيه «ذلك هو الفوز العظيم». ويجيء معنى الفوز أفخم كأنه يقول: إن المؤمنين يفوزون بالرحمة يوم يعتري المنافقين كذا وكذا، لأن ظهور المرء يوم خمول عدوّه ومضادّه أبدع وأفخم انتهى.

وظاهر كلامه وتقديره أن «يوم» منصوب بالفوز، وهو لا يجوز لأنه مصدر قد وصف قبل أخذ متعلّقاته، فلا يجوز إعماله. فلو أعمل وصفه وهو «العظيم» لجاز، أي: الفوز الذي عظم، أي: قَدْره يوم يقول انظرونا، أي: انتظرونا. لأنهم لمّا سبقوهم إلى المرور على الصراط، وقد طفئت أنوارهم، قالوا[1] ذلك. وقرىء: أَنْظِرونا، من أنظر، رباعياً، أي: أخّرونا أي: اجعلونا في آخركم ولا تسبقونا. وقرىء: أَنْظُرونا، أمرٌ من نظر بمعنى انتظر. قال امرؤ القيس[2]: [من الطويل]

وإنكما إن تَنْظُراني ساعةً ... من الدهر تنفَعْني لدى أمّ جُندبِ

﴿نَقْتَبِسْ﴾ جواب للأمر، أي: نُصِبْ منه حتى نستضيء به. يقال: اقتبس الرجل واستقبس: أخذ من نار غيره قبساً. ﴿قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾ القائل المؤمنون أو الملائكة. «وراءكم» منصوب بـ«ارجعوا». و«ارجعوا» أمر توبيخ وطرد، أي: ارجعوا إلى الموقف حيث أُعطينا النور. وثَمّ محذوف تقديره: فرجعوا والتمسوا. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ أي: بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ أي: بحاجز. والظاهر في ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ أن يعود الضمير منه على الباب لقربه، وقيل: على السور، و«باطنه» الشق الذي لأهل الجنّة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما بدا

(١) ق: فقالوا.

(٢) ق: امرىء. والبيت في ديوانه ص٤١.

منه. ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهته العذاب.

﴿يُنَادُونَهُمْ﴾ استئناف إخبار. ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي: في الظاهر. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي: كنتم معنا في الظاهر. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾ أي: عرّضتم أنفسكم للفتنة بنفاقكم. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي: بإيمانكم حتى وافيتم على الكفر. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في أمر الدين. [٥٣٥/ب] ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ وهي الأطماع. ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت على النفاق. و﴿ٱلْغَرُورُ﴾ الشيطان.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، كثر المزاح في شباب الصحابة فنزلت[1]. «يأن» مضارع أَنَى كرمى يرمي. ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قيل: هم معاصرو موسى عليه السلام من بني إسرائيل. حُذّر المؤمنون أن يكونوا مثلهم في قساوة القلوب، إذ كانوا إذا سمعوا التوراة،

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٢، ولباب النّقول ص٢٠٤.

رقّوا وخشعوا. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: انتظار الفتح أو انتظار القيامة. و«الأمد» الغاية من الزّمن. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: صلبت بحيث لا تنفعل للطاعات والخير.

﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يظهر أنه تمثيل للين القلوب بعد قسوتها ولتأثير ذكر الله تعالى فيها كما يؤثر الغيث في الأرض، فتعود بعد إجدابها مخصبة، كذلك[1] تعود القلوب النافرة مقبلة، يظهر فيها أثر الطاعات والخشوع.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: علام عطف قوله «وأقرضوا»؟. قلت: على معنى الفعل من «المصدّقين» لأن اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصّدقوا [، كأنه قيل: إن الذين اصّدقوا] وأقرضوا انتهى.

واتّبع في ذلك أبا علي الفارسي. ولا يصحّ أن يكون معطوفاً على «المصدّقين» لأن المعطوف على الصلة صلة، وقد فصل بينهما بمعطوف وهو قوله «والمصدقات» ولا يصحّ أيضاً أن يكون معطوفاً على صلة أل في «المصّدقات»[3] لا ختلاف الضمائر؛ [إذ] ضمير «المصّدقات» مؤنث، وضمير «وأقرضوا» مذكّر. فيتخرج هذا على حذف الموصول لدلالة ما قبله عليه، كأنه قيل: والذين أقرضوا، فيكون مثل قول الشاعر[4]: [من الوافر]

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمـدحُـه وينصـرُه سـواءُ

يريد: ومن يمدحه.

(١) ق: لذلك.

(٢) الكشاف ٤ : ٦٤.

(٣) ق: المتصدقات.

(٤) البيت لحسّان في ديوانه ص٦٤.

﴿كَمَثَلِ﴾ في موضع رفع صفة لما تقدّم. وصورة المثال أن الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشبّ ويقوي ويكسب المال والولد، ويغشاه الناس، ثم يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشف ويضعف ويسقم، وتصيبه النوائب في ماله وذريته، ويموت ويضمحلّ أمره، ويصير ماله لغيره، فأمره مثل مطر، أصاب أرضاً، فنبت عن ذلك الغيث نبات معجب أنيق، ثم هاج واصفرّ، ثم تحطّم، ثم تفرّق بالرياح، واضمحلّ[(١)].

قيل ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ الزّراع، مِن كفر الحبّ: أي: ستره في الأرض. وخُصّوا بالذكر لأنهم أهل البصر بالنبات والفلاحة، فلا يعجبهم إلا المعجب حقيقة. وقيل: من الكفر بالله لأنهم من أشد [الناس] تعظيماً للدنيا وإعجاباً بمحاسنها. وحُطام: بناء مبالغة كعُجاب. وقرىء: مصفارّاً. ولمّا ذكر ما يؤول إليه [٥٣٦/أ] أمر الدنيا من الفناء، ذكر ما هو ثابت دائم من أمر الآخرة من العذاب الشديد، ومن رضاه الذي هو سبب النعيم.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ

(١) ما سبق من شرح الآية من كلام ابن عطية، انظر البحر ٨: ٢٢٤.

بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة، أمر بالمسابقة إليها. والمعنى: سابقوا إلى سبب مغفرة، وهو الإيمان وعمل الطاعات. ﴿عَرۡضُهَا﴾ أي: مساحتها في السّعة. والعرض خلاف الطول. فإذا وصف العرض بالبسطة عُرف أن الطول أبسط وأمدّ. ﴿أُعِدَّتۡ﴾ يدلّ على أنها مخلوقة، وتكرر ذلك في القرآن. ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ عطاؤه. ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ وهم المؤمنون.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ﴾ أيّ مصيبة. وذكّر فعلها، وهو جائز التذكير والتأنيث. ومن التأنيث. ﴿مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴿٥﴾﴾ [الحجر]. ولفظة «مصيبة» تدلّ على الشّر لأن عُرْفَها[1] ذلك، وخصّها بالذكر لأنها أهمّ على البشر. والمصيبة في الأرض مثل القحط والزلزلة وعاهة الزّرع، وفي الأنفس الأسقام والموت. ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ هو اللوح المحفوظ، أي: مكتوبة فيه. ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ أي: نخلقها، برأ: خلق[2]. والضمير في «نبرأها» الظاهر أنه يعود على المصيبة لأنّها هي المحدَّث عنها. وذِكْر[3] الأرض والأنفس هو على سبيل ذكر محلّ المصيبة. ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: سهل وإن كان عسيراً على العباد.

ثم ذكر تعالى الحكمة في إعلامنا بذلك الذي فعله، من تقدير ذلك، وسَبْق قضائه بذلك، فقال ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي: تحزنوا على ما فاتكم. لأن

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) ق: أي نخلقها ولا خلق. وفوقها: كذا.

(٣) ق: وكر.

العبد إذا علم ذلك، سلّم وعلم أنّ ما فاته، لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه. فلذلك لا يحزن على فائت، لأنه ليس بصدد أن يناله. ويظهر أن المراد بقوله «لكيلا» أن يلحق الحزن الشديد على ما فات من الخير، فيحدث عنه السّخط وعدم الرّضا بالمقدور. ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟﴾ الفرح المؤدي إلى البطر المنهيّ عنه في قوله ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص]. فإن الحزن قد ينشأ عنه السّخط، والفرح قد ينشأ عنه البطر، ولذلك ختم بقوله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فالفرح بما[1] ناله من حطام الدّنيا يَلْحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتّكبر على الناس، فمثل هذا هو المنهي عنه. وأما الحزن على ما فات من طاعة الله تعالى والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع، فهو مندوب إليه.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من «كل مختال» أو على إضمار: هم، أو إضمار: أذمّ. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ أي: عمّا أمر الله به.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: بالحجج والمعجزات. ﴿مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ «الكتاب» اسم جنس. و«معهم» حال مقدّرة، أي: وأنزلنا الكتاب صائراً معهم.

﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ [٥٣٦/ب] قال ابن عباس: يترتّب على معنى الآية بأن الله تعالى أخبر بأنه أرسل رسلاً، وأنزل كتباً وعدلاً مشروعاً وسلاحاً يحارب بها[2] من عاند، ولم يهتد بهدي الله تعالى، فلم يَبْقَ عذر. وفي الآية على هذا التأويل حضٌّ على القتال.

---

(١) ق: ما.

(٢) السلاح مذكر ويجوز تأنيثه، انظر الصحاح: سلح.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم
مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا
حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ
نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا
يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى إرسال الرّسل جملةً، أفرد منهم في هذه الآية نوحاً وإبراهيم تشريفاً لهما بالذكر. والظاهر أن الضمير في «منهم» عائد على الذرّية.

﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا ﴾ أي: أتبعنا وجعلناهم يَقْفُون من تقدّم. ﴿ عَلَىٰ آثَارِهِم ﴾ أي: آثار الذّرية. ﴿ بِرُسُلِنَا ﴾ وهم الرسل الذين جاؤوا بعد الذّرية. ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ﴾ ذكره تشريفاً له ولانتشار أمتّه[1]. ونسبه لأمّه على العادة في الإخبار عنه. ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ يحتمل أن يكون المعنى: وخلقنا، ويحتمل أن يكون بمعنى صيّرنا، فيكون «في قلوب» في موضع المفعول الثاني لـ«جعلنا». ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ﴾ معطوف على ما قبله فهي داخلة في الجَعْل. ﴿ ابْتَدَعُوهَا ﴾ جملة في موضع الصفة لـ«رهبانيّة».

---

(١) فوقها في ق: كذا.

وخُصّت[١] الرهبانية بالابتداع لأن الرأفة والرحمة في القلب لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها، بخلاف الرهبانية فإنها أفعال بدنٍ مع شيء في القلب، ففيها موضع للتكسّب.

وجعل أبو علي الفارسي «ورهبانية» منقطعة من العطف على ما قبلها من «رأفة ورحمة» فانتصب عنده[٢] «ورهبانية» على إضمار فعل يفسّره ما بعده، فهو من باب الاشتغال، أي: وابتدعوا[٣] رهبانية ابتدعوها.

وتبعه الزمخشري فقال [٤]: وانتصابها بفعل مضمر يفسّره الظاهر وتقديره: وابتدعوا رهبانية ابتدعوها، يعني وأحدثوها من عند أنفسهم انتهى.

وهذا إعراب المعتزلة، وكان أبو علي الفارسي معتزلياً. وهم يقولون: ما كان مخلوقاً لله تعالى لا يكون مخلوقاً للعبد؛ فالرأفة والرحمة من خلق الله تعالى، والرهبانية من ابتداع الإنسان فهي مخلوقة له.

وهذا الإعراب الذي لهم ليس بجيّد من جهة صناعة العربية، لأن مثل هذا هو مما لا يجوز فيه الرفع بالابتداء. ولا يجوز الابتداء هنا بقوله «ورهبانيّة» لأنها نكرة لا مسوّغ لها من المسوغات للابتداء بالنكرة.

والظاهر أن ﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء متصل ممّا هو مفعول من أجله، وصار المعنى أنه كتبها تعالى عليهم ابتغاء مرضاته. والضمير في «رعوها» عائد على ما عاد عليه في «ابتدعوها» وهو ضمير «الذين اتّبعوه»،

---

(١) ق: وحصب.

(٢) ق: بعده.

(٣) ق: وابتدعوها.

(٤) الكشاف ٤: ٦٧.

أي: لم يرعوها كما يجب على الناذر رعاية نذره، لأنه عهد مع الله تعالى لا يحلّ نكثه[١]. ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتّبعوا عيسى عليه السلام. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم الذين [٥٣٧/أ] لم يحافظوا على نذورهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نداء لمن آمن من أمة محمد عليه السلام. فمعنى «آمِنوا» دوموا واثبتوا. ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي: نصيبين في إيمانه بنبيّه وإيمانه[٢] بمحمد ﷺ، كما قال ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴿٥٤﴾﴾ [القصص].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ «لا» زائدة، و«أن» واجبة الذّكر وإن كانت ناصبة للفعل كراهة اجتماع لام الجر ولا الزائدة. وتتعلّق اللام بـ«يؤتكم»، أو على إضمار فعل تقديره: فعلنا ذلك، أي: إيتاء الكفلين وجَعْل النور والغفران. والمعنى أن هذا كله من فضل الله تعالى، وأن المؤتون ذلك لا يقدرون على ذلك، بل ذلك كلّه من فضل الله تعالى. و﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ كناية عن القدرة عن ما[٣] يؤتيه من الفضل لمن يشاء.

---

(١) ق: ثلثه.

(٢) ق: وإيمان.

(٣) ق: عن القدرة عن فضل الله يؤتيه.

سورة المجادلة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ ﴾ .

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية وقيل غير ذلك. و«التي تجادلك» خولة بنت ثعلبة وقيل غير ذلك. وأكثر الرواة على أن الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة، ظاهر من أمرأته. قال أبو قلابة وغيره: كان الظّهار في الجاهلية يوجب عندهم فُرقةً مؤبّدة. ولمّا ظاهر أوس من أمرأته قالت زوجته: يا رسول الله: أكل أوس شبابي ونثرتُ له بطني، فلما كبرتُ ومات أهلي ظاهر منّي فقال لها: ما أراك إلا قد حرمتِ عليه. فقالت: يا رسول الله لا تفعل فإني وحيدة ليس لي أهل سواه. فراجعها بمثل مقالته، فراجعَتْه. فهذا هو جدالها. وكانت تقول في

(١) مدنية وهي اثنتان وعشرون آية.

خلال ذلك: اللهم إنّ لي منه صبيةً صغاراً إن ضممتُهم إليه[١] ضاعوا وإن ضممتهم إليّ[٢] جاعوا. فهذا هو اشتكاؤها إلى الله تعالى. فنزل[٣] الوحي عند جدالها. قالت عائشة: سبحان من وسع سمعه الأصوات! كان بعض كلام خولة يخفى عليّ، وسمع الله جدالها. فبعث رسول الله ﷺ خلف أوس[٤] وعرض عليه كفّارة الظهار: العتق. فقال: ما أملك. والصوم، قال: ما أقدر. والإطعام، فقال: لا أجد إلّا أن تعينني. فأعانه عليه السلام بخمسة عشر صاعاً[٥] ودعا له، فكفّر بالإطعام وأمسك أهله. وكان عمر يكرم خولة إذا دخلت عليه ويقول: قد سمع الله لها. والظّهار قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمّي، يريد: في التحريم.

وقوله ﴿مِنكُم﴾ إشارة إلى توبيخ العرب وتهجين عاداتهم في الظهار، لأنه كان من أيمان [٥٣٧/ب] أهل الجاهلية خاصة دون سائر الأمم. والظاهر أن قوله ﴿مِّن نِّسَآئِهِم﴾ يشمل المدخول بها وغير المدخول بها من الزوجات، لا من ظاهر منها قبل عقد نكاحها. ﴿مَّا هُنَّ﴾ أجرى «ما» مجرى ليس في رفع الاسم ونصب الخبر [كما] في قوله تعالى ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا ۝٣١﴾ [يوسف] وقوله ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]. وقرأ المفضل عن عاصم: أمهاتُهم، بالرفع على لغة تميم: وابن مسعود: بأمّهاتهم، بزيادة الباء، قال الزمخشري[٦]: في لغة من ينصب انتهى. يعني أنه لا تزاد الباء في لغة

(١) ق: إليّ.
(٢) ق: فوقها في ق: كذا.
(٣) انظر أسباب النزول ص٢٧٣، ولباب النقول ص٢٠٦.
(٤) ق: في أوس.
(٥) ق: صاعداً.
(٦) الكشاف ٤: ٧٠.

تميم.

وهذا ليس بشيء، وقد رُدّ ذلك على الزمخشري. وزيادة الباء في مثل: ما زيد بقائم، كثير في لغة تميم. والزمخشري تبع في ذلك أبا علي الفارسي. ولمّا كان معنى: كظهر أمّي أي: كأمّي في التحريم، ولا يُراد[1] خصوصيّة الظهر الذي هو من الجسد، جاء النفي بقوله ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾. ثم أكّد ذلك بقوله ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ أي: حقيقة ﴿إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ﴾. وألحق بهنّ في التحريم أمهات الرضاع وأمهات المؤمنين أزواج الرسول عليه السلام. و«إنْ» نافية و«اللائي» أحد جموع التي. وقول المظاهر منكر [من] القول تنكره الحقيقة وينكره الشرع. وزُور: كذب وباطل منحرف عن الحق، وهو محرّم تحريم المكروهات جدّاً، وإذا وقع لزم. وقد رُجّي تعالى بعده بأنه[2] عفوّ غفور مع الكفارة.

والظاهر أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها؛ فلو قال: أنتِ عليّ كظهر أختي أو ابنتي لم يكن ظهاراً.

والظاهر أن قوله ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟﴾ أنْ يعودوا لِلَّفْظِ الذي سبق منهم، وهو قول الرجل ثانياً أنت عليّ كظهر أمّي، فلا تلزم الكفارة بالقول الأول، وإنما تلزم بالثاني، وهو قول أهل الظاهر. وروي أيضاً عن بكير بن عبد الله بن الأشجّ وأبي العالية وأبي حنيفة وهو قول الفراء.

قال طاووس وقتادة والزهري والحسن ومالك وجماعة «لما قالوا» للوطء، والمعنى: لما قالوا إنهم لا يعودون إليه. فإذا ظاهر ثم وطىء فحينئذ تلزمه

---

(١) ق: تزاد.

(٢) ق: بعده بأنه. وفي هامش ق: بأنه، كذا في الأصل وفيه نظر.

الكفّارة وإن طلّقت أو ماتت.

وقال أبو حنيفة ومالك أيضاً والشافعي وجماعة: معناه: يعودون لما قالوا بالعزم على الإمساك والوطء، فمتى عزم على ذلك لزمته الكفّارة، طلّق أو ماتت.

قال الشافعي: العَوْد الموجب للكفّارة أن يمسك عن طلاقها بعد الظهار، ويمضي بعده زمان يمكن أن يطلّقها فيه فلا يطلّق.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ضُمّن معنى اسم الشرط، فلذلك دخلت الفاء في خبره.

و«تحرير» خبر مبتدأ محذوف تقديره: فالواجب تحرير رقبة. والظاهر في التّماس الحقيقة، فلا يجوز تماسُّهما بقبلة أو مضاجعة أو غير ذلك من وجوه الاستمتاع، وهو قول مالك وأحد قولي الشافعي. وقال الأكثرون هو [٥٣٨/أ] الوطء، فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير، وهو الصحيح من مذهب الشافعي. والضمير في ﴿يَتَمَآسَّاۚ﴾ عائد على ما دلّ عليه الكلام من المُظاهِر والمُظاهَر منها. ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ إشارة إلى التحرير.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: الرقبة ولا ثمنها، أو وجدها وثمنها وكان محتاجاً إلى ذلك، فقال أبو حنيفة: يلزمه العتق ولو كان محتاجاً إلى ذلك، ولا ينتقل إلى الصوم وهو الظاهر. وقال الشافعي: ينتقل إلى الصّوم. والظاهر وجوب التّتابع. ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصّوم لزمانةٍ[1] به أو كونه يضعف به ضعفاً شديداً. والظاهر مطلق الإطعام، ويخصّصه ما كانت العادة في الإطعام وقت النزول، وهو ما يُشبع من غير تحديد بِمُدّ. ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟﴾ الإشارة إلى

(١) زمانة: مرض يدوم.

الرخصة والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام. ثم شدّد تعالى بقوله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي: فالتزموها وقفوا عندها. ثم توعّد الكافرين بهذا الحكم الشرعي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾ نزلت في مشركي قريش أُخْزُوا يوم الخندق بالهزيمة كما أُخزي من قاتل الرسل من قبلهم. ولمّا ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادّين المخالفين لها. والمحادّة: المخالفة والمعاداة في الحدود. ﴿كُبِتُوا۟﴾ أي: أُخزوا ولُعنوا. و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ منافقو الأمم. وهي بشارة للمؤمنين بالنصر وعبّر بالماضي لتحقّق وقوعه.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي: على صدق محمد ﷺ وصحة ما جاء به. ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يحادّونه. ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: يهينهم ويذلهم.

والناصب لـ«يوم يبعثهم» العامل في «للكافرين»[1] أو «مهين» أو اذكر، أو يكون على أنه جواب لمن سأل: متى يكون عذاب هؤلاء؟ فقيل له «يوم يبعثهم». أي: يكون يوم يبعثهم. وانتصب «جميعاً» على الحال، أي: مجتمعين في صعيد واحد. ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخاً.

---

(١) ق: الكافرين.

﴿أَحْصَىٰهُ﴾ بجميع تفاصيله من كميته وكيفيّته وزمانه ومكانه، ونسوه هم[1] لاستحقارهم إياه واعتقادهم أنه لا يقع[2] عليه حساب. ﴿شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿رَابِعُهُمْ﴾ رابع اسم فاعل، من ربعت القوم. ومعنى رابع ثلاثة: الذي صيّر الثلاثة أربعة، وكذلك ﴿سَادِسُهُمْ﴾. ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الثلاثة والخمسة. والأدنى من الثلاثة الاثنان[3]، ومن الخمسة الأربعة. ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ يدلّ على ما يلي الستّة فصاعداً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ
وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ
لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟
فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون دون المؤمنين وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم، موهمين المؤمنين عن

---

(١) ق: ونسوهم.

(٢) ق: يضع.

(٣) ق: الاثنين.

أقربائهم أنهم أصابهم شرّ، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أقرباؤهم، فلما كثر [٥٣٨/ب] ذلك منهم، شكا المؤمنون إلى الرسول عليه السلام، فأمرهم ألاّ يتناجوا دون المؤمنين، فلم ينتهوا فنزلت[١]، قاله ابن عباس.

﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانوا يقولون: السام عليك، وهو الموت. فيردّ عليهم: وعليكم. وتحية الله تعالى لأنبيائه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ[٢] ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۝٥٩﴾ [النمل].

﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: إن كان نبيّاً فماله لا يدعو علينا حتى نُعذَّب بما نقول؟. فقال تعالى ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾.

ثم نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثل تناجي الكفّار. وبدأ بالإثم لعمومه، ثم بالعدوان لعظمته في النفوس، إذ هي ظلامات[٣] العباد. ثم ترقّى إلى ما هو أعظم وهو معصية الرسول عليه السلام. وفي هذا طعن على المنافقين إذا كان تناجيهم[٤] في ذلك.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: هو الذي يزيّنها لهم فكأنها منه[٥]. ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كانوا يوهمون المؤمنين أن غُزاتهم غُلبوا. ﴿بِضَآرِّهِمْ﴾ أي: المؤمنين. ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: بمشيئته، فيقضي بالقتل والغلبة.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٥، ولباب النقول ص٢٠٦.

(٢) ق: عباد الله.

(٣) ق: ظلمات.

(٤) ق: يناجيهم.

(٥) ق: يرتّبها لهم كأنها منهم.

ولمّا نهى تعالى المؤمنين عمّا هو سبب للتباغض والتنافر، أمرهم بما هو سبب للتوادّ والتقارب فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية.

كانوا يتنافسون في مجلس الرسول عليه السلام. فأُمروا أن يفسح بعضهم لبعض. ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ أي: انهضوا في المجلس للتفسّح، لأنّ مريد التوسعة على الوارد يرتفع إلى فوق. أمروا أوّلاً بالتفسّح، ثم ثانياً بامتثال الأمر فيه إذا أُمروا.

والظاهر أن قوله ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. والعطف مشعر بالتّغاير، وهو من عطف الخاص على العام. وقيل «والذين أوتوا» من عطف الصفات، والمعنى: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فالوصفان لذات واحدة. وقال ابن مسعود وغيره: تم الكلام عند قوله «منكم». وانتصب «والذين أوتوا العلم» بفعل مضمر تقديره: ويخص الذين أوتوا العلم درجات، فللمؤمنين رفع وللعلماء درجات.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ
لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ
صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم
مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ
سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ
ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ

فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ استعارة، والمعنى: قبل[1] نجواكم. وعن ابن عباس أنّ قوماً من المؤمنين وأغفالهم[2] كثرت مناجاتهم للرسول عليه السلام في غير حاجة إلا لتظهر منزلتهم. وكان عليه السلام سمحاً لا يردّ أحداً فنزلت[3] مشدّدة عليهم أمر المناجاة. وهذا الحكم قيل: نُسخ قبل العمل به. ﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال علي[4]: ما عمل به أحد غيري، أردت المناجاة ولي دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت عشر مرار أتصدّق[5] في كل مرة بدرهم [ثم] ظهرت مشقّة ذلك على الناس فنزلت الرخصة في ترك الصدقة.

﴿﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [٥٣٩/أ] الآية، «الذين تولوا» هم المنافقون، والقوم المغضوب عليهم هم اليهود. قال السدّي ومقاتل إنه عليه السلام قال لأصحابه «يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينَيْ شيطان. فدخل عبد الله بن أبيّ بن سلول، وكان أزرق أسمر قصيراً خفيف

(١) ق: قيل.
(٢) ق: في أسباب النزول: وأغنيائهم.
(٣) أسباب النزول ص٢٧٦.
(٤) انظر المرجع السابق.
(٥) ق: تصدق.

اللحية. فقال عليه السلام: علام تشتمني أنت وأصحابك؟ فحلف بالله ما فعل. فقال له: فعلتَ. فجاء بأصحابه فحلفوا بالله تعالى ما سبّوه فنزلت»[١].

والضمير في «ما هم» عائد على «الذين تولوا قوماً» وهم المنافقون أي: ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا منهم، أي: وليسوا من الذين تولّوا وهم اليهود. و«ماهم» استئناف إخبار بأنهم مذبذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كما قال عليه السلام[٢] «مَثَل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمتين» لأنه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أحاط بهم من كل جهة وغلب على نفوسهم واستولى عليها. ﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ فهم لا يذكرونه لا بقولهم ولا بألسنتهم. و﴿حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ جنده.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ هي أفعل التفضيل أي: في جملة من هو أذلّ خلق الله تعالى لا ترى أحداً أذلّ منهم.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ أي: كتب في اللوح المحفوظ. ﴿وَرُسُلِىٓ﴾ اي: من بعث منهم بالحرب ومن بعث منهم بالحجة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ ينصر حزبه. ﴿عَزِيزٌ﴾ يمنعه من أن يذلّ.

وبدأ [في قوله ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾] أوّلاً بالأباء لأن الواجب على الأولاد طاعتهم، فنهاهم عن توادّهم، ثم ثنّى بالأبناء، لأنهم أعلق بالقلوب، ثم أتى ثالثاً بالإخوان، لأنهم بهم التعاضد، ثم أتى[٣] رابعاً

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٧، ولباب النقول ص٢٠٧.
(٢) أخرجه مسلم ٤: ٢١٤٦ من حديث ابن عمر. والعائرة المترددة.
(٣) ق: ثنى.

بالعشيرة لأنّ بها التناصر وبهم المقاتلة والتغلّب والتسرّع إلى ما دُعوا.

﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: منه تعالى وهو الهدى والنّور واللطف. والإشارة بـ«أولئك كتب» إلى الذين لا يوادّون من حادّ الله ورسوله. قيل: والآية نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وقيل: الظاهر أنها متصلة بالآي التي قبلها في المنافقين والموالين لليهود، وقيل غير ذلك[1].

(١) انظر أسباب النزول ص٢٧٧.

سورة الحشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤)﴾.

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لما قبلها أنه ذكر حال المنافقين واليهود، وتولّي بعضهم بعضاً، ذكر أيضاً ما حلّ باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم، وإمكان الله رسوله ممّن حادّ الله ورسوله، ورام الغدر بالرسول، وأظهر العداوة بحلفهم مع قريش. وقيل: نزلت في بني النضير وتُعدّ[2] [٥٣٩/ب] من المدنيّة لتدانيها منها. ونزلت[3] في بني النضير، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يكونوا عليه ولا له. فلما ظهر يوم بدر، قالوا: هو النبي الذي نَعْتُه في التوراة لا تُردّ له راية. فلمّا هُزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا، فخرج

---

(١) مدنية وآياتها أربع وعشرون.

(٢) ق: بعد.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٧٨، ولباب النقول ص٢٠٨.

كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة، فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة. فأخبر جبريل عليه السلام الرسول عليه السلام بذلك، فأمر بقتل كعب فقتله محمد بن مسلمة غيلةً، وكان أخاه من الرّضاع.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وأيسوا من نصر المنافقين إياهم، فطلبوا الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا[١] من المتاع فجُلوا إلى الشام وإلى أريحا وأذرعات، إلاّ بيتين منهم: آل أبي الحقيق وآل حييّ بن أخطب، فلحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة. وقبض أموالهم وسلاحهم، فوجد خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاث مئة وأربعين سيفاً.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللّينة، قال الأخفش[٢]: لون من النّخل، أي: ضرب منه، وأصلها لونة. وقال أبو عبيدة: اللينة ما ثمرها لون، وهي نوع من التّمر يقال له اللون. وقال الأصمعي: هي الدَّقَل[٣]. و«ما» شرطية منصوبة

---

(١) ق: شاء.

(٢) انظر معاني القرآن ٢: ٤٩٧.

(٣) الدقل: أردأ التمر.

بـ«قطعتم». و﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ تبيين لإبهام «ما». وجواب الشرط «فبإذن الله» أي: قَطْعُها أو تَرْكها بإذن الله. والضمير في «تركتموها» عائد على معنى «ما». وقرىء: قائماً، اسم فاعل مذكّر على لفظ «ما» وأنّث في «على أصولها».

و«ما» في قوله «ما أفاء الله» شرطية أو موصولة. و«أفاء» بمعنى يفيء. ولا يكون ماضياً في اللفظ والمعنى، لأن فعل الشرط لا يكون ماضياً في المعنى، وكذلك صلة ما الموصولة إذا كانت الفاء في خبرها؛ لأنها إذ ذاك شبّهت باسم الشرط.

فإن كانت الآية نزلت قبل جلائهم كانت مخبرة بغيب، فوقع كما أخبرت. وإن كانت نزلت بعد حصول أموالهم للرسول عليه السلام كان ذلك بياناً لما يُستقبل، وحكم الماضي المتقدم حكمه. و«من» في «من خيل» زائدة لأن المفعول يدلّ على الاستغراق. والركاب: الإبل، سلّط الله رسوله عليهم وعلى[1] ما في أيديهم.

ولمّا جلا بنو النضير عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم، طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر فنزل[2] «[وما] أفاء الله على رسوله» بيّن أن أموالهم فيء لم يوجف عليها خيل ولا ركاب ولا قُطعت مسافة، إنما كانوا ميلين من المدينة مشوا مشياً، ولم يركب إلا رسول الله ﷺ. قال عمر بن الخطاب: كانت أموال بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، ينفق منها على

(١) ق: ولما.

(٢) انظر القرطبي ١٨: ١١.

أهله نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع[١] عدّة في سبيل الله تعالى.

﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ﴾ أهل القرى [٥٤٠/أ] المذكورون في هذه الآية هم أهل الصفراء ويَنْبُع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عُرَيْنَة[٢]، وحكمها مخالف لبني النضير. ولم يحبس من هذه رسول الله ﷺ لنفسه شيئاً، بل أمضاها لغيره، وذلك أنها فتحت في ذلك الوقت[٣]. وقيل: الآية الأولى خاصة في بني النضير وهذه الآية عامّة.

والضمير في «تكون» بالتأنيث عائد على معنى «ما» إذ المراد به الأموال والمغانم، وذلك الضمير هو اسم «تكون». وكذلك من قرأ بالياء أعاد الضمير على لفظ «ما» أي: يكون الفيء. وانتصب «دولة» على الخبر. ومن رفع «دولة» فـ«تكون» تامة و«دولةٌ» فاعل، و«كي لا يكون» تعليل لقوله «فلله وللرسول» أي: فالفيء وحكمه لله وللرسول يقسمه على ما أمره الله تعالى، «كيلا يكون» أي: الفيء الذي حقّه أن يُعطى للفقراء بُلْغة يعيشون بها متداولاً بين الأغنياء، يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم كما كان رؤساؤهم يستأثرون بالغنائم ويقولون: من عزَّ بزَّ[٤]، والمعنى: كيلا يكون أَخْذه غلبة وأثرة جاهلية.

(١) في الكراع: في الدواب التي تصلح للحرب.

(٢) ق: أهل الصفا.. قرى عربية. وانظر هذه المواضع في الروض المعطار.

(٣) ما سبق في شرح الآية هو من كلام ابن عطية، انظر البحر ٨: ٢٤٥.

(٤) انظر مجمع الأمثال ٢: ٢٦٣.

روي أن قوماً من الأنصار تكلّموا في هذه القرى المفتتحة وقالوا: لنا منها سهمنا فنزل ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾.

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾.

﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾ الآية، «للفقراء» بدل من قوله «ولذي القربى» والمعطوف عليه. ومذهب أبي حنيفة: لا يستحق ذو القربى الغنيّ إنما يستحق ذو القربى الفقير، فالفقر شرط فيه. ومذهب الشافعي يرى أن الاستحقاق بسبب القرابة، فيأخذ ذو القربى الغني بقرابته. ثم وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الإشفاق عليهم. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ في إيمانهم وجهادهم قولاً وفعلاً.

والظاهر أنّ قوله «والذين تبوءوا» معطوف على «المهاجرين» وهم الأنصار، فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يقسم من الأموال. وقيل: هو مستأنف مرفوع بالابتداء والخبر «يحبون». أثنى تعالى عليهم بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله «يبتغون» إلى آخره. «والإيمان» معطوف على «والدار» وهي المدينة. والإيمان ليس مكاناً فيُتبوّأ، فقيل: هو من عطف الجمل، أي: واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه، قاله أبو علي. وقيل: تبوّؤوا ضُمّن معنى آثروا فتعدّى إلى اثنين.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ الظاهر أنه معطوف على ما قبله من المعطوف على «المهاجرين» فقال الفرّاء[1]: هم الفرقة الثالثة من الصّحابة وهي من آمن أو كبّر في آخر مدة النبي ﷺ. وقيل «والذين جاؤوا من بعدهم» مقطوع ممّا قبله معطوف عطف الجمل لا عطف المفردات، فإعراب[2] «والذين» مبتدأ، نُدبوا بالدعاء للأولين والثّناء عليهم وهم [٥٤٠/ب] من يجيء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، والخبر «يقولون». أخبر تعالى عنهم بأنهم لإيمانهم ومحبّة أسلافهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا. وعلى القول الأول يكون «يقولون» استئناف إخبار، قيل: أو حال.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ
ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ
لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا
يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ
رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ
جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا
وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ
ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا
كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا
فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ الآية، نزلت في عبد الله بن أبيّ، ورفاعة[3] بن

(١) لم أجده في معاني القرآن.

(٢) ق: فإعرابه.

(٣) في القرطبي ١٨: ٣٤: رافعة.

التابوت، وقوم من منافقي الأنصار، كانوا بعثوا إلى بني النضير بما تضمّنته الجمل المحكية بقوله «يقولون»[١].

واللام في «لإخوانهم» للتبليغ. والأخوّة بينهم أخوّة الكفر وموالاتهم.

﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في قتالكم أحداً من الرسول والمؤمنين وإخلاف ما وعدناكم من النّصرة. و﴿لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ جواب قسم محذوف قبل «إن الشرطية». وجواب «إن» محذوف، والكثير في كلام العرب إثبات اللام المؤذنة بالقسم قبل أداة الشرط. ومِن حَذْفها قوله ﴿وَإِن [لَّمْ] يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة] التقدير: ولئن[٢] لم ينتهوا. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾[٣] أي: في مواعيدهم لليهود. وفي ذلك دليل على صحة النبوّة له عليه السلام لأنه إخبار بالغيب.

﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ قد أخبر أنهم لا ينصرونهم، فلا يمكن نصرهم إياهم بعد إخباره تعالى أنه لا يقع. وإذا كانت الضمائر متّفقة، فقال ابن عطية: معناه: ولئن حاولوا[٤] ذلك فإنهم ينهزمون انتهى. والظاهر أن الضمير في ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ وفي ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عائد على المفروض أنهم ينصرونهم، أي: ولئن نصرهم المنافقون ليولُّنّ[٥] الأدبار ثم لا يُنصر المنافقون.

---

(١) ق: ليقولون. وانظر لباب النقول ص٢١٠.

(٢) ق: وإن. وفوقها: كذا.

(٣) ق: الكاذبون.

(٤) ق: قاتلوا.

(٥) ق: ليولّون المنافقون.

و﴿ رَهْبَةً ﴾ مصدر رُهب المبني للمفعول، كأنه قيل: أشد مرهوبيّة. فالرّهبة واقعة منهم لا من المخاطبين، والمخاطبون مرهوبون فالمخبر عنه مخوف لا خائف. والضمير في «صدورهم» قيل لليهود، والمعنى: رهبتهم منكم أشدّ من رهبتهم من الله.

﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ أي: بنو[1] النضير وجميع اليهود. ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين متساندين يعضد بعضهم بعضاً. ﴿ إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ لا في صحراء بخوفهم منكم، وتحصينها بالدروب والخنادق. أو من وراء جدار يتسترون به من أن تصيبوهم.

﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ ﴾ أي: إذا اقتتلوا بعضهم مع بعض كان بأسهم شديداً. أما إذا قاتلوكم، فلا يبقى لهم بأس، لأنّ من حارب أولياء الله تعالى خذل.

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين ذوي ألفة واتّحاد. ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: وأهواؤهم متفرقة. وكذا حال المخذولين لا تستقرّ أحوالهم على شيء واحد، وموجب ذلك الشّتات هو انتفاء عقولهم، فهم كالبهائم لا تتفق على حالة.

﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ الآية، «كمثل» خبر مبتدأ محذوف، أي مثلهم - أي بني النضير - كمثل الذين من قبلهم قريباً، وهم بنو [٥٤١/أ] [قينقاع] أجلاهم الرسول عليه السلام من المدينة قبل بني النضير، فكانوا مثلاً لهم، قاله ابن عباس. ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ قريباً من عصيانهم، أي: لم تتأخر عقوبتهم في الدنيا، كما لم تتأخر عقوبة هؤلاء. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ في الآخرة.

---

(١) ق: بني.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ لمّا مثّلهم بمن قبلهم ذكر مثلهم مع المنافقين، فالمنافقون كالشيطان وبنو النضير كالإنسان. والجمهور على أن الشيطان والإنسان اسما جنس، يورّطه في المعصية ثم يفرّ منه. كذلك أغوى المنافقون بني النضير، وحرّضوهم على الثّبات، ووعدوهم النّصر، فلما نشب بنو النضير[1]، خذلهم المنافقون، وتركوهم في أسوأ حال.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ولما انقضى في هذه السورة وصف المنافقين واليهود وعظ المؤمنين، لأن الموعظة بعد المصيبة [لها] موقع في النفس، لرقّة القلوب والحذر ممّا يوجب العقاب. وكرّر الأمر بالتقوى على سبيل التوكيد، أو لاختلاف متعلق التقوى؛ فالأولى[2] في أداء الفرائض لأنه مقترن بالعمل، والثانية في ترك

(١) ق: أي عَلِقوا.

(٢) ق: فالأول.

المعاصي لأنه مقترن بالتهديد والوعيد. ولمّا كان أمر القيامة واقعاً[1] لا محالة، عبّر عنه بالغد - وهو اليوم الذي يلي يومك - على سبيل التقريب.

﴿كَالَّذِينَ نَسُوا﴾ هم الكفار، تركوا عبادة الله تعالى وامتثال ما أمر واجتناب ما نهى، وهذا تنبيه على فرط غفلتهم واتّباع شهواتهم. ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ حيث لم يسعوا لها في الخلاص من العذاب، وهذا من المجازاة بالذنب على الذّنب، عوقبوا على نسيان رحمة[2] الله تعالى بأن أنساهم أنفسهم.

ثم ذكر مباينة الفريقين أصحاب النار في الجحيم وأصحاب الجنة في النعيم.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ من باب التخيل والتمثيل كما مرّ في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]، ودلّ على ذلك ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ والغرض توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وعدم تأثّره لهذا الذي لو أُنزل على الجبل لتخشّع وتصدّع. وإذا كان الجبل على عظمته وتصلّبه يعرض له الخشوع والتصدّع، فابن آدم كان أولى بذلك، لكنه على حقارته وضعفه لا يتأثر.

﴿الْمُهَيْمِنُ﴾ تقدّم شرحه[3]. ﴿الْجَبَّارُ﴾ القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد. ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ المبالغ في الكبرياء والعظمة. ﴿الْخَالِقُ﴾ المقدّر لما يوجده. ﴿الْبَارِئُ﴾ المميّز بعضه من بعض بأشكال مختلفة. ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ الممثّل.

---

(١) ق: واقع.

(٢) ق: جهة.

(٣) انظر شرح الآية ٤٨ من المائدة.

سورة الممتحنة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١) إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (٣)﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ونزلت بسبب [حاطب] بن أبي بلتعة، كان وجّه كتاباً مع امرأة إلى أهل مكة يخبرهم [٥٤١/ب] بأن رسول الله ﷺ متوجّه إليهم لغزوهم. فأطلع الله تعالى رسوله ﷺ على ذلك، ووجّه إلى المرأة من أخذ الكتاب منها، والقصّة مشهورة في كتب الحديث والتفسير[2].

ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر فيما قبلها حالة المنافقين والكفّار، افتتح هذه بالنّهي عن موالاة الكفّار والتودّد إليهم. وأضاف في قوله «عدوي»

---

(١) مدنية وهي ثلاث عشرة آية.

(٢) انظر مثلاً: صحيح البخاري ٤ : ١٨٥٥، والقرطبي ١٨ : ٥٠.

تغليظاً[١] لجرمهم وإعلاماً بحلول[٢] عقاب الله تعالى بهم. والعدوّ ينطلق على الواحد وعلى الجمع. و«أولياء» مفعول ثانٍ لـ«تتّخذوا». «تلقون» بيان لموالاتهم، فلا موضع لها من الإعراب، أو استئناف إخبار. «وقد كفروا» جملة حالية، وذو الحال الضمير في «تلقون» أي: توادّونهم[٣] وهذه حالهم وهي الكفر بالله، ولا يناسب[٤] الكافر بالله أن يُوَدّ. «وإياكم» معطوف على «الرسول».

﴿تُسِرُّونَ﴾ استئناف، أي: تسرّون وقد علمتم أني أعلم الإخفاء والإعلان، وأطلع الرسول عليه السلام على ذلك. والضمير في «ومن يفعله» عائد على أقرب مذكور، أي: ومن يفعل الإسرار. وانتصب [«سواء»] على المفعول به، على تقدير تعدّي «ضلّ» أو على الظرف على تقدير اللزوم. والسواء: الوسط.

ولمّا نهى المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، وشرح ما به الولاية من إلقاءٍ بالمودّة إليهم، وذكر ما صنع الكفار بهم أولاً من إخراج الرسول والمؤمنين - ذكر صنيعهم آخراً لو قدروا [عليه] من أنه إن يتمكّنوا منكم، تظهر عداوتهم لكم، ويبسطوا أيديهم بالقتل والتعذيب، وألسنتهم بالسّب، وودّوا لو ارتددتم عن دينكم الذي هو أحب الأشياء إليكم، وهو سبب إخراجهم إياكم.

ولمّا كان حاطب قد اعتذر بأنّ له بمكة قرابة فكتب إلى أهلها ما كتب

---

(١) ق: تغليظ.

(٢) ق: لحلول.

(٣) ق: توادّوهم.

(٤) ق: تناسب.

ليرعوه في قرابته قال تعالى «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم». و«يوم» معمول لـ «تنفعكم» أو لـ «يفصل».

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

ولمّا نهى عن موالاة الكفّار ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وأن من سيرته التّبرؤ من الكفار، ليقتدوا به في ذلك، ويتأسّوا به والظاهر أنه مستثنى من مضاف لـ«إبراهيم» تقديره: أسوة حسنة في مقالات إبراهيم ومحاوراته مع قومه إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك، فليس فيه أسوة حسنة. [فيكون على هذا استثناءً متصلاً. وإما أن يكون قول إبراهيم مندرجاً في «أسوة حسنة»] لأن معنى الأسوة هو الاقتداء والتأسّي، فالقول ليس مندرجاً تحته، لكنه مندرج تحت مقالات إبراهيم عليه السّلام.

والضمير في «فيهم»(١) عائد على «إبراهيم والذين معه». وكرّرت الأسوة توكيداً، وأكّد ذلك بالقسم أيضاً. و«لمن [كان] يرجوا» بدل من ضمير الخطاب بدل بعض من كلّ.

وروي أنه لمّا نزلت هذه الآيات عزم المسلمون على إظهار [٥٤٢/أ]

---

(١) ق: منهم.

عداوات أقربائهم الكفرة، ولحقهم همٌّ لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادّوا فنزل «عسى الله» الآية، مؤنسةً ومرجئةً[١]، فأسلم الجميع عام الفتح، وصاروا إخواناً. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتيسير العسير. ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن أسلم من المشركين.

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ نزلت في قوم بمكّة آمنوا ولم يهاجروا، فكانوا في رتبة سوء، لتركهم فرض الهجرة. قيل: قدمت على [أسماء] بنت أبي بكر أمّها قُتيلة[٢] بنت عبد العزّى وهي مشركة، بهدايا، فلم تقبلها، ولم تأذن لها بالدخول فنزلت[٣]. فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها، وتقبل منها، وتكرمها، وتحسن إليها.

(١) ق: مويسة وموجبة.

(٢) ق: نفيلة. وانظر السيرة النبوية ١ : ٢٧١.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٨٤.

و﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ و﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدلان مما قبلهما بدل اشتمال.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ الآية، سمّاهن تعالى مؤمنات قبل أن يُمْتَحَنَّ. وامتحانهن: قالت عائشة: بآية المبايعة، وقيل: بأن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وقال ابن عباس: بالحلف أنها ما خرجت إلاّ حبًّا لله ورسوله ورغبة في دين الإسلام.

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ﴾ أطلق العلم [على] الظنّ الغالب بالحذف، وظهور الأمارات بالخروج من الوطن، والحلول في قوم ليسوا من قومها. وبيّن علّة انتفاء رجعهن إلى الكفار أزواجهنّ، وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر. وانعقد التحريم بهذه الجملة، وجاء قوله «ولا هم يحلون لهن» على سبيل التأكيد وتشديد الحرمة؛ لأنه إذا لم تحلّ المؤمنة للكافر، عُلم أنه لا حلّ بينهما ألبتّة.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ﴾ أمر أن يُعطى للزوج الكافر ما أنفق على زوجه، إذا أسلمت، فلا يُجمع عليه خسران الزوجية والمالية. قال ابن عباس: أعطى رسول الله ﷺ [ ] بعد امتحانها [زوجها] الكافر ما أنفق عليها، فتزوجها عمر. وكان إذا امتحنهنّ أعطى أزواجهن مهورهنّ. ثم نفى الحرج في نكاح المؤمنين إياهنّ إذا آتوهنّ مهورهنّ. ثم أمر تعالى المؤمنين بفراق نسائهم[(١)] الكوافر عوابد الأوثان.

﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي: واسألوا الكافرين ما أنفقتم على أزواجكم إذا فرّوا إليهم. ﴿وَلْيَسْـَٔلُواْ﴾ الكفار ﴿مَآ أَنفَقُواْ﴾ على أزواجهم إذا فرّوا إلى المؤمنين.

---

(١) ق: نسائهن.

ولما تقرّر هذا الحكم قالت قريش: لا نرضى هذا الحكم، ولا نلتزمه، ولا ندفع لأحد صداقاً، فنزلت[١] بسبب ذلك هذه الآية الأخرى ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾. فأمر تعالى المؤمنين أن يدفعوا إلى من فرّت زوجته من المسلمين - ففاتت بنفسها إلى الكفار، وانقلبت من الإسلام - ما كان أمهرها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ كانت بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا [٥٤٢/ب] بعدما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا وعمر أسفل منه، يبايعهن بأمره ويبلغهنّ عنه. وما مسّت يده عليه السلام يد امرأة قطّ. وقالت أسماء بنت يزيد بن السكن[٢]: كنت في النسوة المبايعات، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك نبايعك. فقال لي عليه السلام: إني لا أصافح النساء، ولكن آخذ عليهن ما أخذ الله عليهن. وكانت هند بنت عتبة في النساء، فقرأ عليهن الآية. فلمّا قررهنّ على ألّا يشركن بالله شيئاً قالت هند: وكيف نطمع أن تقبل منّا ما لم تقبله[٣] من الرجال؟ - تعني أنّ هذا بيّنٌ لزومه -. فلما وقف على السرقة: قالت: والله إني لأصيب

(١) انظر القرطبي ١٨: ٦٨.

(٢) هي أم سلمة الأنصارية، انظر الترمذي ٩: ٤٧. والحديث رواه ابن جرير عن ابن عباس ٢٨: ٥١ وما بعدها.

(٣) ق: يطمع أن يقتل منا ما لم يقبل.

الهَنْوة[١] من مال أبي سفيان لا أدري أيحلّ لي ذلك. فقال أبو سفيان: ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال. فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: إنك لهند بنت عتبة. قالت: نعم: فَٱعْفُ عمّا سلف يا نبي الله عفا الله عنك. فقال ﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ فقالت: أوتزني الحرّة؟. فقال ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ فقالت: ربّيناهم صغاراً وقتلتَهم كباراً!. وكان حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ فقال ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ﴾ فقالت: والله إن البهتان لأمر قبيح ولا تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فقال ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فقالت: والله ما جلسنا [مجلسنا] هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء.

والبهتان: قال الأكثرون: أن تنسب إلى زوجها ولداً[٢] ليس منه. وكانت المرأة تلتقط المولود وتقول لزوجها: هذا ولدي منك. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تلده منه[٣] بين الرجلين.

والمعروف[٤] الذي نهى عن العصيان فيه قال ابن عباس: هو النّوح وشقّ الجيوب ووشم الوجوه ووصل الشعر وغير ذلك من أوامر الشريعة فَرْضِها ونَدْبِها.

روي أن قوماً من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود، ليصيبوا من ثمارهم، فقيل لهم: لا تتولّوا قوماً مغضوباً عليهم.

---

(١) ق: الهنة. والهنوة: الشيء اليسير.

(٢) ق: وكذا.

(٣) ق: به.

(٤) ق: والنوح.

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: من خيرها وثوابها.

والظاهر أن «مِن» في «من أصحاب القبور» لابتداء الغاية، أي: من لقاء أصحاب القبور. فمِن الثانية كالأولى في «من الآخرة» فالمعنى أنهم لا يلقونهم في دار الدنيا بعد موتهم.

ولمّا افتتح هذه السورة بالنّهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك موالاتهم، وتنفيراً للمسلمين عن تولّيهم، وإلقاء المودّة إليهم.

سورة الصف(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾.

[٥٤٣/ أ] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الجمهور. وسبب نزولها قول المنافقين للمؤمنين: نحن منكم ومعكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك. ومناسبتها لآخر ما قبلها أن في الآخر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۝١٣﴾ [الممتحنة] فاقتضى ذلك إثبات العداوة بينهم، فحضّ تعالى على الثّبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءهم. والنداء بـ«يا أيها» إن كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يراد به التلطّف في العتب. وإن كان للمنافقين(٢) [فالمعنى]: يا أيها الذين آمنوا، أي: بألسنتهم. والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ، وتهكّم بهم في إسناد الإيمان إليهم، ولم يتعلق بالفعل بعده. وإذا وُقف عليه فبالهاء أو بسكون الميم. ومن سكّن في الوصل، فلإجرائه مجرى الوقف.

---

(١) مدنية وهي أربع عشرة آية.

(٢) فوقها في ق: كذا.

والظاهر انتصاب «مقتاً» على التمييز. وفاعل «كبر» «أن تقولوا» وهو من التمييز المنقول من الفاعل، والتقدير: وكبر مقتُ قولكم مالا تفعلون.

وانتصب «صفاً» على الحال، أي: صافّين أنفسهم أو مصفوفين. «كأنهم» في تراصّهم، من غير فرجة ولا خللٍ، بنيان رصّ بعضه إلى بعض. والظاهر تشبيه الذّوات في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

ولمّا كان في المؤمنين من يقول ما لا يفعل، وهو راجع إلى الكذب، كان ذلك في معنى الإذاية للرسول عليه السلام، إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى عليه السلام وقوله لقومه لِمَ تؤذونني. وإذايتهم له كان بانتقاصه في نفسه وجحود آيات الله تعالى واقتراحهم عليه ما ليس لهم اقتراحه. «وقد تعلمون» جملة حالية تقتضي تعظيمه وتكريمه، فرتّبوا على علمهم أنه رسول الله إليهم ما لا يناسب العلم وهو الإذاية. و«قد» تدلّ على التحقيق في الماضي والتوقع في المستقبل[1]. والمضارع هنا معناه المضيّ، أي: وقد علمتم. وعبّر عنه بالمضارع، ليدلّ على

(١) ق: المضارع.

استصحاب الفعل.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ عن الحق. ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أسند الزّيغ إليهم ثم قال: أزاغ الله كقوله تعالى ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر]. وهو من العقوبة على الذنب بالذنب.

ولمّا ذكر شيئاً من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، ذكر شيئاً من قصة عيسى عليه السلام. وهناك قال «يا قوم» لأنه من بني إسرائيل. وهنا قال عيسى «يا بني إسرائيل» من حيث لم يكن له فيهم أب وإن كانت أمّه منهم. و«مصدقاً» و«مبشراً» حالان، والعامل «رسول» أي: مرسل. و«يأتي» و«اسمه» جملتان في موضع الصفة لـ«رسول».

أخبر أنه مصدّق لما تقدم من الكتب [٥٤٣/ب] الإلهيّة، ولمن تأخّر من النبي المذكور؛ لأن التبشير بأنه رسول تصديق برسالته.

وروي أنّ الحواريّين قالوا: يا روح الله، هل بعدنا من أمّة؟ قال: نعم أمة أحمد؛ علماء حكماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم بالقليل من العمل.

والله تعالى أفرد عيسى بالذكر في هذا الموضع لأنه آخر نبيّ قبل نبيّنا عليه السلام، فبيّن أن البشارة به عمّت جميع الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام. والظاهر أن الضمير المرفوع في ﴿جَآءَهُم﴾ يعود على عيسى عليه السلام لأنه المحدَّث عنه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ
ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ
فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟
ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

وقرأ الجمهور: تؤمنون، وتجاهدون[١]. وقرأ عبد الله: آمِنوا وجاهِدوا، أمرين. وزيد بن علي بالتاء فيهما محذوف النون فيهما. فأما قراءة الجمهور فصورتهما صورة الخبر، فهما خبران بمعنى الأمر، بيّن ذلك قراءة عبدالله. ونظير ذلك قول العرب: اتّقى الله امرؤٌ فعل خيراً يُثَبْ عليه. معناه: ليتّق الله امرؤ. فانجزم قوله: يُثَبْ، على تقدير هذا الأمر. فلذلك انجزم «يغفر» على تقدير: آمِنوا وجاهِدوا. وأما قراءة زيد فهو على إضمار اللام، تقديره: لتؤمنوا وتجاهدوا[٢]، كما قال[٣]: [من الوافر]

محمد تَفْدِ نفسَك كلُّ نفسٍ إذا ما خفتَ من شيء تَبالا[٤]

تقديره: لِتَفْدِ.

﴿وَأُخْرَىٰ﴾ لمّا تقدم الغفران وإدخال الجنّات أتبع ذلك بقوله «وأخرى» فجاز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره: لكم[٥]. وجاز أن يكون منصوباً على إضمار فعل تقديره: ويمنحكم أخرى. و﴿تُحِبُّونَهَا﴾ في موضع الصّفة

---

(١) ق: يؤمنون ويجاهدون.

(٢) ق: ليؤمنوا ويجاهدوا.

(٣) البيت من شواهد سيبويه ٣: ٨، وهو مختلف في نسبته، وانظر الإنصاف ٢: ٥٣٠.

(٤) ق: نتالا.

(٥) ق: ولكم نعمة أو مثوبة أخرى.

على التقديرين. ومن قرأ: نصرٌ، وما بعده بالرفع فهو بدل من «أخرى» المقدّر رفعها. ومن قرأ: نصراً، وما بعده بالنصب فبدلٌ على تقدير نصب «أخرى». ولمّا ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة، ذكر ما يسرّهم في العاجلة وهي ما يفتح عليهم من البلاد. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جملة أمر [عطف] على[1] ما قبلها. ولا يشترط التناسب في عطف الجمل.

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ ندب المؤمنين إلى النّصرة ووضع لهم هذا الاسم وإن كان قد صار عرفاً للأوس والخزرج، وسمّاهم الله تعالى به. والظاهر أنّ «كما» في موضع نصب، على إضمار، أي: قلنا لكم ذلك كما قال عيسى.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بعيسى. ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ وهم الذين كفروا بعيسى. ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ أي: قاهرين لهم مستولين عليهم.

(١) فوقها في ق: كذا.

سورة الجمعة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤ ﴾.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ [٥٤٤/ أ] وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لمّا ذكر تأييد من آمن على أعدائهم، أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى، وسعة ملكه وتقديسه. وذكر ما أنعم به على أمة محمد ﷺ من بعثته عليه السلام إليهم، وتلاوته عليهم كتابه، وتزكيتهم، فصارت أمّته غالبة سائر الأمم قاهرة لها منتشرة الدعوة، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم.

﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ الظاهر أنه معطوف على «في الأميين» أي: وفي آخرين من الأميين، لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون. وذلك إشارة إلى بعثته عليه السلام.

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ قُلْ

---

(1) مدنية وهي إحدى عشرة آية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ هم اليهود المعاصرون له عليه السلام، كُلّفوا القيام بأوامرها ونواهيها، ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول، وهي ناطقة بنبوّته عليه السلام. شبّه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتباً، فهو لا يدري ما عليه، أكتبٌ هي أم صخرة وغير ذلك، وإنما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها.

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ قال الزمخشري[١]: بئس مثلاً مثلُ القوم انتهى. فخرّجه على أن يكون التمييز محذوفاً. وفي «بئس» ضمير يفسّره «مثلاً» الذي ادّعى حذفه.

وقد نصّ سيبويه[٢] على أن التمييز الذي يفسّر الضمير المستكنّ في نعم وبئس وما أُجري مجراهما لا يجوز حذفه. والمخصوص بالذّم محذوف، التقدير: بئس مثل القوم المكذبين مَثَلُهم.

روي أنه لمّا ظهر رسول الله ﷺ، كتب يهود المدينة ليهود خيبر: إن اتّبعتموه أطعناكم، وإن خالفتموه خالفناه. فقالوا لهم: نحن أبناء خليل الرحمن ومنا عزير ابن الله والأنبياء، ومتى كانت النبوّة في العرب؟! نحن

---

(١) الكشاف ٤: ١٠٣.

(٢) انظر الكتاب ٢: ١٧٥ وما بعدها.

أحقّ بها من محمد، ولا سبيل إلى اتّباعه، فنزلت «قل يا أيها الذين هادوا». وكانوا يقولون ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۝١٨﴾ [المائدة] أي: إن كان قولكم حقاً فتمنَّوا أن تُنقلوا[١] سريعاً إلى دار كرامته المعدّة لأوليائه. وتقدم تفسير بقية الآية في البقرة[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾.

﴿إِذَا نُودِىَ﴾ أي: أُذّن. وكان الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وكذا كان في زمان الرسول عليه السلام؛ كان إذا صعد على المنبر أُذّن على باب المسجد، فإذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة. وكذا كان في زمن أبي بكر وعمر إلى زمن عثمان؛ كثر الناس وتباعدت المنازل فزاد مؤذّناً آخر على داره التي تسمّى الزّوراء[٣]، فإذا جلس على المنبر أذّن الثاني، فإذا نزل من المنبر أقيمت الصلاة. ولم يَعِبْ أحد ذلك على عثمان رضي الله عنه.

والظاهر [وجوب السّعي لقوله ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وأنه يكون في المشي خفّة.

والظاهر] أن الخطاب بالأمر بالسعي للمؤمنين عموماً، وأنها فرض على

(١) ق: تفعلوا.

(٢) انظر تفسير الآيتين ٩٤، ٩٥ من البقرة.

(٣) ق: زوراء.

الأعيان. وعن بعض الشافعية أنها فرض كفاية [٥٤٤/ب] وعن مالك رواية شاذة أنها سنّة.

وإنما ذكر البيع من بين سائر المحرّمات، لأنه أكثر ما يشتغل [به] أصحاب الأسواق؛ إذ يكثر الوافدون الأمصار من القرى ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار، فأُمروا بالبدار إلى تجارة الآخرة، ونُهوا عن تجارة الدنيا. ووقت التحريم من الزّوال إلى الفراغ من الصلاة. والإشارة بـ«ذلكم» إلى السعي وترك البيع.

والأمر بالانتشار والابتغاء أمر إباحة. و«فضل الله» هو ما يهيّئه[1] من حالة حسنة كعيادة مريض وصلة صديق واتّباع جنازة وأَخْذٍ في بيع وشراء وتصرّفات دينية ودنياوية. وأَمَرَ مع ذلك بإكثار ذكر الله تعالى.

﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا﴾ الآية، روي أنه كان أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بِعِيرٍ تحمل ميرة. قال مجاهد: وكان من عُرْفهم أن يُدخل بالطبل والمعازف والصّياح، فدُخلَتْ بها سروراً بها [ورسول الله ﷺ يخطب] فانفضّوا إلى رؤية ذلك وسماعه، وتركوه عليه السلام قائماً على المنبر في اثني عشر رجلاً. قال جابر: أنا أحدهم. قال أبو بكر غالب بن عطية: هم العشرة المشهود لهم بالجنة فنزلت[2] «وإذا رأوا».

وقال ابن عطية: قال «إليها» ولم يقل: إليهما، تهمّماً بالأهمّ إذ كانت هي سبب اللهو ولم [يكن] اللهو سببها. وتأمَّلْ أنْ قدّمت[3] التجارة على اللهو

---

(١) ق: يتنبه.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٨٦.

(٣) ق: تقدمت.

في الرؤية لأنها أهمّ، وأخّرت مع التفضيل لتقع النفس أولاً على الأبين انتهى.

وقوله: وقال «إليها» ولم يقل إليهما، ليس بصحيح لأن العطف بأو لا يثنّى فيه الضمير، بل يفرد.

وفي قوله ﴿قَآئِمًاۚ﴾ دلالة على مشروعية القيام في الخطبة. وأول من استراح في الخطبة عثمان. وأول من خطب جالساً معاوية.

وناسب ختمها بقوله ﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لأنهم كانوا قد مسّهم شيء من غلاء الأسعار كما تقدّم في سبب النزول. و«ما» مبتدأ، و«خير» خبره.

سورة المنافقون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ
إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا
يَفْقَهُونَ ۝٣ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ
خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ ۝٤ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ
يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا
تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ
ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ۝٨﴾.

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، هذه السورة مدنية نزلت في غزوة بني المصطلق، كانت من عبدالله بن أبيّ بن سلول وأتباعه [فيها أقوال]. وسبب نزولها[2] مذكور في قصّة طويلة من

(١) مدنية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٨٧، ولباب النقول ص٢١٤. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٨٥٩.

مضمونها أن اثنين من الصحابة ازدحما على ماء، وذلك في غزوة بني المصطلق، فشجّ أحدهما الآخر، فدعا المشجوج بالأنصار، والشّاجّ بالمهاجرين. فقال عبد الله بن أبيّ ما حكى الله عنه من قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى يَنْفَضُّوا» وقوله «لئن رجعنا إلى المدينة] ليخرجن الأعز [٥٤٥/أ] منها الأذل»(١) وعنى بالأعزّ نفسه، وكلاماً قبيحاً. فسمعه زيد ابن أرقم ونقل ذلك إلى الرسول عليه السلام، فلام رسول الله عبدالله، فحلف ما قال شيئاً من ذلك، فاتُّهم زيد فأنزل الله «إذا جاءك المنافقون» إلى قوله «لا يعلمون» تصديقاً لزيد وتكذيباً لعبد الله.

ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا كان سبب الانفضاض عن سماع الخطبة ربّما كان حاصلاً عن المنافقين واتّبعهم ناس من المؤمنين في ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالميرة، إذ كان وقت مجاعة - جاء ذكر المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم. وقولهم «لا تنفقوا» كانوا أصحاب أموال، والمهاجرون فقراء، قد تركوا أموالهم ومتاجرهم وهاجروا لله تعالى.

﴿قَالُواْ نَشْهَدُ﴾ يجري مجرى اليمين ولذلك تُلُقّي بما يُتلقّى به القسم. وكذا فعل اليقين والعلم يجري مجرى القسم بقوله ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾. وأصل الشهادة أن يواطىء اللسان القلب هذا بالنطق وذاك بالاعتقاد، فأكذبهم الله وفضحهم بقوله ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطىء قلوبهم ألسنتهم على تصديقك واعتقادهم أنك غير رسول، فهم كاذبون عند الله وعند من خبر حالهم، أو كاذبون عند أنفسهم إذ كانوا يعتقدون أن قولهم «إنك لرسول الله» كذب. وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قوله «والله يعلم إنك

---

(١) الآيتان ٧، ٨.

لرسوله» إيذاناً أن الأمر كما لفظوا به من كونه رسول الله حقاً. ولو لم تأت هذه الجملة لتُوُهِّم أن قولهم هذا كذب، فوُسّطت الجملة بينهما ليزول ذلك التوهم.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ سمّى شهاداتهم تلك أيماناً. ولمّا ذكر أنهم كاذبون، أتبعه بموجب كذبهم، وهو اتخاذ أيمانهم جنّة، يستترون بها ويذبّون بها عن أنفسهم وأموالهم. ﴿فَصَدُّواْ﴾ أي: أعرضوا وصدّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الحلف الكاذب والصدّ المقتضيان لهم سوء[1] العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم. ﴿فَطُبِعَ﴾ أي: ختم على قلوبهم. ومعنى ﴿ءَامَنُواْ﴾ نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل المسلمون. ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ أي: ظهر كفرهم بما نطقوا به بعد.

﴿تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ الخطاب للرسول أو للسامع، أي: لحسنها ونضارتها وجمالها، وهم رؤساء المنافقين. ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ وذلك لفصاحة ألسنتهم وجهارة أصواتهم، فكان منظرهم يروق ومنطقهم يخلب.

وشبّهوا بالخشب لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان. والجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخَوَر، ويدلّ عليه ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾. و«عليهم» في موضع المفعول الثاني لـ«يحسبون» أي: واقعة عليهم [٥٤٥/ب] وذلك لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ﴾ لمّا صدّق الله زيد بن أرقم فيما أخبر به عن ابن

---

(١) ق: سواء سوء.

سلول، مقت الناس ابن سلول، ولامه المؤمنون من قومه، وقال بعضهم: امضِ إلى رسول الله، واعترف بذنبك، يستغفر لك. فلوى رأسه إنكاراً لهذا الرأي وقال لهم: لقد أشرتم عليّ بالإيمان فآمنت، وأشرتم عليّ بأن أعطي زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلاّ أن تأمروني بالسجود لمحمد.

و﴿يَسْتَغْفِرْ﴾ مجزوم على جواب الأمر. و«رسول الله» يطلبه عاملان أحدهما «يستغفر» والآخر «تعالوا»، فأُعمل الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أعمل الأول لكان التركيب: تعالوا يستغفر لكم إلى رسول الله. وَلَيُّ رؤوسهم هو على سبيل الاستهزاء. واستغفار الرسول لهم هو استتابتهم من النفاق، فيستغفر لهم إذ كان استغفاره متسبباً عن استتابتهم فيتوبون. ﴿ورَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ[1]﴾ عن المجيء. و«يصدّون» جملة حالية. ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ جملة حالية أيضاً. ولمّا سبق في علمه تعالى أنهم لا يؤمنون ألبتة سوّى بين استغفاره لهم وعدمه.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ لمّا سمع عبد الله ولد عبد الله بن أبيّ [وكان رجلاً صالحاً] هذه الآية جاء إلى أبيه فقال: يا أبت أنت والله الذّليل ورسول الله العزيز. فلما دنا إلى المدينة جرّد السيف عليه ومنعه الدخول حتى يأذن له رسول الله. وكان فيما قال له: وراءك! والله لا تدخلها حتى تقول: رسول الله الأعزّ وأنا الأذلّ. فلم يزل حبيساً في يده حتى أذن له الرسول بتخليته. وفي هذا الحديث أنه قال [له]: لئن لم تقرّ لله ورسوله بالعزّة لأضربنّ عنقك. قال: أفاعل أنت؟. قال: نعم. فقال: أشهد أن العزّة

---

(١) ق: وهم يصدّون.

لله ولرسوله وللمؤمنين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١﴾.

﴿لَا تُلۡهِكُمۡ﴾ لا تشغلكم. ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ بالسعي في نمائها. ﴿وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ﴾ بالسرور بهم والنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم. ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ هو عام في الصلاة والثّناء على الله بالتسبيح والتّحميد وغير ذلك. ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ أي: الشغل عن ذكر الله بالمال والولد. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ حيث آثروا العاجل على الآجل والفاني على الباقي.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ المراد الزّكاة، وقيل: عام في كل مفروض ومندوب. ﴿لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ﴾ أي: هلاّ أخّرت موتي إلى زمان قليل. ﴿فَأَصَّدَّقَ﴾ هو منصوب على جواب الرغبة[1]. وقرأ الجمهور: وأكن، مجزوماً.

قال الزمخشري[2]: عطفاً على محل «فأصّدق» كأنه قيل: إن أخّرتني أصّدقْ وأكن.

وقال ابن عطية: عطفاً على الموضع لأن التقدير: إن تؤخّرني أصّدق وأكن، هذا مذهب أبي علي الفارسي.

(١) ق: الرعيّة.
(٢) الكشاف ٤: ١١٢.

وأمّا ما حكاه سيبويه[1] عن الخليل فهو غير هذا؛ وهو أنه جزم «أكن» على توهّم الشرط [٥٤٦/أ] الذي يدلّ عليه التمنّي. ولا موضع [له] هنا لأن الشرط ليس بظاهر. وإنما يُعطفُ على الموضع حيث يظهر الشرط كقوله تعالى ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ ۝١٨٦﴾ [الأعراف]. فمن قرأ بالجزم عطف على موضع «فلا هادي له» لأنه لو وقع هنالك فعل كان مجزوماً انتهى.

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهّم أن العامل في العطف على الموضع موجود دون مؤثّره، والعامل في العطف على التّوهم مفقود وأثره موجود.

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذر أن يجيء الأجل، وقد فرّط ولم يستعدّ للقاء الله تعالى.

وقرأ الجمهور: تعملون، بتاء الخطاب للناس كلهم. وأبو بكر بالياء، خصّ الكفار بالوعيد، ويحتمل العموم.

(١) انظر الكتاب ٣: ١٠٠.

سورة التغابن(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (2) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (3) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (4) ﴾.

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الأكثرين. ومناسبتها لما قبلها أنّ ما قبلها مشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب للمؤمنين، فأتبعه بما يناسبه من قوله «هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن» وهذا تقسيم في الإيمان والكفر في النظر إلى الاكتساب عند جماعة من المتأوّلين.

﴿ وَصَوَّرَكُمْ ﴾ هذا تعديد للنعمة في حسن الخلق لأن أعضاء بني آدم متصرفة بجميع ما يتصرف به أعضاء الحيوان، وبزيادات كثيرة فضّل بها. ثم هو مفضّل بحسن(2) الوجه وجمال الجوارح كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ﴾ [التين].

ونبّه تعالى بعلمه بما في السماوات والأرض، ثم بعلمه بما يُسِرُّ العباد وما

---

(1) مدنية وهي ثماني عشرة آية.

(2) ق: لحسن.

يعلنونه، ثم بعلمه بما أكنّته الصدور، على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء لا من الكلّيات ولا من الجزئيّات.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ
غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ
يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ
وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لقريش، ذُكّروا بما حلّ بالكفّار قبلهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وغيرهم ممّن صرّح بذكرهم في سورة براءة وغيرها[1]، وقد سمعت قريش أخبارهم.

﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: مكروهه وما يسوؤهم منه. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الوبال.

﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي: بأنّ الشأن والحديث. استبعدوا أن يبعث الله من البشر رسولاً كما استبعدت [قريش]. ﴿فَقَالُوٓا۟﴾ على سبيل الاستغراب. ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ وذلك أنهم يقولون: نحن متساوون في البشرية، فأنّى يكون لهؤلاء تمييز علينا بحيث يصيرون هداة لنا؟.

وارتفع «أبشر» عند الحوفي وابن عطية على الابتداء، والخبر «يهدوننا».

(١) انظر الآية ٧٠ من براءة، وانظر مثلاً الآية ٣١ من غافر.

والأحسن [٥٤٦/ب] أن يكون مرفوعاً على الفاعلية، لأن همزة الاستفهام تطلب الفعل، فالمسألة من باب الاشتغال.

﴿فَكَفَرُوا﴾ العطف بالفاء يدل على تعقّب كفرهم مجيء الرسل بالبينات، أي: لم ينظروا في تلك البينات ولا تأمّلوها بل عقبوا مجيئها بالكفر. ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ استفعل بمعنى الفعل المجرد. وغناه تعالى أزليّ، فالمعنى أنه ظهر غناه عنهم إذ أهلكهم، وليست استفعل هنا للطلب.

والزّعم تقدّم تفسيره[١]. و﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أهل مكة. و﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد حرف النفي. ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: لا يصرفه عنه صارف.

﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وهو محمد ﷺ. ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ هو القرآن.

وانتصب «يوم» بقوله «لتنبؤن» أو بـ«خبير» بما فيه من الوعيد والجزاء، أو باذكر[٢] مضمرةً. ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ يجمع فيه الأولون والآخرون، وذلك أن كل واحد يبعث طامعاً في الخلاص ورفع المنزلة. ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ مستعار من تغابن القوم في التجارة، وهو أن يغبن بعضهم بعضاً لأن السّعداء نزلوا منازل الأشقياء. وفي الحديث[٣] «ما من عبد يدخل الجنة إلاّ أُرِيَ مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً. وما من عبد يدخل النار إلا أُري مقعده من الجنة لو أحسن، ليزداد حسرة» وذلك معنى يوم التغابن.

﴿وَمَن يُؤْمِن﴾ «مَن» شرطية حُمل ما بعدها على اللفظ فأفرد الضمير.

---

(١) انظر تفسير الآية ٢٢ من سبأ.

(٢) ق: وباذكر.

(٣) أخرجه البخاري ٥: ٢٤٠٢ من حديث أبي هريرة بألفاظ مقاربة.

و﴿خَـٰلِدِينَ﴾ نُصب على الحال، على معنى «من» لا على لفظه.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ
فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ
أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ
وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ الآية، الظاهر إطلاق المصيبة على الرزيّة وما سوء العبد في نفس ومال وولد، وأن جميع الحوادث لا تصيبه إلا بإذن الله.

ولمّا قال تعالى «ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله» ثم أمر بطاعة الله ورسوله، حذّر ممّا يلحق الرجل من زوجه وولده بسبب ما يصدر من أحدهم من العداوة فقال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ الآية. وعن عطاء بن أبي رباح أن عوف بن مالك الأشجعي أراد الغزو مع النبي ﷺ فاجتمع أهله وأولاده فثبّطوه وشكوا إليه فراقه، فرقّ ولم يَغْزُ. ثم إنه ندم وهمّ بمعاقبتهم فنزلت الآية[١].

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٨٨، ولباب النقول ص٢١٤.

ولا أعدى على الرجل من زوجه وولده إذا كانا عدوّين وذلك في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فبإذهاب ماله وعرضه، وأما في الآخرة فبما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما وبما يكسبانه منه بسبب [جاهه].

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاء ومحنة لأنهم يوقعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاء أعظم منهما. وفي باب العداوة جاء بـ«من» التي تقتضي التّبعيض، وفي الفتنة حكم بها على الأموال والأولاد لا على بعضهما، وذلك لغلبة الفتنة بهما. وكفى بالمال فتنة قصة [٥٤٧/أ] ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [التوبة].

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة. والأجر العظيم: الجنة.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: جهدكم. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما توعظون به. ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ فيما أُمرتم به ونُهيتم عنه. ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ فيما وجب عليكم. و﴿خَيْرًا﴾ منصوب بفعل محذوف تقديره: وائتوا خيراً، أو على إضمار: يكن، فيكون خبراً، أو على أنه نعت لمصدر محذوف أي: إنفاقاً خيراً، أو على أنه حال، أو على أنه مفعول بـ«وأنفقوا خيراً» أي: مالاً. أقوال، الأول عن سيبويه.

ولمّا أمر بالإنفاق، أكّده بقوله ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ورتّب عليه تضعيف القرض وغفران الذنب. وفي لفظ القرض تلطّف في الاستدعاء. وفي لفظ المضاعفة تأكيد للبذل لوجه الله تعالى. ثم أتبع جوابي الشرط بوصفين أحدهما عائد إلى المضاعفة، إذ شُكْره تعالى مقابل للمضاعفة، وحلمه مقابل للغفران. قيل: وهذا الحضّ هو في الزكاة المفروضة، وقيل

في المندوب إليه.

وتقدّم الخلاف في القراءة في «يُوقَ» وفي «شحّ» وفي «يضاعفه»[١].

(١) لم يتقدم شيء عن «يوق» و«شحّ». وفي «يضاعفه» انظر شرح الآية ٢٤٥ من البقرة.

سورة الطلاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ ﴾ الآية، هذه السورة مدنيّة. قيل: وسبب نزولها طلاق عبد الله بن عمر وغير ذلك. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر الفتنة بالمال والولد، أشار إلى الفتنة بالنساء، وأنهن قد يعرّضن الرجال للفتنة، حتى لا يجد مخلصاً منها إلا بالطلاق.

و«يا أيها النبي» نداء للنبي عليه السلام وخطاب على سبيل التكريم والتّنبيه. «إذا طلّقتم» هو على إضمار القول أي: قل لأمّتك إذا طلّقتم.

---

(١) مدنية وهي اثنتا عشرة آية.

وقال الزمخشري(١): خصّ النبي عليه السلام [بالنداء] وعمّ بالخطاب، لأنه إمام أمّته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت، إظهاراً لتقدّمه واعتباراً لترؤّسه، وأنه مِدْرَهُ(٢) قومه ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه، ولا يستبدّون بأمرٍ(٣) دونه، فكان هو وحده في حكم كلّهم وسادّاً مسدّ جميعهم انتهى. وهو كلام حسن.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ إذا أردتم تطليقهن. و﴿ٱلنِّسَآءَ﴾ يعني المدخول بهنّ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ أيّ: أوقعوا الطلاق. ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ هو على حذف مضاف، أي: لا ستقبال عدّتهن. واللام للتوقيت نحو: كتبتُه لليلةٍ بقيَتْ من شهر كذا.

وتقدير الزمخشري(٤) هنا حالاً محذوفة يدل عليها المعنى يتعلق بها المجرور، أي: مستقبلات [٥٤٧/ب] لعدّتهن، ليس بجيد. لأنه قدّر عاملاً خاصّاً، ولا يحذف العامل [في] الظرف والجار والمجرور إذا كان خاصّاً، بل إذا كان كوناً مطلقاً. لو قلت: زيد عندك، أو في الدار، تريد: ضاحكاً عندك، أو ضاحكاً(٥) في الدار، لم يَجُزْ.

فتعليق اللام بقوله «فطلقوهن» ويجعل على حذف مضاف، هو الصحيح.

---

(١) الكشاف ٤ : ١١٧.

(٢) أي: زعيمهم والمتكلم عنهم.

(٣) ق: بأمن.

(٤) الكشاف ٤ : ١١٧.

(٥) ق: ضاحك، في الموضعين.

والظاهر أن الخطاب في ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ للأزواج، أي: اضبطوها بالحفظ.

وفي الإحصاء فوائد: مراعاة الرجعة وزمان النفقة والسكنى، وتوزيع الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، والعلم بأنها قد بانت، فيتزوّج بأختها وبأربع سواها.

ونهى تعالى عن إخراجهن من مساكنهن حتى تنقضي العدّة، ونهاهنّ أيضاً عن خروجهن. وأضاف البيوت إليهن لمّا كان سكناهنّ فيها. ونهيهن [عن الخروج] لا يبيحه[1] إذن الزوج؛ إذ لا أثر لإذنه.

والإسكان على الزوج، فإن كان ملكه أو بكراءٍ فذاك، أو ملكها فلها عليه أجرته. وسواء في ذلك الرجعية والمبتوتة. وسنة[2] ذلك أن لا تبيت عن بيتها، ولا تخرج عنه نهاراً إلا لضرورة، وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ بالنساء.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ وهي الزّنى. ﴿لَا تَدْرِى﴾ أي: أيها السامع. ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال المفسّرون: الأمر هنا: الرغبة في ارتجاعها أو الميل إليها بعد انحرافه عنها، أو ظهور حمل فيراجعها من أجله. ونصب[3] «لا تدري» على جملة الترجّي، «فلا تدري» معلّقة عن العمل.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ﴾ أي: أشرفن على انقضاء عدتهنّ. ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهن. ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: بغير إضرار. ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: سرّحوهن بإحسان. والمعنى: اتركوهن حتى تنقضي عدّتهن فيملكن

---

(١) ق: نتيجة.

(٢) سنة ذلك: أي: صورته.

(٣) ق: ومصب.

أنفسهن. والإمساك بمعروف هو حسن العشرة فيما للزوجة على الزوج. والمفارقة بمعروف هو أداء المهر والتمتّع والحقوق الواجبة والوفاء بالشرط.

والظاهر[١] وجوب الإشهاد على ما يقع من الإمساك - وهو الرجعة - أو المفارقة - وهي الطلاق -. وهذا الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة لقوله[٢] ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة]. وعند الشافعي واجب في الرجعة، مندوب إليه في الفرقة.

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ هذا أمر للشهود، أي: لوجه الله تعالى خالصاً لا لمراعاة مشهود له ولا مشهود عليه، لا يلحظ سوى إقامة الحق.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى إقامة الشهادة، إذ نوازل الأشياء تدور عليها، وبها يتميّز المبطل من المحقّ.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هي في معنى الطلاق، أي: ومن لا يتعدَّ طلاق[٣] السنة إلى طلاق الثلاث وغير ذلك، يجعل الله له مخرجاً.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يفوّض أمره إليه. ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه. [٥٤٨/أ] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [لا بدّ من نفوذ أمر الله تعالى، توكّلت أو لم تتوكّل. وقرىء: بالغٌ، بالتنوين، أمْرَه، بالنصب. وقرىء: بالغُ أمرِه، بالإضافة].

---

(١) ق: بالشرط الظاهر. وفوقها: كذا.

(٢) ق: كقوله.

(٣) ق: في طلاق.

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً وميقاتاً لا يتعدّاه.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ الآية، روي أن قوماً منهم أبيّ ابن كعب، وخلاد بن النعمان، لمّا سمعوا قوله تعالى ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة] قالوا: يا رسول الله: فما عدّة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية[1]. فقال قائل: فما عدّة الحامل؟. فنزلت «وأولات الأحمال أجلهن» الآية.

ومعنى ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في أنها يئست أم [لا] لأجل إمكان ظهور حمل وإن كان انقطع دمها. و«إن ارتبتم» هو للمخاطبين، أي: إن [لم] تعلموا عدّة[2] الآيسة واللائي لم يحضن [فالعدة هذه. فتلخّص في قوله «إن ارتبتم» قولان: أحدهما أنه على ظاهر مفهوم اللغة فيه، وهو حصول الشّك. والآخر أنّ معناه التيقّن للإياس.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٩٠، ولباب النقول ص٢١٦.

(٢) ق: مدة.

والظاهر أنّ قوله ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾] يشمل من لم تحض لصغر، ومن لا يكون لها حيض البتّة. وهذا موجود في النساء؛ وهو أنها تعيش إلى أن تموت ولا تحيض، ومن أتى عليها زمان الحيض وما بلغت ولم تحض. ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ عام في المطلّقة والمتوفى عنها زوجها.

و«مِن» في ﴿مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم﴾ للتبعيض، أي: بعض مكان سكناكم.

و﴿مِّن وُجۡدِكُمۡ﴾ قال الزمخشري[1]: فإن قلت: فقوله «من وُجدكم[2]»؟. قلت: هو عطف بيان[3] لقوله «من حيث سكنتم» وتفسير له، كأنه قيل: أسكنوهنّ مكاناً من مساكنكم ممّا تطيقونه. والوُجد: الطاقة والوسع انتهى.

ولا يعرف عطف بيان يعاد فيه العامل، إنما هذا طريقة البدل مع حرف الجر. ولذلك أعربه أبو البقاء[4] بدلاً من قوله «من حيث سكنتم».

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾ ولا تستعملوا معهنّ الضّرار. ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهنّ أو شغل مكانهنّ أو غير ذلك حتى تضطروهنّ إلى الخروج.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ﴾ لا خلاف في وجوب سكناها ونفقتها بُتَّتْ أو لم تُبتّ. فإن كان متوفّى عنها فأكثر العلماء على أنها لا نفقة لها. وعن علي وابن مسعود: تجب نفقتها في التركة. ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ﴾ أي: وإن ولدن وأرضعن المولود، وجب لها النفقة وهي الأجر والكسوة وسائر المؤن على

(١) الكشاف ٤: ١٢١.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) في الكشاف: هو بيان.

(٤) انظر الإملاء ٢: ٢٦٣.

ما قُرّر في كتب الفقه.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: تضايقتم وتشاكستم فلم ترض إلا بما ترضى به الأجنبية، وأبى الزوج [الزيادة أو أبى الزوج] الإرضاع إلا مجاناً، وأبت هي إلا بعوض. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي: يستأجر غيرها، وليس له إكراهها. فإن لم يقبل إلا ثدي أمّه، أُجبرت على الإرضاع بأجرة مثلها. ولا يختصّ هذا الحكم من وجوب أجرة الرّضاع بالمطلّقة، بل المنكوحة[1] في معناها.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ الآية، «عتت» أعرضت عن أمر ربّها، على سبيل العناد والتكبّر. والظاهر في ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ الجمل الأربع[2] من الحساب والعذاب والذوق والخسران، في الآخرة. وجيء به على لفظ الماضي لتحقّق وقوعه. [٥٤٨/ب] ولما ذكر ما حلّ بهذه القرية العاتية، أمر المؤمنين بتقوى[3] الله تعالى تحذيراً من عقابه. ونبّه على ما يخصّ على التقوى وهو

---

(١) ق: بالمنكوحة.

(٢) ق: الأربعة.

(٣) ق: تقوى.

إنزال الذكر. والظاهر أن الذكر هو القرآن، وأن الرسول هو محمد عليه السلام، ويكون بدلاً على حذف مضاف، أي: ذِكْرَ رسولٍ. والضمير في «ليخرج» عائد على الله تعالى. ﴿وَمَن يُؤْمِنْ﴾ راعى اللفظ أوّلاً في «مَن» الشرطية فأفرد الضمير في «يؤمن» و«ويعمل» و«يدخله»، ثم راعى المعنى في «خالدين» فجمع، ثم راعى اللفظ في «قد أحسن الله له» فأفرد. واستدلّ النحويون بهذه الآية على مراعاة اللفظ أولاً ثم مراعاة المعنى ثم مراعاة اللفظ.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ لا خلاف أن السماوات سبع بنصّ القرآن والحديث. والمثليّة في العدد أي: سبع أرضين. ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾ من السماوات السبع إلى الأرضين السبع. و﴿عِلْمًا﴾ تمييز منقول من الفاعل تقديره: أحاط علمه بكل[1] شيء.

(١) ق: كل.

سورة التحريم(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية. وسبب نزولها ما يأتي ذكره في تفسير أوائلها. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر جملة من أحكام زوجات المؤمنين، ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات الرسول عليه السلام. «يا أيها النبي» نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصّفة على عصمته ممّا يقع [فيه] من ليس بمعصوم. «لم تحرم» سؤال

(١) مدنية وآياتها اثنتا عشرة.

تلطّف، ولذلك قدّم قبله «يا أيها النبي» ومعنى «تحرم» تمنع[١]، وليس التحريم المشروع بوحي من الله تعالى وإنما هو امتناع لتطييب خاطر من تحسن معه العشرة. «ما أحل الله» هو مباشرة مارية جاريته، وكان ألمّ في بيت بعض نسائه، فغارت من ذلك صاحبة البيت، فطيّب خاطرها بامتناعه منها واستكتمها[٢] ذلك، فأفشته إلى بعض نسائه. وقيل: هو عسل كان شربه عند بعض نسائه، فكان ينتاب [بيتها] لذلك، فغار بعضهن من دخوله بيت التي[٣] عندها العسل، وتواصين على أن يذكرن له أنّ رائحة ذلك العسل ليس بطيبة[٤]، فقال: لا أشربه[٥]. و«تبتغي» في موضع الحال،أو استئناف إخبار.

﴿تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾ مصدر حلّل، ككرَّم تكرمة.

﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ هي حفصة، والحديث هو بسبب مارية. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرت عائشة. وقيل: الحديث إنما هو شرب العسل[٦]. ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أطلعه عليه، أي: على إفشائه، وكان قد تكوتم [٥٤٩/أ] فيه، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام. وجاءت الكناية هنا عن المفشية والحذف للمُفْشَى إليها بالسّر، حياطة وصوناً عن التصريح بالاسم؛ إذ لا يتعلق بالتصريح بالاسم غرض. وقرىء: عرّف، بالتشديد والتخفيف.

---

(١) ق: تمتنع.

(٢) ق: واكتتمها.

(٣) ق: الذي.

(٤) ق: بطيب.

(٥) انظر البخاري ٥: ٢٠١٦، وأيضاً ٤: ١٨٦٥.

(٦) ق: شربت عسلاً.

﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖ﴾ أي: تكرّماً وحياءً وحسن عشرة. قال الحسن: ما استقصى كريم قطّ!. وقال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام!. ومفعول «عرف» المشدّد محذوف أي: عرّفها بعضه، أي: أعلم ببعض الحديث. وقيل: المعرَّف حديث العسل، والذي أعرض عنه حديث مارية. ولمّا أفشت حفصة الحديث لعائشة واكتتمَتْها إياه، ونبّأها الرسول عليه السلام به، ظنّت حفصة أن عائشة فضحتها فقالت ﴿مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ﴾؟ على سبيل التثبّت. فأخبرها أن الله تعالى هو الذي نبّأه به، فسكتت وسلّمت.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ انتقال من غيبة إلى خطاب، ويسمّى الالتفات. والخطاب لحفصة وعائشة. ﴿فَقَدۡ صَغَتۡ﴾ أي: مالت عن الصواب. وأتى بالجمع في قوله «قلوبكما» وحسّن ذلك إضافته إلى مثنّى وهو ضميرهما، والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى، والتثنية دون الجمع.

وقرىء: تظّاهرا، بالتشديد. وأصله تتظاهرا. وبالتخفيف والأصل: تتظاهرا. والمعنى: وإن تتعاونا عليه، أي: في إفشاء سرّه والإفراط في الغيرة. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ﴾ أي: مُظاهره ومعينه. و«جبريل» مبتدأ، وما بعده معطوف عليه، والخبر «ظهير». فيكون ابتداء الجملة بجبريل وهو أمين وحي الله تعالى، واختتامه بالملائكة. وبدىء بجبريل، وأُفرد بالذكر تعظيماً له، وإظهاراً لمكانته عند الله تعالى. ويكون قد ذُكر مرّتين: مرّة بالنّص ومرّة في العموم.

واكتنف «صالح المؤمنين» جبريل والملائكة تشريفاً لهم واعتناءً بهم؛ إذ جعلهم بين الذين يسبّحون الليل والنهار لا يفترون. فعلى هذا «جبريل» داخل في الظُّهراء لا في الولاية، ويختصّ الرسول بأن الله هو مولاه.

وفصل بين «عسى» وخبرها بالشرط وهو «إن طلقكن». ودلّ ذلك على

أنه عليه السلام لم يقع منه طلاق. والمبدل به محذوف تقديره: أن يبدله بكن. و«خيراً» صفة، وهي أفعل التفضيل، ولذلك عُدّيت بـ«مِن». و«مسلمات» وما بعدها صفة لقوله «أزواجاً». و«أبكاراً» معطوف على «ثيبات» وهما تقسيم للأزواج.

ولمّا وعظ أزواج الرسول موعظة خاصّة، أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم. وعطف «وأهليكم» على «أنفسكم» لأن ربّ المنزل راعٍ وهو مسؤول عن رعيّته. ومعنى وقايتهم حملهم على الطاعة وإلزامهم أداء ما فرض الله عليهم. قال عمر[1] «يا رسول الله [٥٤٩/ ب] نقي أنفسنا فكيف لنا بأهلينا؟ قال: تنهونهنّ عما نهاكم الله وتأمرونهن[2] بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار». ودخل الأولاد في «وأهليكم». وانتصب «ما أمرهم» على البدل، أي: لا يعصون أمره كقوله[3] تعالى ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝٩٣﴾ [طه]، أو على إسقاط حرف الجر، أي: فيما أمرهم. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: كرّر المعنى توكيداً.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ خطاب عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم الاعتذار ولا فائدة فيه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا

(١) أخرجه ابن مردويه عن زيد بن أسلم، انظر الدرّ المنثور ٦: ٢٤٤.

(٢) ق: تنهون.. وتأمرون.

(٣) ق: لقوله.

نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ
وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الآية، قرىء: نصوحاً، بفتح النون صفة للتوبة. وبضمّها، وسو مصدر وصف به التوبة على سبيل المبالغة. وروي عن عمر وعبد الله: أنها التي لا عودة بعدها، كما لا يعود اللبن للضرع(١)، ورفَعَه معاذ للنبي عليه السلام. «يوم لا يخزي» منصوب بـ«يدخلكم». و«لا يخزي» تعريض بمن(٢) أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر. و﴿ٱلنَّبِىُّ﴾ هو الرسول عليه السلام. وفي الحديث «أنه عليه السلام تضرّع في أمر أمتّه، فأوحى الله تعالى إليه: إن شئت جعلت حسابهم إليك. فقال: يا رب أنت أرحم بهم. فقال تعالى: إذاً لا أخزيك فيهم».

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ
ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ
وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا
فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ
ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ ضرب تعالى المثل لهم بامرأة نوح وامرأة لوط في

---

(١) ق: في للضرع. وانظر الطبري ٢٨: ١٠٧.

(٢) ق: فمن.

أنهم لا ينفعهم [مع كفرهم] لحمة نسب ولا وصلة صهر. والكفر قاطع[(١)] العلائق بين الكافر والمؤمن، وإن كان المؤمن في أقصى درجات الصلاح. ألا ترى إلى قوله ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ ﴿٤٦﴾﴾ [هود]؟ كما لم ينفع تَيْنك المرأتين مع كونهما زوجَتيْ نبيَّيْن. وجاءت الكناية عن اسميهما العلمين بقوله ﴿عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ لما في ذلك من التشريف بالإضافة إليه تعالى. ولم يأت التركيب بالضمير عنهما فيكون: تحتهما، لِمَا قصد من ذكر وصفهما بقوله ﴿صَٰلِحَيۡنِ﴾ لأن الصّلاح هو الذي يمتاز به من اصطفاه تعالى، كقوله في حق إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة]. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾[(٢)] وذلك بكفرهما وقول امرأة نوح: هو مجنون، ونميمة امرأة لوط بمن ورد عليه من الأضياف، قاله ابن عباس. وقال: لم تَزْنِ امرأة نبيّ قطّ ولا ابتُلي في نسائه بالزّنى. ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا﴾ أي: نوح ولوط. ﴿عَنۡهُمَا﴾ عن امرأتيهما. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذاب الله تعالى. ﴿وَقِيلَ ٱدۡخُلَا﴾ أي: وقت موتهما أو يوم القيامة. ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ﴾ مثّل تعالى حال المؤمنين في أن وصلة الكفار لا تضرّهم، ولا تنقص من ثوابهم، بحال امرأة فرعون واسمها آسية بنت مزاحم. ولم يضرّها كونها كانت تحت فرعون، بل نجّاها منه إيمانها. وبحال مريم إذ أوتيت من كرامة [٥٥٠/أ] الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أن قومها كانوا كفّاراً. ﴿عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ هذا يدلّ على إيمانها وتصديقها بالبعث. قيل: كانت عمّة موسى

---

(١) ق: الكفر فاطلع.

(٢) ق: فخانتا.

عليه السلام، وآمنت حين سمعت بتلقّف عصاه ما أفك السحرة. طلبت من ربها القرب من رحمته، وكان ذلك أهمّ عندها، فقدّمت الظرف وهو «عندك بيتاً» ثم بيّنت مكان القرب فقالت «في الجنة». ﴿وَنَجِّنِي﴾ قيل: دعت[١] بهذه الدعوات فنجّاها الله تعالى أحسن نجاة. و﴿ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هم القبط.

﴿وَمَرْيَمَ﴾ معطوف على «امرأة فرعون». وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها، تسليةً للأرامل وتطييباً لأنفسهنّ. وقرىء: بكلمات[٢]، جمعاً، فاحتمل أن تكون الصحف المنزلة على إدريس عليه السلام، وسمّاها كلمات لقصرها. وقرىء: وكُتبه، على الجمع. وكتابه، على الإفراد. والكتاب هو الإنجيل. ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ غلّب الذكورية على التأنيث، فـ«القانتين» شامل للذكور والإناث. و«مِن» للتبعيض.

(١) ق: دعت قيل دعت.

(٢) ق: كلماته.

سورة الملك[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ ﴾.

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ضرب للكفّار [مثلاً] بتَيْنك المرأتين المحتوم لهما بالشقاوة[2] وإن كانتا تحت نبيّين، ومثلاً للمؤمنين بآسية ومريم، وهما محتوم لهما بالسعادة، وإن كان قومهما كافرين - كان ذلك تصرّفاً في ملكه على ما سبق به قضاؤه، فقال «تبارك» أي: تعالى وتعاظم الذي بيده الملك. وهو كناية عن الإحاطة والقهر.

وكثيراً ما جاء نسبة اليد إليه تعالى كقوله تعالى ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ۝٨٣﴾ [يس]. والملك هنا هو على الإطلاق، لا يبيد ولا يختلّ[3].

(١) مكية وهي ثلاثون آية.

(٢) ق: المختوم لهما بالشقاق.

(٣) ق: لا تبد ولا تحيل.

ومعنى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ إيجاد[١] ذلك المصحّح وإعدامه. والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلّفون. وسمّى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهي الخبرة، استعارة من فعل المختبر. وفي الحديث[٢] أنه فسّر «أيكم أحسن عملاً» أيكم أحسن عقلاً وأشدّكم لله خوفاً وأحسنكم في أمره ونهيه نظراً، وإن كان أقلّكم تطوّعاً.

وانتصب «طباقاً» على الوصف لـ«سبع» فإما أن يكون مصدر طابق مطابقة وطباقاً كقولهم: طابق النَّعْل: خصفها طبقاً على طبق. وصف به على سبيل[٣] المبالغة. والتفاوت: تجاوز الحدّ الذي يجب له، زيادة أو نقصاً. والخطاب في «ترى» لكلّ مخاطب، أو للرسول عليه السلام.

ولمّا أخبر تعالى أنه لا تفاوت [٥٥٠/ب] في خلقه، أمر بترديد البصر في الخلق المناسب فقال «فارجع» ففي الفاء معنى التسبّب، والمعنى أن العيان يطابق الخبر. والفطور: الشقوق، يقال: فطر ناب البعير: شق اللحم وظهر. وقرىء: تفاوت، وتفوُّت. والجملة من قوله «هل ترى من فطور» في موضع نصب بفعل معلّق محذوف، أي: فانظر هل ترى. أو ضمّن «فارجع البصر» معنى فانظر ببصرك هل ترى، فيكون معلّقاً.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ﴾ أي: ردّده. ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ هي تثنية لا شفع[٤] الواحد، بل يراد به التكرار كأنه قال: كرّة بعد كرّة، أي: كرّات كثيرة. ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: كليل.

---

(١) ق: اتخاذ.

(٢) انظر الكافي الشاف ص٨٦.

(٣) ق: على طريق، وكتب في الهامش: سبيل. والجملة مبتورة، وفي بقيتها أوجه أخرى لإعراب «طباقاً»، انظر البحر ٨: ٢٩٨.

(٤) ق: يشفع.

﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ التي نشاهدها. ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي: بنجوم مضيئة. ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا﴾ أي: جعلنا منها، لأن السماء ذاتها ليست الرّجوم. والظاهر [عوده] على «مصابيح». ونسب الرّجم إليها لأن الشهاب المتّبع للمسترق منفصل من نارها، والكوكب قارّ في فلكه على حاله، فالشهاب كقبس يؤخذ من النار، والنار باقية لا تنقص. والظاهر أن الشياطين هم مسترقو السمع، وأن الرجم هو حقيقة، يُرمون بالشهب كما تقدم في الحجر وغيرها[1]. والضمير في «لهم» عائد على الشياطين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾.

وقرىء: عذابُ، بالرفع مبتدأ خبره في الجار والمجرور قبله. وبالنصب على إضمار: أعتدنا.

﴿إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا﴾ أي: طُرحوا كما يُطرح الحطب في النار العظيمة ويُرمى به، ومثله ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء]. ﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ أي: لجهنّم. ﴿شَهِيقٗا﴾ أي: صوتاً منكراً كصوت الحمار، تصوّت مثل ذلك لشدّة توقّدها وغليانها. ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي: سمعوا لأهلها، كما قال تعالى

---

(١) انظر شرح الآية ١٨ من الحجر، وانظر مثلاً: شرح الآية ١٠ من الصافات.

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [هود]. ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي بهم غلي المرجل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: ينفصل بعضها من بعض لشدّة اضطرابها. ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي: فريق من النار. ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ وتقريع، وهو ممّا يزيدهم عذاباً إلى عذابهم. و«خزنتها» مالك وأعوانه. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ ينذركم بهذا اليوم.

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ اعتراف بمجيء النّذر إليهم. والظاهر أن قوله ﴿إِنْ أَنتُمْ[١]﴾ من قول الكفار للرسل الذين جاؤوا نذراً لهم. أنكروا أولاً أن الله تعالى نزل[٢] شيئاً، واستجهلوا ثانياً من أخبر بأنه تعالى أرسل إليهم الرّسل، وإن قائل ذلك في حيرة[٣] عظيمة. فإن كان الخطاب في «إن أنتم» للرسل، فـ«نذير» أريد به الجنس، ولذلك جاء الخطاب بالجمع.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: للخزنة[٤] حين حاوروهم. ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ سماع طالب للحق. ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل متأمّل له، لم نستوجب الخلود في النار.

﴿فَاعْتَرَفُوا﴾ حين لم ينتفعوا بالاعتراف. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي: بتكذيب الرسل. ﴿فَسُحْقًا﴾ أي: فبعداً لهم، وهو دعاء عليهم [٥٥١/أ] والسُّحق: البُعد. وانتصابه على المصدر أي: سحقهم الله سحقاً.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ﴾ خطاب لجميع الخلق. قال ابن عباس: إن بعض المشركين قال لبعض: أسّروا قولكم لا يسمعْكم إله محمد.

---

(١) ق: أرأيتم.

(٢) ق: ترك.

(٣) ق: وإن قابل ذلك في خبرة.

(٤) ق: الخزنة.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾ الهمزة للاستفهام و«لا» للنّفي. والظاهر أن «مَن» مفعول، والمعنى: أينتفي علمه بمن خلق وهو الذي لطف علمه، ودقّ، وأحاط بخفيّات الأمور وجليّاتها؟.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ
ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن
فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا
ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ
ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ﴾ منّة منه تعالى بذلك. والذَّلول: فَعول للمبالغة. ﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ أمرٌ بالتصرّف فيها والاكتساب. و«مناكبها» قال ابن عباس: هي الجبال. ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ أي: البعث، فيسألكم[1] عن شكر هذه النعمة عليكم.

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ الآية، «من في السماء» هذا مجاز. وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيّز في جهة. ومجازه أنّ ملكوته في السماء؛ لأن «في السماء» هو صلة «مَن» ففيه الضمير الذي كان في العامل فيه، وهو: استقرّ، أي: من في السماء هو، أي: ملكوته، فهو على حذف مضاف. وملكوته في كل شيء، لكن خصّ السماء بالذكر لأنها مسكن ملائكته وثَمَّ عرشه وكرسيّه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل

---

(١) ق: فبينا لكم.

قضاياه وكتبه وأمره ونهيه. أو جاء[١] هذا على طريق اعتقادهم إذ كانوا مشبّهة، فيكون المعنى: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء، وهو المتعالي عن المكان. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ هو ذهابها سفلاً. ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أي: تموج وتذهب كما يذهب التراب في الرّيح. والنّذير والنكير مصدران بمعنى الإنذار والإنكار.

ولمّا حذّرهم ما يمكن إحلاله بهم من الخسف وإرسال الحاصب، نبّههم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها، وعلى من خلقها، وعلى عجز آلهتهم عن شيء من ذلك. وناسب ذكر الاعتبار بالطير إذ قد تقدّمه الحاصب، وقد أهلك الله أصحاب الفيل بالطير والحاصب الذي رمتهم به. ففيه إذكار قريش بهذه القصة، وأنه تعالى لو شاء أهلكهم بحاصب يرمي به الطير كما فعل بأصحاب الفيل. ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطة أجنحتها صافّتها كأنها ساكنة. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يضممن الأجنحة إلى جوانبها. وهاتان حالتان[٢] للطائر، يستريح من إحداهما إلى الأخرى. وعطف الفعل على الاسم لمّا كان في معناه. ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بقدرته.

﴿بَل لَّجُّواْ﴾ تمادوا. ﴿فِى عُتُوٍّ﴾ في تكبّر وعناد. ﴿وَنُفُورٍ﴾ شراد عن الحق لثقله عليهم.

﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال قتادة: نزلت مخبرة عن حال القيامة، وأن الكفار يمشون فيها على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة.

---

(١) ق: وجاء.

(٢) ق: حالتا.

وقيل للنبي عليه السلام[1]: «كيف يمشي الكافر [٥٥١/ب] على وجهه؟. فقال: إن الذي أمشاه في الدنيا على رجليه قادر أن يمشيه في الآخرة على وجهه». و﴿مُكِبًّا﴾ حال من أكبّ وهو لا يتعدّى. وكبّ متعدٍّ؛ قال تعالى ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل]. والهمزة فيه للدخول في الشيء، أو للصيرورة. ومطاوع كبّ انكبّ، تقول: كببته فانكبّ.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾
قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ
وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ
اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا
بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن
يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

وانتصب «قليلاً» على أنه نعت لمصدر محذوف. و«ما» زائدة. و«تشكرون» مستأنف أو حال مقدّرة، أي: تشكرون شكراً قليلاً.

والحشر: البعث. والوعد المشار إليه هو وعد يوم القيامة. أي: متى إنجاز هذا الوعد؟.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب وهو الموعود به. ﴿زُلْفَةً﴾ أي: قرباً، أي: ذا قرب. ﴿سِيئَتْ﴾ أي: ساءت رؤيته وجوههم، وظهر فيها السّوء والكآبة، وغشيها السّواد، كمن يُساق إلى القتل. «وقيل» لهم، أي: تقول لهم الزّبانية ومن يوبّخهم. ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنه لا جنّة ولا نار. وقيل: تطلبون وتستعجلون،

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٧٨٤ من حديث أنس بن مالك.

وهو من الدعاء. روي أن الكفار كانوا يدعون على الرسول وأصحابه بالهلاك.

﴿إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ [وَمَن مَّعِيَ]أَوْ رَحِمَنَا﴾ بالنّصر عليكم، فمن يحميكم من العذاب الذي سببه كفركم؟.

ولمّا قال «أو رحمنا» قال «هو الرحمن». ثم ذكر ما به النّجاة وهو الإيمان والتفويض إلى الله تعالى.

ولمّا ذكر العذاب وهو مطلق، ذكر فَقْدَ ما به حياة الأنفس وهو الماء، وهو عذاب مخصوص. والغور تقدّم شرحه[١]. والمعين تقدّم[٢]. وجواب «إن أهلكني»: «فمن يجير». وجواب «إن أصبح»: «فمن يأتيكم».

---

(١) انظر شرح الآية ٤١ من الكهف.

(٢) انظر شرح الآية ٤٥ من الصافات.

سورة القلم(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ
مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى
ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾.

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكّية. ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل. ومناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصباً. وكان ما أخبر به تعالى هو [ممّا] تلقّفه رسول الله ﷺ بالوحي. وكان الكفار ينسبونه مرة إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة إلى الجنون. فبدأ تعالى هذه السورة ببراءته ممّا كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثّناء على خلقه.

﴿نٓ﴾ حرف من حروف المعجم نحو ﴿صٓ ۝١﴾ [ص] و﴿قٓ ۝١﴾ [ق].

---

(١) مكية وهي اثنتان وخمسون آية.

وهو غير معرب كبعض[1] الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل. فالحكم على موضعها بالإعراب تخرّص[2]. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ هو المعهود للكتابة. وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للناس فجاء القسم على هذا [٥٥٢/أ] بمجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة؛ فإن القلم أخو اللسان ومظنّه الفطنة، ونعمة من الله تعالى عامّة. وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ ويظهر أن «بنعمة ربك» قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحُكْم، على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: على ما تحمّلت من[3] أثقال النبوّة ومن أذاهم، بما ينسبون[4] إليك ممّا أنت لا تلتبس به من المعايب. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، مننتُ الحبل: قطعته.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ أي: دين عظيم، وهو من الثناء عليه

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباء ظرفية تقديره: في أيكم. و﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر على وزن مفعول كالمعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد.

وقيل: الباء زائدة و«أيكم» مبتدأ زيدت الباء فيه كما زادوها في قوله: بحسبك درهم، أي: حسبك. و«المفتون» في هذا الوجه اسم مفعول، والجملة في موضع نصب بالفعل الذي قبله وهو «ويبصرون» لأنه بمعنى

---

(١) ق: لبعض.
(٢) ق: نحرص، وفوقها كذا.
(٣) ق: به من.
(٤) ق: ينتسبون.

يعلمون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ وعيد للضالّ وهم المجانين[١] على الحقيقة، حيث كانت لهم عقول، فلم ينتفعوا بها، ولا استعملوها في اتّباع ما جاءت به الرسل. أو يكون «أعلم» كناية عن جزاء الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ﴾ أي: الذين كذّبوا[٢] ما أنزل الله عليك من الوحي. وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء ممّا دعوه إليه من تعظيم آلهتهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ «لو» هنا على رأي بعض النحويين مصدرية بمعنى أن، أي: ودّوا إدهانكم.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ تقدم تفسير «مهين» وما بعده في المفردات[٣]. وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة. ونوسب فيها فجاء «حلّاف» وبعده «مهين» لأن النون فيها مع الميم تواخٍ. ثم جاء «هماز مشاء بنميم» بصفتي المبالغة. ثم جاء «مناع للخير» فـ«منّاع» و«أثيم» صفتا مبالغة. والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير.

والزنيم: قال ابن عباس: الذي له زنمة في عنقه كزنمة الغنمة. والظاهر أن هذه الأوصاف ليست لمعيّن؛ ألا ترى إلى قوله «كل حلاف» وقوله «إنا بلوناهم» فإنما وقع النّهي عن طواعية من هو بهذه الصفات.

ولمّا ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعّد فقال

(١) ق: المحابين.

(٢) ق: كفروا.

(٣) انظر البحر ٨: ٣٠٥.

«سنسمه على الخرطوم» والسّمة العلامة. ولمّا كان الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه لتقدّمه، ولذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة، واشتقوا منه الأنفة وقالوا: حميّ الأنف شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جدع أنفه ورغم أنفه، [وكان أيضاً مما تظهر السمات فيه لعلوّه، قال «سنسمه على الخرطوم»].

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ولمّا [٥٥٢/ب] ذكر المتّصف بتلك الأوصاف الذّميمة وهم كفار قريش، أخبر تعالى [عن] ما حلّ بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ[١] «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» الحديث. ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ المعروف [من] خبرها عندهم [أنها] كانت بصَوْران[٢] على فراسخ من صنعاء لناسٍ[٣] بعد رفع عيسى عليه السلام. وكان [صاحبها] يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكراس[٤]، وما

---

(١) أخرجه مسلم ١: ٤٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر معجم البلدان: الصَّوْران.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) الأكراس: جمع كِرْس وهو ما يُبنى لطُليان المعزى.

أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط تحت النخلة إذا صُرمت. فكان يجتمع لهم شيء كثير. فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال. فحلفوا ليصرمنّها مصبحين، [فبكروا] في الغدوّ خيفة من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: إن شاء الله. والكاف في «كما بلونا[1]» في موضع نصب و«ما» مصدرية.

﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ﴾ [قال الفراء][2]: والطائف: الأمر الذي يأتي بالليل. ورُدّ عليه بقوله ﴿ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف] فلم يخصّص بالليل. و﴿ طَآئِفٞ﴾ مبهم فقيل: هو جبريل عليه السلام، اقتلعها وطاف بها حول البيت، ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سميت بالطائف. وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والماء والعنب [وغير ذلك غيرها[3]].

﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قال ابن عباس: كالرماد الأسود. والصّريم: الرّماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿ فَتَنَادَوۡاْ﴾ دعا بعضهم بعضاً إلى المضي إلى ميعادهم.

﴿ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ قال الزمخشري[4]: فإن قلت: هلاّ قيل: اغدوا إلى حرثكم، وما معنى «على»؟. قلت: لما كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه،

---

(١) ق: بلوناهم.

(٢) انظر معاني القرآن ٣: ١٧٥.

(٣) ق: وغيرها.

(٤) الكشاف ٤: ١٤٤.

كان غدوّاً عليه، كما تقول: غدا[1] عليهم العدوّ. ويجوز أن يضمّن الغدوّ معنى الإقبال كقولهم: يُغدى عليهم بالجفنة[2] ويراح، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين انتهى.

واستسلف الزمخشري أنّ غدا يتعدّى بإلى، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر ذلك، فيصير أصلاً فيه، ويُتأوّل ما خالفه. والذي نحفظه أنه معدّى بعلى كقول الشاعر[3]: [من الوافر]

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ نَشَاوَى واجدينَ لما نشاءُ

وكذا عدّي مرادفه، قال[4]: [من الطويل]

بَكَـرْتُ عليـه غُـدوةً فـرأيتـه قُعوداً لديه بالصّريم عواذلُهْ

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ هو من صرام النخل.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: يتخافتون بهذا الكلام.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون أنهم ملكوا مرادهم. والحرد المنع.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: [٥٥٣/أ] أرجحهم عقلاً. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أنبّهم

---

(١) ق: غدو.

(٢) ق: بالخفية.

(٣) البيت لزهير في ديوانه ص٧٢.

(٤) البيت أيضاً لزهير في ديوانه ص١٤٠.

ووبّخهم على تركهم ما حضّهم عليه، وهو تسبيح الله تعالى. ولمّا غفلوا عن ذكر الله، وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله تعالى.

ولمّا أنّبهم رجعوا إلى ذكر الله تعالى، واعترفوا على أنفسهم بالظلم وبادروا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا «سبحان ربنا». قال ابن عباس: أي: نستغفر الله من ذنبنا.

ولمّا أقرّوا بظلمهم، لام بعضهم بعضاً إذ كان منهم من زيّن ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكفّ، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت على رضاً منه. ثم اعترفوا بأنهم طغوا.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ أي: بهذه الجنة خيراً منها ﴿رَٰغِبُونَ﴾ أي: طالبون إيصال الخير إلينا منه. والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا.

والإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب الذي نزل بالجنة، أي: كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشدّ عليهم من عذاب الدنيا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي
وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي
مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه بَلاَ كفار قريش، وشبّه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة، أخبر بحال أضدادهم، وهم المتّقون، فقال ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: الكفر. ﴿ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أضافها إلى النعيم، لأن النعيم لا يفارقها، إذ ليس فيها إلا هو، ولا يشوبه كَدَرٌ كما يشوب جنات الدنيا. وروي أنه لما نزلت هذه قالت قريش: إن كان ثَمَّ جنة، فلنا فيها أكبر الحظّ فنزلت[1].

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: لا يتساوى المطيع والعاصي. وهو استفهام [فيه توقيف على خطأ ما قالوا وتوبيخ، ثم التفت إليهم فقال ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ أي: أيُّ شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام] إنكار عليهم.

ثم قال ﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ وهو استفهام ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهم عن هيئة حكمهم. ففي قوله «ما لكم» [استفهام] عن كينونة مبهمة. وفي «كيف تحكمون» استفهام عن هيئة حكمهم.

ثم أضرب عن هذا إضراب انتقال لشيء آخر لاإبطال لما قبله فقال ﴿ أَمْ لَكُمْ ﴾ أي: بل ألكم. ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ أي: من عند الله. ﴿ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ أنّ[2] ما تختارونه يكون لكم.

و«ما» في قوله «لَمَا» موصولة[3] بمعنى الذي وهي اسم «إن»، والجار

---

(١) انظر القرطبي ١٨ : ٢٤٦.

(٢) ق: أي. وفوقها: كذا.

(٣) ق: لما ولما موصولة.

والمجرور قبله في موضع الخبر. و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ حذفت منه التاء، أصله تتخيرون.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامن بما يقولونه ويدّعون صحته. وسَلْ معلّقة عن مطلوبها الثاني. لما كان السؤال سبباً لحصول العلم، جاز تعليقه كالعلم، ومطلوبها الثاني أصله أن يعدّى بعن أو بالباء كما قال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]. ولو كان غير اسم استفهام لتعدّى إليه بعن أو بالباء، كما تقول: سل زيداً عمّن ينظر في كذا. لكنه علّق «سلهم» فالجملة في موضع نصب.

[٥٥٣/ب] ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ المراد الأصنام أو ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه. أي: لا أحد يقول بقولهم، كما أنه لا كتاب لهم ولا عهد من الله[١] ولا زعيم بذلك. «فليأتوا» هذا استدعاء وتوقيف، قيل: في الدنيا، أي: ليحضروهم حتى[٢] يُرى هل هم بحال من يضرّ وينفع أم لا. وقيل: في الآخرة على أن يأتوا بهم.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن شدة الأمر وتفاقمه في ذلك اليوم. والناصب له محذوف تقديره: يكون كيتَ وكيتَ من الأمور الصعبة الشاقة. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ظاهره أنهم يُدعون. وتقدّم[٣] أن ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف.

و﴿خَٰشِعَةً﴾ حال ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾

---

(١) ق: من عهد الله.

(٢) ق: حين.

(٣) لم يتقدم شيء، وانظر البحر ٨: ٣١٦.

أي: الأعضاء، قادرين على السجود. ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ذلّة.

﴿فَذَرْنِي﴾ المعنى: خَلِّ بيني[1] وبينه، فإني سأجازيه وليس ثَمَّ مانع منه. وهذا وعيد شديد لمن يكذّب بما جاء به الرسول عليه السلام من أمر الآخرة وغيره. وكان تعالى قد قدّم أشياء من أحوال السّعداء والأشقياء. و«مَن» في موضع نصب إمّا عطفاً على الضمير في «ذرني»، وإمّا على أنه مفعول معه. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ تقدّم الكلام عليه[2].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ تقدّم الكلام [عليه أيضاً][3].

روي أنه عليه السلام أراد أن يدعو على الذين انهزموا بأُحد، حين اشتدّ بالمسلمين الأمر، وقيل: حين اراد أن يدعو على ثقيف فنزلت[4] «فاصبر لحكم ربك» وهو إمهالهم وتأخير نصرك عليهم، وامْضِ لما أُمرتَ به من التّبليغ واحتمال الأذى. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام. ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي في بطن الحوت. وليس النّهي منصباً على الذّوات إنما المعنى: لا يكن حالك مثل حاله إذ نادى. فالعامل في «إذ» هو المحذوف المضاف، أي: كحال أو كقصة صاحب الحوت إذ نادى. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً على قومه إذ لم يؤمنوا لمّا دعاهم إلى الإيمان، وأحوجوه[5] إلى استعجال مفارقته إياهم.

---

(١) ق: بيننا.

(٢) انظر شرح الآية ١٨٢ من الأعراف.

(٣) انظر شرح الآية ٤٠ من الطور.

(٤) انظر الكشاف ٤: ١٤٨.

(٥) ق: وأخرجوه.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ معناه لولا هذه الحال المرجوّة كانت له من نعمة الله تعالى لنُبذ بالعراء. وجواب «لولا»: «لنبذ بالعراء». والمعتمد فيه على الحال لا على النّبذ.

ولمّا[١] أمره تعالى بالصبر لما أراده تعالى، ونهاه[٢] عمّا نهاه، [أخبره بشدّة عداوتهم، ليتلقّى ذلك بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عمّا نهاه] فقال ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: لَيُزلّون قدمك بنظرهم الحادّ[٣] الدالّ على العداوة المفرطة. ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ «الذكر» القرآن. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ تنفيراً عنه، وقد علموا أنه عليه السلام أتمّهم فضلاً وأرجحهم عقلاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة وعبرة. ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: للجن والإنس، فكيف ينسبون إلى الجنّ [٥٥٤/أ] من جاء به؟.

---

(١) ق: لمّا.

(٢) ق: نهاه.

(٣) ليزلقون.. اتحاد.

سورة الحاقة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ ﴾.

﴿ ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء وقال ﴿ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۝٤٤ ﴾ [القلم] ذكر حديث القيامة وما أعدّ الله تعالى فيها لأهل السعادة والشقاوة، وأدرج بينهما شيئاً من أحوال الذين كذبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون، ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم، الكفارُ الذين عاصروا الرسول عليه السلام. وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون، فنصّ عليهم لذلك.

و﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾ المراد بها القيامة والبعث، قاله ابن عباس. والحاقة اسم فاعل من حقّ الشيء، إذا ثبت، ولم يُشكّ في صحته. و«الحاقّة» مبتدأ. و«ما»

---

(١) مكية وآياتها اثنتان وخمسون.

مبتدأ ثانٍ، و«الحاقة» [خبره. والجملة] خبر عن «الحاقّة» والرابط تكرار المبتدأ بلفظه نحو: زيد ما زيد. و«ما» استفهام لا يراد به حقيقته بل التعظيم، وأكثر ما يربط بتكرار المبتدأ إذا أريد معنى التعظيم والتهويل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ مبالغة في التّهويل. والمعنى أن فيها ما لم يُدْرَ ولم يحط به[1] وصف من أمورها الشاقّة وتفصيل أوصافها. و«ما» استفهام أيضاً مبتدأ، و«أدراك» الخبر. والعائد على «ما» ضمير الرفع في «أدراك». و«ما» مبتدأ. و«الحاقّة» خبر، والجملة في موضع نصب بـ«أدراك». و«أدراك» معلّقة، وأصل درى أن يُعدّى بالباء وقد تُحذف على قلّة. فإذا دخلت همزة النقل تعدّى إلى واحد بنفسه وإلى الآخر بحرف الجر. فقوله «ما الحاقة» بعد «أدراك» في موضع نصب بعد إسقاط حرف الجر.

والقارعة من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بصدمتها. والطاغية الصيحة.

﴿عَاتِيَةٍ﴾ عَتَتْ على خزّانها فخرجت بغير مقدار.

ومعنى ﴿سَخَّرَهَا﴾ أي: أقامها عليهم وأدامها سبع ليال، عَتَتْ[2] عليهم صبح الأربعاء لثمانٍ بقين من شوال إلى آخر الأربعاء تمام الشهر.

﴿حُسُومٗاۖ﴾ قال ابن عباس: تباعاً لم يتخلّلها انقطاع. ﴿فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا﴾ أي: في الليالي والأيام. ﴿صَرۡعَىٰ﴾ أي: هلكى. ﴿خَاوِيَةٖ﴾ خلت أعجازها بِلىً وفساداً.

---

(١) ق: ولم يخطيه، وفوقها: كذا.

(٢) ق: ندب.

وقال ابن شجرة[1]: كانت تدخل في أفواههم، فتُخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ ظرف زمان أي: الأمم الكافرة التي كانت قبله كقوم نوح، وقد أشار إلى شيء من حديثه بعد هذا. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط. ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفعلة أو الفعلات.

﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ[٥٥٤/ب]رَبِّهِمْ﴾ «رسول» جنس، وهو من جاءهم من عند الله كموسى ولوط عليهما السلام. ﴿رَّابِيَةً﴾ أي: نامية.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زاد وعلا على أعلى جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعاً. قال ابن جبير: طغى على الخُزّان كما طغت الريح على خُزّانها. ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي: في أصلاب آبائكم، أو حملنا آباءكم. ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي سفينة نوح.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ بما جرى لقومه الهالكين وقومه النّاجين فيها، وعظة أدركها أوائل هذه الأمّة. ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي: تحفظ قصتها أُذن من شأنها أن تعي المواعظ وتعتبر بها. يقال: وعيت، لِما حُفظ في النفس، وأوعيت، لِما حُفظ في غير النفس من الأوعية.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا
وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا
مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ

---

(١) ق: سحرة، وفوقها: كذب.

أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ
كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ
عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا
فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ
ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾.

ثنّى الضمير في ﴿فَدُكَّتَا﴾ لأن المراد جملة الأرض وجملة الجبال، أي: ضرب بعضها ببعض حتى تفتّت. والدّكّ فيه تفرق الأجزاء، والدقّ(١) فيه اختلاط الأجزاء.

﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ معطوف على «فإذا نفخ في الصور» وهو منصوب بـ«وقعت»، كما أن «إذا» منصوب بـ«نفخ» على ما اخترناه(٢). والتنوين في «إذٍ» للعوض من الجملة المحذوفة، تقديره: فيوم إذ نُفخ في الصور وجرى كيت وكيت.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: تفطّرت وتميّز بعضها من بعض. ﴿فَهِىَ﴾ يوم إذ انشقّت. ﴿وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة لتشقّقها بعد أن كانت شديدة.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ أي: على حافاتها حين تنشقّ. والضمير في «فوقهم» عائد على «الملك» ضمير جمعٍ على المعنى، لأنه يراد به الجنس. والظاهر أن التمييز المحذوف في قوله «ثمانية»: أملاك، أي: ثمانية أشخاص من الملائكة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ كان ما ذكر. ﴿تُعْرَضُونَ﴾ أي: للحساب. و«تعرضون» هو جواب قوله «فإذا نفخ». و«يومئذ تُعرضون» بدل من

(١) ق: والدرك فيه تفرق الأجر أو الدّق.

(٢) وهو مخالف لقول الجمهور، انظر البحر ٨: ٣٢٣.

«فيومئذ». والخطاب في «تعرضون» لجميع العالم المحاسبين. ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي: سريرة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الآية، ﴿هَآؤُمُ﴾ قال الكسائي وابن السكّيت: العرب تقول: هاءَ يا رجل، وللاثنين رجلين أو امرأتين: هاؤما، وللرجال: هاؤم، وللمرأة: هاءِ بهمزة مكسورة بغير ياء[1]، وللنساء هاؤنّ. ومعنى ﴿هَآؤُمُ﴾: خذوا. وقد ذكرنا في شرح التسهيل فيها لغات. و«هاؤم» إن كان مدلولها: خذ، فهي متسلّطة على «كتابيه» بغير واسطة. وإن كان مدلولها: تعالوا، فهي متعدّية إليه بواسطة إلى. و«كتابيه» يطلبه «هاؤم» و«اقرؤوا»؛ فالبصريون يُعملون «اقرؤوا»، والكوفيون يُعملون «هاؤم». وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل.

﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنت. ﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي: ذات رضا. ﴿عَالِيَةٍ﴾ أي: مكاناً وقدراً.

﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ما يُجنى[2] منها. ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريبة المتناول [٥٥٥/أ] يدركها القائم والقاعد.

﴿كُلُوا۟﴾ أي: يقال لهم كلوا. و﴿هَنِيٓـًٔا﴾ تقدّم شرحه[3]. ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدّمتم من العمل الصالح. ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ يعني أيام الدنيا.

﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ لمّا رأى فيه قبائح أفعاله وما يصير أمره إليه، تمنّى أنه لم يُعْطَهُ، وتمنّى [أنه] لم يَدْرِ حسابه، فإنه انجلى عنه حسابه عمّا يسوؤه

---

(١) ق: تاء.

(٢) ق: يجيء.

(٣) انظر شرح الآية ٤ من النساء.

فيه، إذ كان عليه لا له.

﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: الموتة التي مِتُّها في الدنيا. «كانت القاضية» القاطعة لأمري، فلم أُبعث، ولم أُعذّب.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ﴾ يجوز أن يكون نعتاً محضاً، أخبر بذلك متأسّفاً على ماله حيث لم ينفعه. ويجوز أن يكون استفهاماً وبّخ به نفسه وقرّرها عليه. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ أي: حجّتي.

﴿خُذُوهُ﴾ أي: يقال للزّبانية خذوه. ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي: اجعلوا في عنقه غلاًّ.

﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ «الجحيم» مفعول ثانٍ لـ«صلّوه»، والمفعول الأول الهاء في «صلّوه» وأخّر هذا لأجل الفاصلة.

﴿فِي سِلۡسِلَةٖ﴾ متعلق بقوله «فاسلكوه». و«ذراعاً» صفة للسلسلة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ﴾ بدأ بأقوى أسباب تعذيبه وهو كفره بالله تعالى. و«إنه» تعليل مستأنف، كأنّ قائلاً قال: لِمَ يُعذَّب هذا العذاب البليغ؟ فقيل: إنه كان لا يؤمن.

وعطف ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ على ﴿لَا يُؤۡمِنُ﴾ [وهو] داخل في العلّة، وذلك يدلّ على عظم ذنب من لا يحضّ على إطعام المسكين؛ إذ جُعل قرين الكفر. وهذا حكم ترك الحضّ فكيف ترك الإطعام؟. والتقدير: على إطعام طعام المسكين. وأضاف الطعام إلى المسكين من حيث له نسبة إليه إذ يستحق المسكين حقًّا في مال الغنيّ الموسر ولو بأدنى يسار.

﴿حَمِيمٞ﴾ أي: صديق ملاطف. ﴿مِنۡ غِسۡلِينٖ﴾ هو صديد أهل النار.

و﴿ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ اسم فاعل من خطئ، وهو الذي يفعل ضدّ الصواب متعمّداً

لذلك، والمخطىء: الذي يفعله غير متعمّد.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ عامّ في جميع مخلوقاته.

﴿ إِنَّهُۥ ﴾ أي: القرآن. ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ هو محمد عليه السلام، ويؤيده قوله ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ وما بعده. ونسب القول إليه لأنه هو مبلّغه والعامل به. ونفى تعالى أن يكون قول شاعر لمباينته لضروب الشعر.

﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴾ لأنه ورد بسبّ الشياطين.

وانتصب ﴿ قَلِيلًا ﴾ على أنه صفة لمصدر محذوف، أو لزمان محذوف أي: يؤمنون إيماناً قليلاً أو زماناً قليلاً. وكذا التقدير في «قليلاً ما تذكرون». والقلّة هو إقرارهم [إذا سئلوا]: من خلقهم؟ قالوا: الله.

وقال ابن عطية: ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدلّ عليه «تؤمنون». و«ما» يحتمل أن تكون [٥٥٥/ب] نافية، فينتفي إيمانهم البتّة، ويحتمل أن تكون «ما» مصدرية، والمتّصف بالقلّة هو[1] الإيمان اللّغوي، لأنهم قد صدّقوا بأشياء يسيرة، لا تغني عنهم شيئاً، إذ كانوا يصدقون أن الخير والصلة والعفاف الذي كان يأمر به الرسول عليه السلام هو حق صواب انتهى.

---

(١) ق: ويتصف بالقلة فهو.

أمّا قوله ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدل عليه «تؤمنون» فلا يصح؛ لأن ذلك الفعل الدالّ عليه «تؤمنون» [إما أن تكون «ما» نافية أو مصدرية كما ذهب إليه. فإن كانت نافية، فكذلك الفعل المضمر الدالّ عليه «تؤمنون»] المنفي بـ«ما» يكون منفياً، فيكون التقدير: ما تؤمنون قليلاً ما تؤمنون. والفعل المنفي بما، لا يجوز حذفه ولا حذف ما، لا يجوز: زيداً ما أضربه، على تقدير: ما أضرب زيداً ما أضربه. وإن كانت مصدرية، كانت إمّا في موضع رفع على الفاعلية بـ«قليلاً» أي: قليلاً إيمانكم. ويبقى[1] «قليلاً» لا يتقدمه ما يعتمد عليه حتى يعمل ولا ناصب له. وإما في موضع رفع على الابتداء، فيكون مبتدأ لا خبر له، لأنّ ما قبله منصوب لا مرفوع.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ التقوّل أن يقول الإنسان عن الآخر إنه قال شيئاً لم يقله. والأقاويل جمع أقوال وهي جمع الجمع. «باليمين» قيل: الباء زائدة.

و﴿ٱلْوَتِينَ﴾ قال ابن عباس: هو نياط القلب. والمعنى: لو تقوّل لأذهبنا حياته معجّلاً.

والضمير في «عنه» يجوز أن يعود على الذي تقوّل. والخطاب في «منكم» للناس. والظاهر في «حاجزين» أن يكون خبراً لـ«ما» على لغة أهل الحجاز، لأن «حاجزين» هو محطّ الفائدة. ويكون «منكم» لو تأخّر[2] لكان صفة لـ«أحد»، فلما تقدّم صار حالاً وجُمع على المعنى، لأنه في معنى الجماعة.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ وعيد للمكذبين بالقرآن.

---

(١) ق: وينفي.

(٢) فوقها في ق: كذا.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ﴾ أي: القرآن من حيث كفروا به ويرون من آمن به ينعم وهم يعذّبون.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإن القرآن لحقّ اليقين. ﴿فَسَبِّحْ﴾ تقدّم الكلام عليه[1].

(١) انظر شرح الآية ٧٤ من الواقعة.

سورة المعارج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ۝١٨﴾.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. قال الجمهور: نزلت[2] في النضر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ۝٣٢﴾ الآية [الأنفال]. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [الحاقة] أخبر عمّا صدر عن بعض المكذبين بنعم الله تعالى، وإن كان السائل نوحاً أو الرسول فناسب تكذيب المكذبين أن دعا عليهم رسولهم.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ جملة اعتراض بين العامل والمعمول. وقيل: يتعلق

---

(١) مكية وهي أربع وأربعون آية.

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

بـ«دافع» أي: [٥٥٦/أ] من جهته إذا جاء وقته.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [«المعارج»] لغةً: الدرج، وهنا استعارة. قال ابن عباس: في الرّتب والفواصل والصفات الحميدة. وقال ابن عباس أيضاً: «المعارج» السماوات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء.

﴿وَٱلرُّوحُ﴾ هو جبريل عليه السلام، خُصّ بالذكر تشريفاً. والظاهر أن معنى ﴿تَعْرُجُ﴾ في يوم من أيامكم هذه، ومقدار المسافة لو[١] عرجها آدمي، خمسون ألف سنة. والجملة من قوله «تعرج» اعتراض.

ولمّا كانوا قد سألوا استعجال العذاب، وكان السؤال على سبيل الاستهزاء والتكذيب، وكانوا قد وُعدوا به - أمره تعالى بالصبر.

والضمير في ﴿يَرَوْنَهُۥ﴾ عائد على العذاب، أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة. وهذا الاستبعاد هو على سبيل الإحالة منهم.

﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: هيّناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذّر. وكلّ ما هو آتٍ قريب. والبعد والقرب في الإمكان لا في المسافة.

﴿يَوْمَ تَكُونُ﴾ [«يوم» منصوب بإضمار فعل أي: يقع يوم تكون]، أو: يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت، أو بـ«قريباً»[٢]، أو بدل من ضمير «نراه» إذا كان عائداً[٣] على يوم القيامة. و«المهل» دُرْديّ[٤] الزيت.

---

(١) ق: أن لو.

(٢) ق: تقريباً.

(٣) ق: عائد.

(٤) دُرديّ الزيت: ما يبقى في أسفله.

﴿كَٱلْعِهْنِ﴾ الصوف المنفوش الذي طيّرته الرّيح.

﴿وَلَا[1] يَسْـَٔلُ﴾ أي: [لا] يسأله نصرة[2] ولا منفعة لعلمه أنه لا يجد ذلك عنده.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئناف كلام. قال ابن عباس: في المحشر يبصر الحميم حميمه ثم يفرّ عنه لشغله بنفسه.

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: الكافر. وقد يندرج فيه المؤمن العاصي الذي يعذّب.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته. ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ أقربائه الأدنَيْن[3]. ﴿تُـْٔوِيهِ﴾ تضمّه انتماءً[4] إليها.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على [«يفتدي» على] تقدير: ينجيه بالافتداء.

و﴿كَلَّآ﴾ ردع لودادتهم الافتداء، أو تنبيه على أنه لا ينفع. ﴿إِنَّهَا﴾ الضمير للقصة. و﴿لَظَىٰ نَزَّاعَةً﴾ تفسير لها. والشّوى: جلدة الرأس. والشّوى: القوائم.

﴿تَدْعُواْ﴾ أي: جهنم. ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق وتولّى. ﴿وَجَمَعَ﴾ أي: جمع المال فأوعاه وكنزه ولم يؤدّ حق الله تعالى فيه. وهذه إشارة إلى كفار أغنياء.

﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ

(١) ق: لا.

(٢) فوقها في ق: كذا.

(٣) ق: الأدنون.

(٤) ق: ابتماء، وفوقها: كذا.

مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٖ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جنس، ولذلك استثنى منه «إلا المصلين». والإنسان إذا ناله شرّ أظهر شدّة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس. ولمّا كان شدّة الجزع والمنع متمكّنة في الإنسان جُعل كأنه خُلق مجبولاً عليهما، كقوله ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنبياء]. و«الخير» المال. ﴿إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾ استثناء كما قلنا من «الإنسان».

ولذلك وصفهم بما وصفهم به من الصبر على المكاره والصفات الجميلة التي حازوها.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ الآية، كان عليه السلام يصلي عند الكعبة، ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفّون به حلقا حلقاً[1] يستمعون [٥٥٦/ب] ويستهزئون بكلامه ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد،

(١) ق: خلقاً خلقاً.

فلندخلنّها قبلهم، فنزلت[١]. ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾ أي: في الجهة التي تليك.
﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: عن يمينك وعن شمالك.

و﴿عِزِينَ﴾ جمع عِزَة. وجُمع جَمْع سلامة شذوذاً فقيل: عِزُون في الرفع وعِزِين في النصب والجر. وهو منصوب على الحال.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أنشأناهم من نطفة مَذِرة[٢]، فنحن قادرون على إعادتهم وبعثهم يوم القيامة، وعلى الاستبدال بهم خيراً منهم.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته، على إيجاب قدرته، على أن يبدّل خيراً منهم.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد. وما فيه من المهادنة منسوخ بآية السيف[٣].

و﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يومهم» والنُّصب: ما نُصب للإنسان فهو يقصده[٤] مسرعاً إليه من عَلَم أو بناء أو صنم. وغُلّب في الأصنام حتى قيل الأنصاب.
﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

وقرأ الجمهور: ذلّة، منوّناً. ذلك اليومُ: برفع الميم مبتدأ وخبر.

---

(١) انظر أسباب النزول ص٢٩٤.

(٢) مذرة: فاسدة.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

(٤) ق: يقصد.

سورة نوح(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝١٤ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الآية، هذه السوره مكية. ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما أقسم أن يبدّل خيراً منهم وكانوا قد سخروا من المؤمنين، وكذّبوا بما وُعدوا به من العذاب، ذكر قصّة نوح وقومه معه. وكانوا أشدّ تمرّداً من المشركين فأخذهم الله تعالى أخذ استئصال، حتى إنه لم يبق لهم على وجه الأرض نسل. وكانوا عُبّاد أصنام كمشركي مكة. فحذّر تعالى قريشاً أن يصيبهم عذاب استئصال إن لم يؤمنوا.

---

(1) ق: الجن. مكية وهي ثمانٍ وعشرون آية.

ونوح عليه السلام أول نبّي أُرسل، ويقال له شيخ المرسلين وآدم الثاني.

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ يجوز أن تكون [«أن»] مصدرية وأن تكون تفسيرية. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: عذاب النار في الآخرة.

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِن» للتبعيض لأن الإيمان إنما يجبّ ما قبله من الذنوب لا ما بعده.

قال ابن عطية[1]: [«مِن» في «من ذنوبكم» مزيدة، وهو مذهب] كوفي.

وأقول: أخفشي لا كوفيّ؛ لأنهم يشترطون أن يكون بعد «مِن» نكرة، ولا يبالون بما قبلها من واجب أو غيره. وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف تقديره: لو كنتم تعلمون لبادرتم إلى طاعته وتقواه.

ولمّا لم يجيبوه وآذوه، شكا إلى ربّه شكوى من يعلم أن الله تعالى عالم بحاله مع قومه، لما أُمر بالإنذار، فلم يُجْدِ فيهم. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾ أي: جميع الأوقات من غير فتور ولا تعطيل في وقت، فلم يزدادوا إلا إعراضاً ونفوراً عن الحق.

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ [٥٥٧/أ] أي: ليتوبوا فتغفر لهم. ذكر المسبّب الذي هو حظّهم خالصاً ليكون أقبح في إعراضهم عنه. ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ الظاهر أنه حقيقة، سدّوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه، وتغطّوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة وبغضاً من سماع النصح ورؤية الناصح. ويجوز أن يكون ذلك كناية عن المبالغة في إعراضهم عمّا دعاهم إليه، فهم بمنزلة من سدّ مسمعه ومنع بصره.

(١) فوقها في ق: كذا.

ثم كرر صفة دعائه بياناً وتوكيداً. لمّا ذكر دعاءه عموم الأوقات ذكر عموم حالات الدعاء. و﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ يدلّ على تكرار الدعوات فلم يبيّن حالة دعائه أوّلاً.

وظاهره أن يكون دعاؤه إسراراً، لأنه يكون ألطف بهم، ولعلهم يقبلون منه، كحال من ينصح في السّر، فإنه جدير أن يُقبل منه. فلمّا لم يُجْدِ له الإسرار، انتقل إلى أشدّ منه وهو دعاؤه جهاراً صلتاً[1] بالدعاء إلى الله تعالى لا يحاشي أحداً. فلما لم يُجْدِ عاد إلى الإعلان والإسرار.

و﴿مِّدْرَارًا﴾ من الدَّر، وهو صفة يستوي فيها المذكر والمؤنث، ونصبها على الحال، ومعناه كثير الدرّ.

﴿لَا تَرْجُونَ﴾ لا تخافون، والوقار بمعنى العظمة والسلطان، والكلام على هذا وعيد وتخويف.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ جملة حالية تحمل على الإيمان بالله تعالى وإفراده بالعبادة؛ إذ في هذه الجملة الحالية التنبيه على تدريج الإنسان في أطوار، لا يمكن أن تكون إلا من خلقه تعالى. قال ابن عباس: من النطفة والعلقة والمضغة.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ الآية، لمّا نبّههم نوح عليه السلام

(١) صلتاً بالدعاء: بارزاً مجاهراً فيه.

على الفكر في أنفسهم، وكيف انتقلوا من حال إلى حال، وكانت الأنفس أقرب ما يفكّرون فيه منهم - أرشدهم إلى الفكر في العالم علوه وسفله، وما أودع تعالى في العالم العلوي من هذين النّيرين اللذين بهما قوام الوجود.

والضمير في «فيهن» عائد على السماوات.

والإنبات استعارة في الإنشاء، أنشأ آدم من الأرض وصارت ذريته منه، فصحّ نسبتهم كلهم إلى أنهم أُنبتوا منها. وانتصاب «نباتاً» بـ«أنبتكم» مصدراً على حذف الزائد، أي: إنباتاً، أو على إضمار فعل أي: فنبتّم نباتاً.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ اي: يصيّركم فيها مقبورين. ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يوم القيامة. وأكّده بالمصدر، أي: ذلك واقع لا محالة.

﴿بِسَاطًا﴾ تتقلبون عليها كما يتقلّب الرجل على بساطه. ﴿سُبُلًا﴾ طرقاً. ﴿فِجَاجًا﴾ متّسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

ولمّا أصرّوا على العصيان، وعاملوه بأقبح الأقوال والأفعال ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾. الضمير للجميع. وكان قد قال لهم ﴿وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾ [نوح]. وكان أقام فيهم ما نصّ تعالى عليه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

عَامًا ﴿١٤﴾﴾ [العنكبوت]. وكان قد وُسّع عليهم [٥٥٧/ب] في الرزق بحيث كانوا يزرعون في الشهر مرتين. ﴿وَٱتَّبَعُوا﴾ رؤساءهم وكبراءهم، وهم الذين كانوا سبب خسارهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَكَرُوا﴾ يظهر أنه معطوف على صلة «مَن». وجمع الضمير [في] «ومكروا» «وقالوا» على المعنى. ومكرهم احتيالهم في الدين، وتحريش الناس على نوح. و﴿كُبَّارًا﴾ مبالغة في الكبر كطُوّال وجُمّال.

﴿وَقَالُوا﴾ أي: كبراؤهم لأتباعهم[1]. ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: أصنامكم. وهو عام في جميع أصنامهم، ثم خصّوا بعدُ أكابر أصنامهم وهو وَدٌّ وما عطف عليه.

روي أنها أسماء رجال صالحين، كانوا في صدر الزمان، ماتوا فصُوّرت أشكالهم، لتُذكر أفعالهم الصالحة، ثم هلك من صوّرهم، وخلف من يعظّمها ثم [بقيت] كذلك حتى عُبدت. قيل: ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها - وقيل: بل الأسماء فقط - إلى قبائل من العرب؛ فكان وَدٌّ لكلبٍ بدُومة الجندل[2]، وسواع لهذيل، ويغوث لمراد، ويعوق لهمدان، ونسر لحمير، ولذلك سمّت العرب بهذه الأسماء[3].

قال أبو عثمان النّهدي: رأيت يغوث، وكان من رصاص، يُحمل على جمل أجرد لا يهيجونه ويسيرون معه حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك

---

(١) ق: لاتبعاهم.

(٢) انظر الروض المعطار ص٢٤٥.

(٣) يعني سمّت بعبد ودّ وعبد يغوث.

نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل. فينزلون حوله، ويضربون عليه[1] بناء انتهى.

ولمّا أخبر أنهم قد أضلّوا كثيراً، [دعا عليهم بالضلال فقال «ولا تزد». وهي معطوفة على «وقد أضلوا» إذ تقديره: وقال: قد أضلّوا كثيراً]. فهي [معمولة] لقال المضمرة المحكيّ بها قوله «وقد أضلّوا». ولا يشترط التناسب في عطف الجمل، بل قد تعطف جملة الإنشاء على جملة الخبر والعكس، خلافاً لمن يدّعي التناسب.

وقرىء: خطاياهم[2]، جمعاً. ﴿أُغۡرِقُواْ﴾ قال الضحّاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون بالنار من جانب. ﴿فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم﴾ تعريض بانتفاء قدرة آلهتهم على نصرهم.

ودعاء نوح عليه السلام عليهم بعد أن أوحي إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ ۝٣٦﴾ [هود]. و﴿دَيَّارًا﴾ من ألفاظ العموم التي تستعمل في النفي وما أشبهه.

ولمّا دعا على الكفّار، استغفر للمؤمنين، فبدأ بنفسه ثم بمن وجب برّه عليه ثم للمؤمنين، فكان هو ووالداه اندرجوا في المؤمنين والمؤمنات.

وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح أبٌ ما بينه وبين آدم عليه السلام. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنًا﴾ قال ابن عباس: مسجدي، وقيل: شريعتي استعار لها بيتاً، كما قالوا: قبّة[3] الإسلام. ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ دعاء لكل مؤمن ومؤمنة في كل أمّة. والتّبار: الهلاك.

(١) ق: حوله.

(٢) ق: خطياهم. وقريب منها في الرسم: خطيّاتهم، وهي قراءة، انظر البحر ٨:٣٤٣.

(٣) ق: فيه.

سورة الجن(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى
ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا
وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا
مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ
ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن
نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ
بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ
أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ
ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ
يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ
ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى
لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ

---

(١) مكية وهي ثمان وعشرون آية.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣﴾.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها [٥٥٨/أ] أنه لمّا حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان أول رسول إلى الأرض كما أنّ محمداً ﷺ آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذين[١] هو منهم عليه السلام كانوا عبّاد أصنام كقوم نوح، حتى أنهم عبدوا أصناماً مثل أصنام أولئك في الأسماء، وكان ما جاء به محمد عليه السلام من القرآن هادياً إلى الرشد، وقد سمعَتْه العرب، وتوقّف عن الإيمان به أكثرهم - أنزل الله تعالى سورة الجنّ إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب، في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيراً منهم، وأقبل إلى الإيمان. هذا وَهُمْ من غير جنس الرسول عليه السلام، ومع ذلك فبنفس[٢] ما سمعوا القرآن استعظموه، وآمنوا به للوقت، وعرفوا أنه ليس من نمط كلام الناس، بخلاف العرب؛ فإنه نزل بلسانهم، وعرفوا كونه معجزاً، وهم مع ذلك مكذّبون له ولمن جاء به حسداً وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عبادة.

و﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ في موضع المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، أي: استماع نفر من الجن. والمشهور أن هذا الاستماع هو المذكور في الأحقاف[٣]، وهي قصة واحدة، وقيل قصتان. والجن الذين أتوه بمكة جنّ نصيبين، والذين[٤]

---

(١) ق: الذي.

(٢) النفس: بمعنى عند.

(٣) انظر الآية ٢٩ وما بعدها.

(٤) ق: الذي، في الموضعين.

أتوه بنخلة جنّ نينوى[1]. والسورة التي استمعوها قال عكرمة: سورة اقرأ باسم ربك، وقيل سورة الرحمن. ولم تتعرض الآية لا هنا ولا في الأحقاف إلى أنه رآهم وكلّمهم عليه السلام. ويظهر من الحديث أن ذلك كان مرتين:

إحداهما في مبدأ مبعثه عليه السلام، وهو في الوقت الذي أخبر فيه عبدالله بن مسعود أنه لم يكن معهم ليلة الجن، وقد كانوا فقدوه عليه السلام، فالتمسوه في الأودية والشعاب، فلم يجدوه، فلما أصبح إذا هو [جاءٍ] من قِبَل حراء. وفيه[2] «أتاني داعي الجنّ، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا وأرانا آثارهم وآثار نارهم».

والمرة الأخرى كان معه ابن مسعود[3] «وقد انتدب[4] الرسول عليه السلام من يقوم معه إلى أن يتلو القرآن على الجن، فلم يقم أحد غير عبدالله فذهب معه إلى الحجون عند الشِّعب، فخطّ عليه خطّاً، وقال: لا تُجاوزه. فانحدر[عليه] عليه السلام أمثال الحجل، يجرّون الحجارة بأقدامهم، يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في دفوفهن، حتى غَشُوه فلا أراه. فقمت فأومأ إليّ بيده أن اجْلِسْ. فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع، واختفوا بالأرض حتى ما أراهم» الحديث. ويدلّ على أنهما قصّتان اختلافهم في العدد فقيل سبعة وقيل [٥٥٨/ ب] تسعة وقيل غير ذلك.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا﴾ أي: قالوا لقومهم لمّا رجعوا إليهم. ووصفوا «قرآناً» بقولهم «عجباً» وصفاً بالمصدر على سبيل المبالغة، أي: هو عجب في

(١) انظر في نصيبين ونخلة ونينوى، الروض المعطار: ٥٧٧، ٥٧٦، ٥٨٥.

(٢) أخرجه مسلم ١: ٣٣٢. من حديث ابن مسعود.

(٣) انظر مسند أحمد ١: ٤٥٨.

(٤) ق: استندب.

نفسه، لفصاحة كلامه، وحسن مبانيه، ودقّة معانيه، وغرابة أسلوبه، وبلاغة مواعظه، وكونه مبايناً لسائر الكتب. والعَجَب: ما خرج عن حدّ أشكاله ونظائره.

﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أي: يدعو إلى الصواب. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالقرآن. ولمّا كان الإيمان به متضمناً الإيمان بالله وبوحدانيّته وبراءته من الشرك، قالوا «ولن نشرك بربنا أحدا».

وقرى: وإنّه، بكسر الهمزة من قوله «وأنه تعالى» وما بعده، وهي اثنتا[(١)] عشرة آخرها: «وأنا منّا المسلمون»[(٢)]. وباقي السبعة بالفتح. فأما الكسر فواضح لأنها معطوفات على قوله «إنّا سمعنا» فهي داخلة في معمول القول. وأما الفتح فقال أبو حاتم: هو [عطف] على «أوحي» فهو كلّه في موضع رفع على ما لم يُسمَّ فاعله انتهى.

وهذا لا يصح؛ لأن من المعطوف ما لا يصحّ دخوله تحت «أوحي» وهو كلّ ما كان فيه ضمير المتكلم كقوله «وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع»[(٣)]. ألا ترى أنه لا يلائم: أوحي إليّ أنّا كنا نقعد منها مقاعد؟، وكذلك باقيها؟. وخُرّجت قراءة الفتح على أن تلك كلها معطوفة على الضمير المجرور في «به» من قوله «فآمنا به»، أي: وبأنه، وكذلك باقيها. وهذا جائز على مذهب الكوفيين وهو الصحيح.

وقد تقدّم احتجاجنا على صحة ذلك في قوله تعالى﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ

(١) ق: اثنتي.
(٢) الآية ١٤.
(٣) الآية ٩.

ﭐلۡحَرَامِۖ﴿٢١٧﴾ [البقرة]. ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: عظمته.

﴿سَفِيهُنَا﴾ هو إبليس، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه، وإبليس مقدّم السفهاء. والشّطط: التعدّي وتجاوز الحدّ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ أي: كنّا حسّنّا الظّن بالإنس والجن واعتقدنا أن أحداً لا يجترىء على أن يكذب على الله تعالى، فينسب[1] إليه الصاحبة والولد، فاعتقدنا صحة ما أغوانا به إبليس ومردته، حتى سمعنا القرآن، فتبيّنّا كذبهم.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ﴾ روى الجمهور أن الرجل [كان] إذا أراد المبيت أو الحلول في وادٍ نادى بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي، إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك. فيعتقد بذلك أن الجني الذي بالوادي يمنعه ويحميه. فروي أن الجن كانت تقول عند ذلك: لا نملك[2] لكم ولا لأنفسنا من الله تعالى شيئاً.

﴿وَأَنَّهُمۡ﴾ أي: كفار الإنس. ﴿ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ﴾ أيها الجن، يخاطب به بعضهم بعضاً. و«ظنّوا» و«ظننتم» كلّ منهما يطلب «أن لن يبعث» فالمسألة من باب الإعمال، و«أن» هي المخففة من الثقيلة. وقيل: الضمير في «وأنهم» يعود على الجنّ، والخطاب في «ظننتم» لقريش. وهذه والتي قبلها هما من الموحى به لا من كلام الجن.

﴿أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا﴾ [٥٥٩/أ] الظاهر أنه بعثة الرسالة إلى الخلق، وهو أنسب لما تقدّم من الآي ولما تأخر.

---

(١) ق: فنسب.

(٢) ق: أدفع.

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أصل اللمس المسّ، ثم استعير للتّطلب والمعنى: طلبنا بلوغ السماء، لاستماع كلام أهلها. ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ﴾ الظاهر أن وجد هنا بمعنى صادف وأصاب. وتعدّت إلى واحد، والجملة من «ملئت» في موضع الحال. وأجيز[1] أن يكون تعدّت إلى اثنين، «فملئت» في موضع المفعول الثاني.

والظاهر أن المراد بالحرس الملائكة، أي: حافظين من أن تقربها الشياطين. ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب وهو ما يُرجم به الشيطان إذ استمع. وقوله ﴿فَوَجَدْنَٰهَا﴾ يدلّ على أنها كانت قبل ذلك يطرقون السماء، ولا يجدونها قد ملئت.

و﴿مَقَٰعِدَ﴾ جمع مقعد. وقد فسّر الرسول عليه السلام صورة قعود الجن أنهم كانوا واحداً فوق واحد، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه، فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهّان، ويزيدون معها، ثم تزيد الكهّان الكلمة مئة كذبة.

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ﴾ ظرف زمان للحال، و«يستمع» مستقبل، فاتُّسع في الظرف واستعمل للاستقبال. ﴿رَّصَدًا﴾ أي: يرصده فيحرقه، هذا لمن استمع. وأما السمع فقد انقطع كما قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

ولمّا رأوا ما حدث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قالوا ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ وهو كفرهم بهذا النبي فينزل بهم الشّر ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ﴾ فيؤمنون به فيرشدون. وحين ذكروا الشّر، لم يسندوه إلى الله تعالى، وحين ذكروا

(١) ق: وأخبر.

الرَّشَد، أسندوه إليه تعالى.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أخبروا بما هم عليه من الصلاح وغيره. و﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون صالح. وتقع «دون» في مواضعَ موقعَ غير، فكأنه قال: ومنّا غير صالحين.

﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ﴾ أي: لن نعجزه هرباً من الأرض إلى السماء. و«في الأرض» و«هرباً» حالان أي: قارّين أو هاربين.

و﴿ٱلْهُدَىٰٓ﴾ هو القرآن. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن. ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف. والبخس: قال ابن عباس: نقص الحسنات. والرَّهَق: زيادة في السيئات.

و﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أي: الكافرون الحائدون عن الحق. والظاهر أن ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ - إلى آخر الشرطين - من كلام الجنّ. و«من أسلم»[1] مخاطبة من الله تعالى للرسول عليه السلام، ويؤيده ما بعده من الآيات.

﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ الآية، هذا من جملة الموحى المندرج تحت «أوحي إليّ»[2]. و«أن» مخففة من الثقيلة. والضمير في «استقاموا» عائد على القاسطين، والمعنى: على طريقة الإسلام والحق لأنعمنا عليهم. [وقيل: الضمير في «استقاموا» عائد على الخلق كلهم] و«أن» هي المخففة من الثقيلة. ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [٥٥٩/ ب] كناية عن توسعة الرزق لأنه أصل المعاش.

---

(١) هذه العبارة من كلام ابن عطية ملخصاً، انظر البحر ٨: ٣٥٠.

(٢) الآية ١.

﴿لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ أي: لنختبرهم كيف يشكرون ما أنعم عليهم به. و«صَعَداً» مفعول «يسلكه». و«عذاباً» مفعول من أجله.

﴿ٱلۡمَسَٰجِدَ﴾ هي البيوت المعدّة للصلاة والعبادة في كل ملّة. قال ابن جبير: نزلت لأن الجن قالت: يا رسول الله، كيف نشهد الصلاة معك على نأينا عنك؟ فنزلت الآية[١] ليخاطبهم بها، على معنى أن عبادتكم حيث كنتم مقبولة.

و﴿عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ هو محمد ﷺ. ﴿يَدۡعُوهُ﴾ أي: يدعو الله. ﴿كَادُواْ﴾ أي: كاد الجن ينقضّون عليه لاستماع القرآن.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾ أي: أعبده. قال للجن عند ازدحامهم متعجبين: «ليس ما ترون من عبادة الله تعالى بأمر يُتعجّب منه، إنما يُتعجّب، ممّن يعبد غيره»[٢].

﴿قُلۡ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المزدحمين عليك، وهم إما الجن وإما المشركون، على اختلاف القولين في ضمير «كادوا». ثم أمره تعالى أن يقول لهم ما يدلّ على تبرُّئه من القدرة على إيصال خير أو شرّ إليهم. وجعل الضرّ مقابلاً للرشد تعبيراً به عن الغيّ إذ ألغى ثمرته الضرّ. ويمكن أن يكون المعنى: ضرّاً ولا نفعاً ولا غيّاً ولا رشداً، فحذف من كلٍّ ما يدلّ مقابله عليه.

نفى عليه السلام أن يجيره أحد مما يريد الله تعالى به[٣]، ونفى أن يجد

---

(١) انظر لباب النقول ص٢٢٢.

(٢) انظر الكشاف ٤ : ١٧١، ولم يخرّجه ابن حجر في الكافي الشّاف.

(٣) فوقها في ق: كذا.

ملتحداً أي: مرجعاً من دون الله.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منقطع أي: لكن إن بلّغتُ رحمني بذلك. وجمع «خالدين» حملاً على معنى «مَن» وذلك بعد الحمل على اللفظ في قوله «يعص» و«فإن له».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ﴾ «حتى» هنا حرف ابتداء يصلح أن يجيء بعدها جملة الابتداء والخبر. ومع ذلك فيها معنى الغاية. ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر وإظهار الله له عليهم. و«ناصراً» و«عدداً» تمييزان.

﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾ قال مكحول: لم ينزل هذا إلاّ في الجن، أسلم منهم من وُفّق، وكفر من خُذل كالإنس. قال: وبلغ من بايع النبي ﷺ ليلة الجن سبعين ألفاً[1]، وفرغوا عند انشقاق الفجر. ثم أمره تعالى أن يقول لهم إنه لا يدري وقت حلول ما وُعدوا به، أهو قريب أم بعيد. و«إن» نافية. و«أدري» فعل قلبي معلّق عن جملة الاستفهام وما بعدها، فالجملة في موضع نصب. و﴿أَمۡ يَجۡعَلُ﴾ وما بعده مقابل لقوله «أقريب» لأنّ معناه: أم بعيد يجعل ربي له أمداً.

(١) انظر بالنسبة للعدد ما ورد في تفسير الآية الأولى وقارن مع ها هنا ومع ما ورد في البحر ٨: ٣٤٧، ٣٥٥.

﴿عَـٰلِمُ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هو عالم. ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ﴾ عام، و﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ استثناء منقطع كأنه قال: فلا يظهر على غيبه المخصوص أحداً إلا من ارتضى من رسول، فله حفظة يحفظونه من شرّ مردة الإنس والجنّ.

ولأبي عبد الله الرازي كلام في علم الغيب مذكور [٥٦٠/أ] هو والردّ عليه في البحر[١]. قال ما نصّه[٢]: واعلم أنه لا بدّ من القطع بأنه ليس المراد من هذه الآية أنه لا يُطلع أحداً على شيء من المغيّبات إلا الرّسل. والذي يدلّ عليه وجوه:

أحدها أنه ثبت بالأخبار القريبة من التواتر أن شقّاً[٣] وسطيحاً كانا كاهنين، يخبران بظهور محمد ﷺ قبل زمان ظهوره. وكانا في العرب مشهورين بهذا النوع من العلم، حتى رجع إليهما كسرى في تعرّف أخبار رسولنا عليه السلام.

وثانيها إطباق الأمم على صحّة علم التعبير فيخبر المعبّر عمّا يأتي في المستقبل ويكون صادقاً.

وثالثها أن الكاهنة البغدادية التي نقلها السلطان سنجر بن ملكشاه[٤] من بغداد إلى خراسان، سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها ووقعت على وفق كلامها. وقد رأيت أناساً محقّقين في علوم الكلام والحكمة، حكوا

---

(١) انظر ٨: ٣٥٦.
(٢) بل نقله وتصرّف فيه، انظر تفسير الرازي ٣٠: ١٦٩.
(٣) ق: شقيحاً.
(٤) ق: مالك شاه.

عنها أنها أخبرت عن الأشياء الغائبة على سبيل التفصيل وجاءت كذلك. وبالغ أبو البركات صاحب المعتبر في شرح حالها في كتاب التعبير وقال: فحصت عن حالها منذ ثلاثين سنة حتى تيقّنت أنها كانت تخبر عن المغيّبات أخبارا[1] مطابقة موافقة.

ورابعها أنّا نشاهد [ذلك في] أصحاب الإلهامات الصادقة، وليس هذا مختصاً بالأولياء فقد يوجد في السّحرة. وفي الأحكام النجومية ما يوافق الصدق وإن كان الكذب يقع فيه[2] كثيراً. وإذا كان ذلك مشاهداً محسوساً فالقول بأن القرآن يدلّ على خلافه ممّا يجرّ الطعن إلى القرآن وذلك باطل، فعلمنا أن التأويل الصحيح ما ذكرناه انتهى وفيه بعض تلخيص.

وإنما أوردنا كلام هذا الرجل في هذة المسألة لننظر فيما ذكر من تلك الوجوه. أما قصّة شق[3] وسطيح فليس فيها شيء من الإخبار بالغيب لأنه ممّا يخبر به رئيّ[4] الكّهان من الشياطين مسترقة السمع كما جاء في الحديث[5] أنهم يسمعون الكلمة، ويكذبون ويلقون إلى الكهنة، ويزيد الكهنة للكلمة مئة كذبة. وليس هذا من علم الغيب، إذ تكلّمت به الملائكة، وتلقّفها الجنّي، وتلقّفها منه الكاهن، فالكاهن لم يعلم الغيب.

وأما تعبير المنامات فالمعبّر غير المعصوم لا يعبّر بذلك على سبيل البتّ والقطع، بل على سبيل التحّزر والتخمين، فقد يقع ما يعبّر وقد لا يقع.

---

(١) ق: أخبار.

(٢) ق: منه.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) ق: ربن.

(٥) انظر البخاري ٣: ١١٧٥، و٤: ١٨٠٤.

وأما الكاهنة البغدادية وما حكى عنها فحسبه عقلاً أن يستدلّ بأحوال امرأة لم يشاهدها. ولو شاهد ذلك لكان في عقله ما يجوز أنه لبّس عليه هذا وهو العالم المنصف الذي طبق ذكره الآفاق، وهو الذي شكّك في دلائل الفلاسفة وسامهم[١] الخسف. وأما نقل الملك سنجر الكاهنة إلى خراسان وإشهارها [٥٦٠/ب] أنها تعلم الغيب، وأنه سألها عن أشياء في المستقبل فأخبرت بها، فإن الملوك لهم أذهان لطيفة ومقاصد خفيّة وفِكَر دقيقة في تدبير المملكة، فاستصحب هذه المرأة ليوهم بذلك أهل مملكتِه وحاشيتَه[٢] أن عنده من يعلم الغيب، وأخبرهم بما رتّب معها. فَمَن عندَه من أهل مملكتة خائفون دائماً أن يظهر عنهم ما يشوش على الملك. ولذا استخدم عقلاء الملوك المنجّمين وضُرّاب الرمل، وإن كانوا يعتقدون أنهم ليس لهم اطّلاع على شيء من الغيب، ذلك إيهام منهم لأهل مملكتهم، فإنهم رعاع همج يصدّقون بالمستحيلات[٣] وتؤثر فيهم الأوهام. وأما حكايته عن صاحب المعتبر فهو يهودي أظهر الإسلام، وهو منتحل طريقة الفلاسفة.

وأما مشاهدته أصحاب الإلهامات الصادقة فلي من العمر نحو من ثمانين سنة أصحب العلماء، وأتردد إلى من ينتمي إلى الصلاح، فلم أَرَ أحداً منهم صاحب إلهام صادق.

وأما الكرامات فإني لا أشكّ في صدور شيء منها، لكن ذلك على سبيل النّدرة، وذلك فيمن سلف من صلحاء هذه الأمة. وربما قد يكون في أعصارنا من تصدر منه الكرامة، ولله تعالى أن يخصّ من شاء بما شاء.

---

(١) ق: شكل.. وساقهم.

(٢) ق: حاشيتة ومملكته.

(٣) ق: فالمستحيلات.

﴿لِيَعْلَمَ﴾ الضمير عائد على الرسول عليه السلام؛ إذ تقدّم ذكره في قوله ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الجن] أن الملائكة الحفظة الرصد النازلين بين يدي جبريل عليه السلام وخلفه قد أبلغوا رسالات ربهم. ﴿وَأَحَاطَ﴾ فيه ضمير فاعل عائد على «ربهم»، وكذلك الضمير في «أحصى». و«عدداً» تمييز.

سورة المزمل(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ
وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا
وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨
رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ
هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا
وَجَحِيمٗا ۝١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ
كَثِيبٗا مَّهِيلًا ۝١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ۝١٥
فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ۝١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ
ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن
شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩ ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها أنه عليه السلام لمّا جاءه الملك وهو في غار حراء وحاوره بما حاوره، رجع إلى خديجة، وقال زمّلوني زمّلوني. فعلى هذا نزلت «يا أيها المزمل» قالت عائشة: نودي بذلك لأنه كان في وقت نزول الآية متزمّلاً بكساء(2). ومناسبتها لآخر ما قبلها أنَّ في آخر ما قبلها ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ۝٢٦ ﴾ [الجن]

---

(1) مكية وآياتها عشرون.

(2) انظر البخاري ٤ : ١٨٧٦، واللباب ص٢٢٣.

الآيات، فأتبعه بقوله «يا أيها المزّمل» إعلامًا بأنه عليه السلام ممّن ارتضاه من الرسل وخصّه بخصائص وكفاه شرّ أعدائه.

قال الزمخشري[١]: «نصفه» بدل من الليل. و«إلاّ قليلا» استثناء من النصف، كأنه قال: قم أقل من نصف الليل. [والضمير في «منه» و«عليه» عائد على النصف. والمعنى التخيير بين أمرين: بين أن يقوم أقلّ من نصف الليل] على البتّ، وبين أن يختار أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف والزيادة عليه [٥٦١/أ] انتهى.

فلم ينتبه للتكرار الذي يلزمه في هذا القول، لأنه على تقديره: قم أقلّ من نصف الليل، كان قوله: أو انقص من نصف الليل، تكراراً. وإذا كان «نصفه» بدلاً من قوله «إلا قليلا» فالضمير في «نصفه» إما أن يعود على المبدل منه أو على المستثنى منه وهو الليل، لا جائز أن يعود على المبدل منه، لأنه يصير استثناء مجهول من مجهول؛ إذ التقدير: إلا قليلاً نصف القليل، وهذا لا يصحّ له معنى ألبتّة. وإن عاد الضمير على الليل، فلا فائدة في الاستثناء من الليل؛ إذ كان يكون أخصر وأوضح وأبعد عن الالتباس أن يكون التركيب: قم الليل نصفه. [وقد أبطلنا قول من قال: «إلا قليلا» استثناء من البدل وهو «نصفه» وأن التقدير: قم الليل نصفه] إلا قليلاً منه، أي: من النصف. وأيضاً ففي دعوى أن «نصفه» بدل من «إلا قليلا» والضمير في «نصفه» عائد على الليل، إطلاق القليل على النصف. ويلزم أيضاً أن يصير التقدير: إلا نصفه فلا تقمه، أو انقص من النصف الذي لا تقومه، أو زد على النصف الذي لا تقومه[٢]. وهذا معنى لا يصحّ وليس المراد من الآية

---

(١) الكشاف ٤: ١٧٥.

(٢) ق: تقمه، في الموضعين.

قطعاً.

وقال الزمخشري[1]: وإن شئت جعلت «نصفه» بدلاً من «قليلا» فكان تخييراً بين ثلاث: بين قيام النصف بتمامه، وبين قيام الناقص منه، وبين قيام الزائد عليه. وإنما وصف النصف [بالقلّة بالنسبة إلى الكلّ. فإن شئت قلت: لمّا كان معنى «قم الليل إلا قليلا نصفه» - إذا أبدلت النصف] من الليل -: قم[2] أقل من نصف الليل، رجع الضمير في «منه» و«عليه» إلى الأقل من النصف. فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل، أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه قليلاً، فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث. ويجوز إذا أبدلت «نصفه» من «قليلا» وفسّرته به أن تجعل «قليلا» الثاني بمعنى نصف النصف وهو الرّبع، كأنه قيل: انقص منه قليلا نصفه، وتجعل المزيد على هذا القليل - أعني الربع - نصف الربع، كأنه قيل: أو زد عليه قليلاً نصفه. ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث، فيكون تخييراً بين النصف والثلث والربع انتهى.

وما أوسع خيال هذا الرجل! فإنه يجوّز ما يقرب وما يبعد، والقرآن لا ينبغي بل [لا] يجوز أن يُحمل [إلّا] على أحسن الوجوه التي في كلام العرب. وممّن نصّ على جواز أن يكون «نصفه» بدلاً من «الليل» أو من «قليلا» الزمخشري كما ذكرنا، وابن عطية أورده مورد الاحتمال.

---

(١) الكشاف ٤: ١٧٥.

(٢) فوقها في ق: كذا.

وأبوا البقاء قال[١]: أشبه بظاهر[٢] الآية أن يكون بدلاً من «قليلا» لأنه قال «أو انقص منه قليلا أو زد عليه» والهاء فيهما للنصف. فلو كان الاستثناء من النصف لصار التقدير: قم نصف الليل إلا قليلا أو انقص منه قليلا. والقليل المستثنى غير مقدر، فالنقصان [منه] لا يُعقل انتهى.

وأما الحوفي فأجاز [٥٦١/ب] أن يكون بدلاً من «الليل» ولم يذكر غيره.

وقال ابن عطية: ويحتمل عندي قوله «إلا قليلا» أن يكون استثناء من القيام، فيجعل الليل اسم جنس ثم قال «إلا قليلا» أي: الليالي التي تخلّ بقيامها عند العذر البيّن ونحوه. وهذا النظر يحسن مع القول بالنّدب انتهى.

وهذا خلاف الظاهر. وقيل: المعنى: أو نصفه، كما تقول: أعطه درهماً درهمين ثلاثة، تريد: أو درهمين أو ثلاثة انتهى. وفيه حذف حرف العطف من غير دليل عليه.

قال التبريزي: الأمر بالقيام والتخيير في الزيادة والنقصان وقع على الثلثين من آخر الليل؛ لأن الثلث الأول وقت العتمة والاستثناء وارد على المأمور به فكأنه قال: قم ثلثي الليل إلا قليلا. ثم جعل «نصفه» بدلاً من «قليلا» فصار القليل مفسّراً بالنصف من الثلثين وهو قليل من الكلّ. فقوله «أو انقص منه» أي: من المأمور به وهو قيام الثلثين إلا قليلا[٣]، أي: ما دون نصفه، «أو زد عليه» أي: على الثلثين. فكان التخيير في الزيادة والنقصان واقعاً على الثلثين.

(١) إملاء ٢: ٢٧١.

(٢) ق: بهذه.

(٣) ق: قيام الثلث قليلاً.

وقال أبو عبدالله الرازي[1]: قد أكثر الناس في تفسير هذه الآية، وعندي فيه وجهان ملخصان، وذكر كلاماً طويلا ملفّقاً يوقف عليه في كتابه.

والذي يظهر أنّ المأمور [به] أولاً قيام جميع الليل إلا ما ينطلق عليه «قليل» كساعة أو غيرها. ثم قوله «نصفه» على إضمار «قم» ثانياً. وجاء بعد ذلك التّخيير بين قليل من النصف أو زائد على النصف. فالمستثنى أولاً غير أحد المخيّر فيه وهو النقص من النصف، فقد اختلفت جهتا القليل الأول بالنسبة إلى جميع الليل، والثاني بالنسبة إلى النصف.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هو القرآن. وثقله بما اشتمل عليه من التكاليف الشاقّة كالجهاد ومداومة الأعمال الصالحة.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعاته، لأنها تنشأ شيئاً بعد شيء.

وقال ابن عباس: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، وما كان قبلها فليس بناشئة.

وقرىء: وَطاءً، والمعنى أنها أشدّ مواطأة أي: يواطىء القلب فيها اللسان.

﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أي: أشد استقامة على الصواب، لأن الأصوات هادئة، فلا يضطرب على المصلّي ما يقرؤه.

﴿سَبۡحًا﴾ أي: تصرّفاً وتقلّباً في المهمّات، كما يتردّد السّابح في الماء.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: دُمْ على ذكره. وهو يتناول كل ذكر من تسبيح

---

(١) انظر تفسيره ٣٠: ١٧٢ وما بعدها.

وتهليل[١] وغيرهما. وانتصب «تبتيلا» على أنه مصدر على غير المصدر[٢]، وحسّن ذلك كونه فاصلة.

وقرىء: ربُّ، بالرفع خبر مبتدأ محذوف. وبالجرّ على البدل. ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ لأنه من انفرد بالألوهية لم يُتّخذ وكيلاً إلاّ هو.

﴿وَٱصۡبِرۡ[٣] عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ﴾ [٥٦٢/أ] قيل: منسوخ بآية السيف[٤].

﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ قيل: نزلت في صناديد قريش المستهزئين. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾ أي: غضارة العيش وكثرة المال والولد. والنّعمة بالفتح: التّنعم، وبالكسر: الإنعام وما يُنعم به، وبالضم: المسّرة[٥]. يقال: نُعْم ونُعْمة عين[٦]. ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ وعيد لهم بسرعة الانتقام منهم. والقليل موافاة آجالهم، وقيل وقعة بدر.

﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ﴾ أي: ما يضادّ نعمتهم. ﴿أَنكَالٗا﴾ قيوداً في أرجلهم. ﴿وَجَحِيمٗا﴾ ناراً شديدة الاتّقاد[٧].

﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾ قال ابن عباس: شوك من نار يعترض في حلوقهم لا

---

(١) ق: وتهاليل، وفوقها: كذا.

(٢) سماه سيبويه المصدر الذي جاء على غير الفعل، ومثّل له بهذه الآية. انظر الكتاب ٤: ٨١.

(٣) ق: فاصبر.

(٤) الآية ٥ من التوبة.

(٥) ق: المبرة.

(٦) أي: قرّتها، وفوقها في ق: كذا. انظر الصحاح والقاموس: نعم.

(٧) ق: الإيقاد.

يخرج ولا ينزل.

﴿تَرْجُفُ﴾ تضطرب. ﴿كَثِيبًا﴾ أي: رملاً مجتمعاً. ﴿مَّهِيلًا﴾ أي: رخواً ليّناً.

ولمّا هدّد المكذبين بأهوال يوم القيامة ذكّر بحال فرعون وكيف أخذه الله إذ كذّب موسى عليه السلام، وأنه إن دام تكذيبهم أهلكهم الله تعالى فقال ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾. والخطاب عامّ للأسود والأحمر، وقيل لأهل مكة. ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ كما قال ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء].

والوبيل: الرديء العقبى، من قولهم: كلأ وبيل أي: وخم لا يُستمرأ لثقله، أي: لا ينزل في المريء.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ﴾ الآية، «يوماً» منصوب بـ«تتّقون» على المجاز، أي: كيف تستقبلون[1] هذا اليوم العظيم الذي من شأنه كذا وكذا. والضمير في «يجعل» لليوم، أسند إليه الجعل لمّا كان واقعاً فيه على سبيل المجاز. والجملة من قوله «يجعل» صفة ليوم. والشِّيب: مفعول ثانٍ[2] لـ«يجعل» أي: يصيّر الصبيان شيوخاً، وهو كناية عن شدة هول ذلك اليوم. ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشيب[3] نواصي الأطفال. والأصل فيه أن الهموم إذا تفاقمت أسرعت بالشيب.

والظاهر أن الضمير في «وعده» عائد على الله[4]، فهو من إضافة المصدر

(١) ق: يستعملون.

(٢) ق: بأن.

(٣) ق: يصيب.

(٤) ق: اليوم.

إلى الفاعل، وإن لم يَجْرِ له ذكر قريب(١)، لأنه معلوم أن الذي هذه مواعيده هو الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة، أو(٢) الأنكال وما عطف عليه، والأخذ الوبيل، أو آيات القرآن المتضمّنة شدة يوم القيامة. ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾ بالتقرب إليه بالطاعة.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿أَنَّكَ تَقُومُ﴾ أي: تصلي. وهذه الآية نزلت تخفيفاً لما كان [من] استمراره في أمر(٣) قيام الليل، إما على الوجوب وإما على النّدب، على الخلاف الذي سبق(٤). ﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ﴾ أي: زماناً هو أقل من ثلثي الليل. واستعير الأدنى - وهو الأقرب - للأقلّ، لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قلّ ما بينهما من الأحياز، وإذا بَعُدت كثر ذلك. وقرىء: نصفه، بالنصب والجرّ، فأما قراءة الكسر فمعطوف(٥) على «ثلثي الليل». ومن قرأ بالنصب [٥٦٢/ب] فمعطوف

(١) قريباً.
(٢) ق: أي.
(٣) ق: لما كان استمرار استعماله في أمر.
(٤) انظر شرح الآيات ٢-٤ من السورة.
(٥) ق: فمغني.

على «أدنى». فأما الجرّ فالمعنى أنه قيام مختلف: مرة أدنى من الثلثين ومرة أدنى من النصف ومرة أدنى من الثلث، وذلك لتعذّر معرفة البشر بمقادير الزّمان، وتقدير الزّمان حقيقةً هو لله تعالى.

﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ﴾[1] أي: رجع بكم من الثقل إلى الخفّة وأمركم[2] بقيام ما تيسّر. «وطائفة» معطوف على الضمير المستكنّ في «تقوم» وحسّنه الفصل بينهما. ﴿وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ دليل على أنه لم يكن فرضاً على الجميع؛ إذ لو كان فرضاً عليهم لكان التركيب: والذين معك، إلا إن اعتقد أن منهم من كان يقوم في بيته ومنهم من يقوم معه، فتُمْكِنُ إذ ذاك الفرضيّة في حق الجميع. ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ أي: هو وحده تعالى العالم بمقادير الساعات. ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ﴾ عبّر بالقراءة عن الصلاة، لأنها بعض أركانها، أي: فَصَلُّوا ما تيسّر عليكم من صلاة [الليل]. وإذا كان المراد: فاقرؤوا في الصلاة ما تيسّر، فالظاهر أنه لا يتعين ما يقرأ، بل إذا قرأ ما تيسّر له وسَهُل عليه أجزأه وقدّره أبو حنيفة بآية.

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ بيان لحكمة النسخ وهي تعذّر القيام على المرضى والضاربين في الأرض للتجارة، والمجاهدين في سبيل الله. ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ كرّر ذلك على سبيل التوكيد. ثم أمر بعمودي الإسلام البدني والمالي. ثم قال «وأقرضوا الله» العطف يشعر بالتغاير؛ فقوله ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمرٌ بأداء الواجب، ﴿وَأَقۡرِضُواْ﴾ أمرٌ بالصدقات التي يُتطوع بها. واحتمل «هو» أن يكون فصلاً، وأن يكون توكيداً لضمير النصب في ﴿تَجِدُوهُ﴾. و﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ﴾ أمرٌ بالاستغفار.

---

(١) ق: عليهم.

(٢) ق: وأمرهم.

سورة المدثر(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنّ في [ما] قبلها «وذرني والمكذبين»(٢) وفيه «إن هذه تذكرة»(٣)، فناسب «يا أيها المدثر قم فأنذر» وناسب ذكر يوم القيامة بعدُ وذِكْر بعض المكذبين في قوله «ذرني ومن خلقت وحيدا»(٤).

﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ المعنى قم قيام تصميم وجدّ. ﴿ فَأَنذِرْ ﴾ أي: حذِّر عذاب الله تعالى ووقائعه. والإنذار عامّ لجميع الناس، وبَعْثُه إلى الخَلْق.

﴿ فَكَبِّرْ ﴾ أي: فعظّم كبرياءه.

﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ الظاهر أنه أمرٌ بتطهير الثياب من النجاسات، لأن طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة.

---

(١) مكية وهي ست وخمسون آية.

(٢) الآية ١١ من المزمّل.

(٣) الآية ١٩ منها.

(٤) الآية ١١.

﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ العذاب. ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: اهجر ما يؤدي إليه. [٥٦٣/أ] وقرىء بضم الراء[١].

﴿وَلَا تَمۡنُن﴾ قال ابن عباس: لا تُعْطِ عطاء لتُعطى أكثر منه، من قولهم: منّ إذا أعطى. وقال الحسن: لا تمنن على الله بجدّك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب. والجملة حالية أي: مستكثراً.

﴿وَلِرَبِّكَ﴾ أي: لوجه ربك. ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ أمره بالصبر، فيتناول الصبر على تكاليف النبوة، وعلى أداء طاعات الله تعالى، وعلى أذى الكفار.

قال الزمخشري[٢]: والفاء في قوله «فإذا نقر» للتسبّب كأنه قيل: فاصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير، يلقون فيه عاقبة أذاهم، وتلقى فيه عاقبة صبرك. [انتهى].

والنقر: الصوت. و﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ فاعول منه، كالجاسوس مأخوذ من التجسّس.

﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ
صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ
ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾
عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ

(١) يعني في «الرّجز».
(٢) الكشاف ٤: ١٨١.

كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾.

﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ لا خلاف أنها نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي[١]. فروي أنه كان يلقّب بالوحيد[٢]، أي: لا نظير له في ماله وشرفه في بيته. والظاهر انتصاب «وحيد» على الحال من الضمير المحذوف العائد على «مَن» أي: خلقته منفرداً ذليلاً قليلاً لا مال له ولا ولد، فآتاه الله تعالى المال والولد، فكفر نعمته، وأشرك به، واستهزأ بدينه.

﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾ قال ابن عباس: كان له بين مكة والطائف إبل وحجور[٣] ونَعَم وجِنان وعبيد وجَوارٍ.

﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ أي: حضوراً معه بمكة لا يظعنون عنه لغناهم، فهو مستأنس بهم، منهم خالد وهشام وعمارة، وقد أسلموا، والوليد والعاصي وقيس وعبد شمس.

﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ أي: وطّأت له وهيّأت، وبسطت له بسطاً حتى أقام ببلده مطمئناً، يُرجع إلى رأيه. وقال ابن عباس: وسّعت له ما بين اليمن إلى الشام.

﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ أي: على ما أعطيته من المال والولد.

---

(١) انظر القرطبي ١٩: ٧١.

(٢) ق: بالتوحيد.

(٣) الحجور: جمع حَجْرة وهي الأنثى من الخيل.

﴿كَلَّآ﴾ قطع لرجائه وردع، أي: ليس يكون ذلك[١] مع كفره بالنعم. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للرّدع على وجه الاستئناف، كأنّ قائلاً قال: لِمَ لا يُزاد؟. فقال: إنه عاند آيات المنعم، وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ أي: سأكلّفه وأعنته[٢] بمشقة وعسر ﴿صَعُودًا﴾ عقبة في جهنم كلما وُضع عليها شيء من الإنسان ذاب ثم يعود. والصَّعود في اللغة: العقبة الشاقة.

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ روي أن الوليد حاجَّ أبا جهل وجماعة من قريش في أمر القرآن وقال: إن له لحلاوة، وإن أصله لعَذْق[٣]، وإن فرعه لَجَناة[٤]، وإنه ليَحْطِم ما تحته، وإنه ليعلو وما يُعلى. فخالفوه وقالوا: هو شعر. فقال: والله ما[٥] هو بشعر، قد عرفنا الشعر هَزَجَه [ورَجَزَه] وبسيطه. قالوا: فهو كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكّهان. قالوا: هو مجنون. قال: والله ما هو بمجنون [٥٦٣/ب] لقد رأينا الجنون وخَنْقَه[٦]. قالوا: هو سحر. قال: أمّا هذا فيشبه أنه سحر[٧].

---

(١) ق: كذلك.

(٢) ق: وأغشيه.

(٣) ق: لمغدق. وتصح أيضاً: لَغَدق، والغَدَق: الماء الكثير. والعَذَق: النخلة.

(٤) يشبّهه بالنخلة التي ثبت أصلها وقوي، وطاب فرعها إذا جُني.

(٥) ق: وما.

(٦) فوقها في ق: كذا.

(٧) انظر السيرة النبوية ١: ٢٨٨.

﴿فَكَّرَ﴾ أي: في القرآن ومن أتى به. ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: في نفسه ما يقول.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قيل: «قُتل» لُعن، وقيل: غُلب وقُهر وذلّ[١].

﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ أي: قطب وكلح لمّا ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقول. وناسب العطف بالواو. وكان العطف في «فقال» بالفاء دلالة على التعقيب[٢]، لأنه لما خطر بباله هذا القول بعد تطلّبه[٣]، لم يتمالك أن نطق به من غير تمهّل. ومعنى ﴿يُؤْثَرُ﴾ أي: يُروى ويُنقل. ومعنى ﴿إِلَّا سِحْرٌ﴾ أي: يشبه السحر.

﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ تأكيد لما قبله، أي: ملتقط من أقوال الناس.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قاله الزمخشري[٤]: بدل من «سأرهقه صعودا» انتهى. ويظهر أنهما جملتان، اعتقبت كل واحدة[٥] منهما - على سبيل التوعّد للعصيان[٦] - الذي قبل كل واحدة منهما. فتوعّد على كونه عنيداً لآيات الله بإرهاقه[٧] صعوداً، وعلى قوله بأن القرآن سحر يؤثر بإصلائه سقر.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ تعظيم لهولها وشدّتها. ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ أي: لا تبقي على من أُلقي فيها، ولا تَذَرُ غاية من العذاب إلا أَوْصَلَتْه إليها.

---

(١) ق: وذلك. وفوقها: كذا.

(٢) ق: التعقب.

(٣) ق: بطلبه.

(٤) الكشاف ٤ : ١٨٣.

(٥) ق: واحد.

(٦) ق: العصيان.

(٧) ق: بإرهاق.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ قال ابن عباس: معناه مغيّرة للبشرات محرقة للجلود مسوّدة لها. والبشر: جمع بشرة. تقول العرب: لاحَتِ النارُ الشيءَ إذا أحرقَتْه وسوَّدَتْه.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ التمييز محذوف، والمتبادر إلى الذهن أنه مَلَك. ألا ترى العرب وهم الفصحاء كيف فهموا منه أن المراد مَلَك حين سمعوا ذلك؟ فقال أبو جهل لقريش[1]: ثَكِلَتْكُم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة[2] يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم[3]، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم؟. فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحي، وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر، فاكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ أي: وما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون. وأنزل الله تعالى في أبي جهل ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ [القيامة].

﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سبب فتنة. فـ«فتنة» مفعول ثانٍ لـ«جعلنا» أي: جعلنا تلك العدّة وهي تسعة عشر سبباً لفتنة الكفار، فليست «فتنة» مفعولاً من أجله. وفتنتهم هو كونهم أظهروا مقاومتهم والطماعية في مغالبتهم، وذلك على سبيل الاستهزاء، فإنهم مكذّبون بالبعث وبالنار وبخزنتها.

﴿لِيَسْتَيْقِنَ﴾ هذا مفعول من أجله وهو متعلّق بـ«جعلنا» لا بـ«فتنة».

---

(١) انظر اللباب ص٢٢٤. والقرطبي ١٩: ٨٠.

(٢) انظر في هذه التسمية السيرة النبوية ٢: ١٢٢ (الحاشية٢).

(٣) الدَّهْم العدد الكثير.

و﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى، إذ هم عالمون أن القرآن هو من عند الله، إذ هم يجدون ذلك في كتبهم المنزلة، ويعلمون أن الرسول عليه السلام لم يقرأها [٥٦٤/أ] ولا قرأها عليه أحد. ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ توكيد لقوله «ليستيقن» إذ إثبات اليقين ونفي الارتياب أبلغ وآكد في الوصف، لسكون النفس السكون التام.

﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ﴾ لمّا سمعوا هذا العدد، لم، يهتدوا، وحاروا فاستفهم بعضهم بعضاً عن ذلك استبعاداً أن يكون هذا من عند الله. وسمّوه ﴿مَثَلًا﴾ استعارة من المثل المضروب استغراباً منهم لهذا العدد. والمعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟. ومرادهم إنكار أصله وأنه ليس من عند الله تعالى.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الآية، الكاف في محل نصب. و«ذلك» إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهدى، أي: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى يضلّ الكافرين فيشكون، فيزيدهم كفراً وضلالاً، ويهدي المؤمنين فيزيدهم إيماناً. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ إعلام بأن الأمر فوق ما يُتوهّم، وأن الخبر إنما هو عن بعض القدرة لا عن كلها. والسماء عامرة بأنواع من الملائكة. وفي الحديث[1]: «أَطَّتِ السماء وحُقَّ لها أن تَئِطّ، ما فيها موضع [شبر] إلا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته لله تعالى ساجداً».

﴿وَمَا هِىَ﴾ أي: النار. ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ أي: الذين أُهْلكوا للتذكر والاعتبار.

---

(١) رواه أنس بن مالك مرفوعاً وإسناده ضعيف. انظر النهاية ١: ٥٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢: ٥٣٢.

﴿ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا ﴾ قال الزمخشري(١): «كلا» إنكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون انتهى.

ولا يسوغ هذا في حق الله تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر، ثم ينكر أن تكون لهم ذكرى. وإنما قوله «للبشر» عام مخصوص.

﴿ وَٱلْقَمَرِ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴾ أي: ولّى. ويقال: دبر وأدبر بمعنى واحد. أقسم تعالى بهذه الأشياء تشريفاً لها وتنبيهاً على ما بها وفيها من عجائب الله وقدرته وقوام الوجود بإيجادها.

﴿ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴾ الظاهر أن الضمير في «إنها» عائد على النار. و«لإحدى الكبر» الدّواهي الكبر، أي: لا نظير لها، كما تقول: هو أحد الرجال وهي إحدى النساء. و«الكبر» العظائم من العقوبات.

(١) الكشاف ٤ : ١٨٦.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ هو محمد ﷺ. فهو منصوب بفعل مضمر أي: نادِ أو بلّغْ أو أعلنْ.

والظاهر أن ﴿لِمَن﴾ بدل من «البشر» بإعادة الجارّ و«أن يتقدم» منصوب بـ«شاء» والفاعل بـ«شاء» ضمير يعود على «مَن»، وقيل: الفاعل ضمير يعود على الله تعالى، أي: لمن شاء هو - أي الله تعالى - أن يتقدّم عن طاعة الله تعالى أو يتأخر عنها.

الظاهر العموم في «كل نفس». و﴿رَهِينَةٌ﴾ بمعنى مرهونة، كالنّطيحة بمعنى المنطوحة، أنّث مراعاة لقوله «كل نفس» كما ذكّر في قوله ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾ [الطور] مراعاة لـ«امرىء» وهو ذكر.

﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾[١] استثناء منقطع. ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ خبر. «يتساءلون» حال.

﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ خطاب للمجرمين. أطلع الله المؤمنين على أحوال [٥٦٤/ب] المجرمين، فسألوهم سؤال توبيخ وتحسير، وإلاّ فهم عالمون ما الذي أدخلهم النار. والجواب أنهم لم يكونوا متّصفين بخصائل الإسلام من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ثم ارتقوا من ذلك إلى الأعظم وهو الكفر والتكذيب بيوم الجزاء و﴿الْيَقِينُ﴾ الموت.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: لا شفاعة شافعين لهم فتنفعهم، من باب[٢]:

---

(١) إذا كان الاستثناء منقطعاً فالتقدير: لكن أصحاب اليمين في جنات. وإذا كان متصلاً فالتقدير: هم في جنات. انظر البحر ٨: ٣٧٩-٣٨٠.

(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٦٦.

على لا حبٍ لا يُهتدى بمناره [إذا سافَهُ العَوْد النَّباطيُّ جَرْجَرا

أي: لا منار له فيُهتدى به.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ وهي مواعظ القرآن التي تذكر الآخرة. ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أي: والحال المنتظرة هذه الموصوفة.

ثم شبّههم بالحمر المستنفرة في شدة إعراضهم ونفارهم عن الإيمان وآيات الله تعالى. وقرىء بكسر الفاء، اسم فاعل. وبفتحها، اسم مفعول.

وقال ابن الأعرابي: القسورة: أول الليل. والمعنى: فرّت من ظلمة الليل. ولا شيء أشدّ نفاراً من حمر الوحش، ولذلك شبّهت بها العرب الإبل في سرعة سيرها وخفّتها. وقيل: القسورة: الرّماة والصيادون. وقيل: الأسد[١]، قاله جماعة من اللغويين.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾ أي: من المعرضين عن عظات الله تعالى وآياته. ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: منشورة غير مطوية تُقرأ كالكتب التي يُكاتَب بها، أو كتبت في السماء، نزلت بها الملائكة ساعة كُتبت رطبة لم تُطْوَ بعدُ. وذلك أنهم قالوا للرسول عليه السلام: لن نتبعك حتى يؤتى كل واحد منّا بكتب من السماء عنوانها: من رب العالمين إلى فلان بن فلان، يؤمر[٢] فيها باتّباعك. فنزلت هذه الآية[٣].

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إعراضهم عن التذكرة. ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾

---

(١) ق: أو الأسد.

(٢) ق: نؤمن.

(٣) انظر اللباب ص ٢٢٤.

ذكّر في «إنه»[١] وفي «ذَكَره» لأن التذكرة ذِكرْ.

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: أهل أن يُتّقى ويُخاف، وأهل أن يغفر.

(١) ق: آية. وفوقها وفوق «ذكره»: كذا.

سورة القيامة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ۝٤ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝١٥ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝١٩﴾.

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها أنّ في آخر ما قبلها ﴿كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ۝٥٣﴾ [المدثر]، وفيها كثير من أحوال القيامة، فذكر هنا يوم القيامة وجملاًمن أحوالها. أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهوله. و﴿لَا أُقْسِمُ﴾ قيل: «لا» نافية، نفى أن يقسم بالنفس اللّوامة وأقسم بيوم القيامة(٢). ﴿اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوه. وجواب القسم ما دلّ عليه قوله «أيحسب الإنسان» تقديره: ليبعثنّ. و﴿الْإِنسَانُ﴾ هنا الكافر المكذّب بالبعث. قيل: نزلت(٣) في أبي جهل كان يقول: أيزعم [٥٦٥/أ] محمد أن يجمع الله هذه العظام بعد

(١) مكية وآياتها أربعون.

(٢) انظر تفصيل ذلك في البحر ٨: ٣٨٤.

(٣) انظر أسباب النزول ص٢٩٦.

بلاها وتفرّقها، ويعيدها خلقاً جديداً؟. و«أن» هي المخففة من الثقيلة سدّت مسدّ مفعولي «أيحسب».

لمّا ذكر الإخبار بقوله «بلى قادرين» - أي[١]: نجمعها قادرين - انتقل من هذا الإخبار إلى الإخبار عن الإنسان من غير إبطال لمضمون الجملة السابقة وهي: نجمعها قادرين، ليبيّن ما هو عليه[٢] الإنسان من عدم الفكر في الأخرة وأنه معنيّ بشهواته. ومفعول «يريد» محذوف يدل عليه التعليل في «ليفجر» تقديره: بلوغ شهواته.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾ أي: متى يوم القيامة؟ سؤال استهزاء وتكذيب وتعنيت. و«يوم» مبتدأ، و«أيان» اسم استفهام في موضع الخبر، والجملة في موضع نصب بـ«يسأل».

وقرىء: فإذا بَرَق. وبَرَق معناه شقّ[٣]. ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ «خسف» يكون لازماً ومتعدّياً، تقول: خسف القمر: ذهب نوره، وخسفه[٤] الله أذهب نوره.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ لم تلحق التاء في «جُمع» لأنّ تأنيث الشمس مجاز، أو لتغليب القمر وهو مذكّر. وجَمْعهما: إلقاؤهما في النار وقيل غير ذلك.

﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ مبتدأ. و«أين» ظرف في موضع الخبر. والجملة في موضع نصب محكيّة بـ«يقول».

---

(١) ق: أن.
(٢) ق: ما عليه هو.
(٣) في الصحاح «برق»: إذا قلت: بَرَق البصر بالفتح فإنما تعني بريقه إذا شَخَصَ.
(٤) ق: وأخسفه.

والظاهر أن قوله ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ هو من كلام الله تعالى لا حكاية عن الإنسان. ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: إلى حُكْمه.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال ابن عباس: «بما قدّم» في حياته، «وأخّر» من سنّة يُعمل بها بعده.

﴿بَصِيرَةٌ﴾ خبر[1] عن «الإنسان» أي: شاهد. والهاء للمبالغة. و«على نفسه» متعلّق به.

والمعاذير عند الجمهور الأعذار، فالمعنى: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه، فإنه هو الشاهد عليها والحجة البيّنة عليها.

وقال الزمخشري[2]: قياس معذرة معاذر، فالمعاذير ليس بجمع معذرة إنما هو اسم جمع لها، ونحوه المناكير في المنكر انتهى.

وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جمع التكسير، فهو كمذاكير وملاميح[3]، والمفرد منها لمحة وذكر. ولم يذهب أحد إلى أنهما من أسماء الجموع، بل قيل إنهما جمع للمحة وذكر على غير قياس، أو هما جمع لمفرد لم يُنطق به، وهو مذكار وملمحة. وأجاز النحويون فيما كان على حركات مَفاعل أن تلحقها الياء[4]، فقالوا في جمع صيرف: صياريف، وفي سابغة: سوابيغ.

---

(١) ق: خبره.

(٢) الكشاف ٤: ١٩١.

(٣) ق: وملامح.

(٤) ق: التاء.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ في صحيح البخاري[١] أنه عليه السلام كان يعالج من التنزيل شدّة، وكان ربما[٢] يحرك شفتيه مخافة أن يذهب عنه ما يوحى إليه لحينه فنزلت. والضمير في «به» للقرآن دلّ عليه مساق الآية.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي: في صدرك. ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي: قراءته، أي: قراءتك إياه.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: الملك المبلّغ عنا. ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ [٥٦٥/ب] أي: بذهنك وفكرك، أي:[٣] فاستمع قراءته، قاله ابن عباس. ويظهر أن المناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنه تعالى[٤] لما ذكر منكر البعث والقيامة معرضاً عن آيات الله تعالى ومعجزاته، وأنه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه، ذكر حال من يثابر على تعلّم آيات الله تعالى وحفظها وتلقّفها، والنظر فيها وعرضها على من ينكرها رجاء قبوله إياها. فظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله ومن يرغب عنها. [من الكامل]

[ونَذيمُهم وبهم عرفنا فضله] وبضـدِّهـا تتبيّـن الأشيـاء[٥]

ولما كان عليه السلام لمثابرته على ذلك كان يبادر للتحفظ بتحريك[٦] لسانه، أخبره تعالى أنه[٧] يجمعه له ويوضّحه.

(١) انظر ٤: ١٨٧٦.
(٢) ق: مما.
(٣) ق: لي.
(٤) ق: يقال.
(٥) البيت للمتنبي في ديوانه ١: ٢٢.
(٦) ق: تحريك.
(٧) ق: أن.

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾
وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا
صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ
لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً
فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ
الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾.

﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ لمّا فرغ من خطابه عليه السلام رجع إلى حال الإنسان السابق ذكره، المنكر البعث، وأن همّه إنما هو في تحصيل حطام الدنيا الفاني لا في تحصيل ثواب الآخرة، إذ هو منكر لذلك. وقرىء: تحبون، وتذرون، بتاء الخطاب لكفار قريش. و«كلا» ردٌّ عليهم وعلى أقوالهم، أي: ليس كما زعمتم، وإنما أنتم قوم غلبت عليكم محبّة شهوات الدنيا حبّاً تتركون معه الآخرة والنظر في أمرها.

ولمّا وبخّهم بحبّ العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة، تخلّص إلى شيء من أحوال الآخرة فقال «وجوه يومئذ ناضرة». وعبّر بالوجه عن الجملة.

وقوله «إلى ربها» جملة هي في موضع خبر بعد خبر. ومسألة النظر ورؤية الله تعالى مذكورة في علم أصول الدين.

﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾ يجوز أن [يكون] «وجوه» مبتدأ خبره «باسرة»، و«تظن» خبر بعد خبر. وأن تكون «باسرة» صفة، و«تظن» الخبر. والفاقرة: قال ابن المسيب: قاصمة الظهر. و«تظن» بمعنى توقن.

﴿ كَلَّا ﴾ ردع لهم عن إيثار الدنيا على الآخرة وتذكير بما يؤولون إليه من

الموت الذي تنقطع العاجلة عنده وينتقل منها إلىالآجلة. والضمير في «بلغت» عائد على النفس الدالّ عليها سياق الكلام. ذكّرهم تعالى بصعوبة الموت وهو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي. و﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ جمع ترقوة وهي عظام الصدر. ولكل إنسان ترقوتان وهو موضع الحشرجة. وهو استفهام استبعاد وإنكار، أي: قد بلغ مبلغاً لا أحد يرقيه، كما تقول عند اليأس: من الذي يقدر أن يَرْقي هذا المشرف على الموت؟. ويحتمل أن يكون القائل الملائكة، أي: من يرقى بروحه إلى السماء أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ قاله ابن عباس.

﴿وَظَنَّ﴾ أي: المريض. ﴿أَنَّهُ﴾ أي: ما نزل به. ﴿ٱلْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا التي هي محبوبته. والظّن هنا على بابه. وقيل: فراق الروح الجسد.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ قال ابن عباس: استعارة لشدّة كرب الدنيا في آخر يوم منها، وشدّة [٥٦٦/أ] كرب[1] الآخرة في أول يوم منها، لأنه بين الحالين[2] قد اختلطا به. وجواب «إذا» محذوف تقديره: وجد ما عمله في الدنيا من خير وشر.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ إلى موعد ربك. ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ المرجع والمصير. و«المساق» مَفْعَل من السّوق، فهو اسم مصدر، إما إلى جنة وإما إلى نار.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ الجمهور أنها نزلت في أبي جهل وكادت تصرّح في قوله «يتمطى» فإنها كانت مشيته ومشية قومه بني مخزوم، وكان يكثر منها. «فلا صدق» بالرسول والقرآن ولا صلّى. نفى عنه الزكاة والصلاة وأثبت له

---

(١) ق: وفي شدة كذب.

(٢) ق: في أول الحالين.

التكذيب. وحَمْل «فلا صدق» على نفي التصديق بالرسالة يقتضي أن يكون «ولكن كذب» تكراراً، ولزم أن يكون «لكن» استدراكاً بعد «ولا صلّى» لا بعد «فلاصدّق»، لأنه كان يتساوى الحكم في «فلا [صدق] وفي «كذّب» ولا يجوز ذلك إذ لا تقع لكنْ بين متوافقَيْن. «وتولّى» عن رسول الله ﷺ وكذّب بما جاء به.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: إلى قومه. ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر في مشيته.

روي أن رسول الله ﷺ لقي[(١)] أبا جهلٍ يوماً في البطحاء وقال له[(٢)]: «إن الله يقول لك: أولى لك فأولى» فنزل القرآن على نحوها. وتقدّم الكلام على «أولى» في القتال[(٣)]. وتكراره هنا مراراً مبالغة في التهديد والوعيد.

ولمّا ذكر حاله في الموت وما كان من حاله في الدنيا قرّر له أحواله في بدايته، ليتأمّلها، فلا ينكر معها البعث من القبور. ﴿يُمْنَىٰ﴾ أي: النّطفة يمنيها الرجل.

﴿فَخَلَقَ﴾ أي: الله منه بشراً مركّباً من أشياء مختلفة ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: سوّاه شخصاً مستقلاً.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ أي: النوعين أو المزدوجين من البشر: الذكر والأنثى.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ﴾ أي: الخالق المسوّي بقادر. وفيه توقيف وتوبيخ لمنكر البعث. بلى قادر على أن يحيي الموتى.

---

(١) ق: ليت. وفوقها: كذا.

(٢) رواه ابن جرير ٢٩: ١٢٤ عن قتادة، وانظر القرطبي ١٩: ١١٤.

(٣) انظر تفسير الآية ٢٠ من القتال.

سورة الإنسان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم
بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ
قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا
فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا
رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن
فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم
مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ هذه السورة مكية وقيل غير

(١) مدنية وهي إحدى وثلاثون آية.

مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. و﴿هَلْ﴾ حرف استفهام فإن دخلت على الجملة الإسمية لم يمكن[1] تأويله بقد، لأنّ قد من خواصّ الفعل. وإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. و«الإنسان» هنا جنس بني آدم. والحين الذي مّر عليه إما حين عدمه، أو حين كونه نطفة، وانتقاله من رتبة إلى رتبة، حتى جين إمكان خطابه، فإنه في تلك المدة لا ذكر له. وسمّي إنساناً باعتبار من صار [٥٦٦/ب] إليه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو جنس بني آدم، لأن آدم لم يُخلق من نطفة. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ وهو وصف للنطفة. قال ابن عباس: هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا في الرحم فخلق الإنسان منهما. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره في الدنيا بالتكليف. وامتنّ تعالى عليه بهاتين الصفتين، وهما كناية عن التمييز والفهم.

ولمّا جعله بهذه المثابة، أخبر تعالى أنه هداه السبيل، أي: أرشده إلى الطريق، وعرّفه مآل طريق النجاة ومآل [طريق] الهلاك.

وانتصب ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ على الحال من ضمير المنصب في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾.

ولمّا ذكر الفريقين، أتبعهما الوعيد والوعد. ﴿مِن كَأْسٍ﴾ «من» لابتداء الغاية. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

و﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾. و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هنا هم المؤمنون. ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ أي: يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا، فهو يجري[2] عند

---

(١) ق: دخل.. لم يكن.

(٢) أي: الماء.

كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر[١].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة أنه نذر.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة، قاله ابن عباس. ﴿مِسْكِينًا﴾ وهو الطّواف المنكسر[٢] في السؤال. ﴿وَيَتِيمًا﴾ وهو الصبي الذي لا أب له. ﴿وَأَسِيرًا﴾ الاسير معروف وهو من الكفار.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ هو على إضمار القول. ﴿جَزَآءً﴾ أي: بالأفعال. ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي ثناءً بالأقوال.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ نسبة العُبوس إلى اليوم مجاز. قال ابن عباس: يعبس[٣] الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي: شديداً. يقال: يوم قمطريراً أي: شديد العبوسة. واقمطرّ فهو مقمطرّ إذا كان صعباً شديداً.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ بدل عبوس الكافر. ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحاً بدل حزنه.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بستاناً فيه كل مأكل هنيء. ﴿وَحَرِيرًا﴾ فيه ملبس بهيّ. وناسب ذكر الحرير مع الجنّة، لأنهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعري.

﴿لَا يَرَوْنَ﴾ أي: في الجنة. ﴿شَمْسًا﴾ أي: حرّ شمسٍ ولا شدة برد، أي:

(١) انظر القرطبي ١٩: ١٢٦.
(٢) ق: المنكشف.
(٣) ق: يعيش.

لا شمس فيها فتُرى فيؤذي حرُّها، ولا زمهريراً يُرى فيؤذي[١] بشدّته، أي: هي معتدلة الهواء. وفي الحديث[٢] «هواء الجنة سجسج لا حرٌّ ولا قُرٌّ».

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه ﴿وَجَزَىٰهُم﴾. و﴿لَا يَرَوْنَ[٣]﴾ حال ثانية.

﴿وَدَانِيَةً﴾ حال ثالثة. و﴿ظِلَـٰلُهَا﴾ فاعل «بدانية». ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ قال مجاهد: إن كان الإنسان قائماً تناول الثمر دون كلفة، وإن كان قاعداً أو مضجعاً فكذلك، فهذا تذليلها لا يَردُّ اليد عنها بُعدٌ ولا شوك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَا۠﴾ الآية، لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم.

وقدّم ذكر الآنية التي يسقون منها. والآنية: جمع إناء. القارورة [٥٦٧/أ] إناء رقيق صافٍ توضع فيه الأشربة ويكون من زجاج. وقرىء: قواريراً، بتنوينهما، ويمنع صرفهما[٤]، وصَرْف[٥] الأول ومَنْع الصرف في الثاني. وكذلك الخلاف في ﴿سَلَـٰسِلَا۟ ﴿٤﴾﴾ [الإنسان]. والأصل ألّا يُصرف، لأنه جمع منتهاه، وصُرف للمناسبة إذ بعد «سلاسل» قوله «أغلالاً»، وقبل هذين وبعدهما مصروفات.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾. وسلسبيل اسمها. والسلسبيل والسَّلسل

---

(١) ق: فيأتي.
(٢) النهاية ٢: ٣٤٣.
(٣) ق: يخافون.
(٤) ويمنع صرفهما: مكررة في ق.
(٥) ق: ويمنع صرف.

والسَّلسال: ما كان من الشراب غاية في السلاسة.

وتقدّم شرح ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾[١] وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون.

وجواب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾. ومفعول فعل الشرط محذوف حُذف اختصاراً، والمعنى: وإذا رميت ببصرك هناك. و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ العامل فيه[٢] [«رأيت»]. وقيل: التقدير: وإذا رأيت ماثَمَّ، فحذف كما حذف في قوله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام] أي: ما بينكم.

وقرىء: خضر واستبرق، [برفعهما. «فخضر» صفة لقوله «ثياب»، و«استبرق»] معطوف على «ثياب». وقرىء بجرّهما، «فخضر» صفة «لسندس». و«سندس» اسم جنس وصف بالجمع، و«استبرق» معطوف على «خضر» على حذف مضاف تقديره: وثيابُ إستبرق، والهمزة فيه للقطع. والاستبرق تقدم شرحه[٣].

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر ﴿مِن ذَهَبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الكهف] أي: يُحلَّون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنساء في الدنيا. ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ «طهوراً» صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم. وطهارتها لكونها لم يؤمر باجتنابها، وليست كخمر[٤] الدنيا التي هي في الشرع رجس.

---

(١) انظر شرح الآية ١٧ من الواقعة.
(٢) ق: فيه فيه، وفوقها: كذا.
(٣) انظر شرح الآيه ٣١ من الكهف.
(٤) ق: بخمر.

﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي لأعمالكم الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي مقبولاً مُثاباً. [قال قتادة]: لقد شكر الله سعياً قليلاً.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ
وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

ولمّا ذكر أولاً حال الإنسان وقسمه[1] إلى العاصي والطائع [وأمعن] فيما أعدّه للطائع، ذكر ما شرّف به نبيه وحبيبه محمداً عليه السلام فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ الآية، وأمره بالصبر لحكمه. وجاء التوكيد «بنحن» بعد التوكيد «بإن» لمضمون الخبر ومدلول المخبر عنه، وأكّد الفعل بالمصدر.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل، قال: إن رأيت محمداً يصلّي لأطأن على عنقه. فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النّهي عن طاعتهما، لأنه يستلزم النّهي عن طاعة أحدهما النهي عن طاعتهما، لأنّ في طاعتهما طاعة أحدهما.

ولو قال[3]: لا تضرب زيداً وعمراً، لجاز أن يكون نهياً عن ضربهما

---

(١) ق: وقسمته.

(٢) انظر اللباب ص٢٢٥. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٨٩٦.

(٣) ق: وقال.

جميعاً لا عن ضرب أحدهما والكفور وإن كان آثماً فإن فيه مبالغة في الكفر. ولما كان [من] يوصف بالكفور[1] مبايناً للموصوف بمجرد الإثم صلح التغاير فحسن العطف. وقيل: الآثم عُتبة والكفور الوليد، لأنّ عُتبة كان [٥٦٧/ب] ركّاباً للإثم متعاطياً لأنواع الفسوق، وكان الوليد غالباً في الكفر شديد الشكيمة في العتوّ.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ يعني صلاة الصبح. ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى الكفرة. ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامهم وهو ما يستقبلون من الزمان. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقل لليوم لشدّته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب به حامله.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: تبديل أمثالهم بإهلاكهم. ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ممن يطيع.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة، أو آيات القرآن، أو جملة الشريعة، ليس على جهة التخيير، بل على جهة التّحذير من اتّخاذ غير سبيل الله.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ مذهب أهل السنّة أنه نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ وهم المؤمنون. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بإضمار فعل يفسّره معنى ما بعده، تقديره: ويعذّب الظالمين.

---

(١) ق: الكفور.

سورة المرسلات(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤)
فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨)
وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢)
لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) ﴾ .

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ(2) نَشْرًا ﴾ الآية هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جداً، وهو أنه ذكر أنه تعالى يرحم من يشاء ويعذب الظالمين، فهذا وعد منه صادق فأقسم على وقوعه في هذه فقال ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧) ﴾ [المرسلات].

ولمّا كان للمقسَم به موصوفات قد حُذفت، وأقيمت صفاتها مقامها، وقع الخلاف في تعيين تلك الموصوفات فقال ابن مسعود: «والمرسلات» الملائكة، أُرسلت بالعُرف ضد النُّكْر. ﴿ فَالْعَاصِفَاتِ ﴾ قال ابن مسعود: الشديدات الهبوب. ﴿ وَالنَّاشِرَاتِ ﴾ قال السّدي: الملائكة تنشر صحف العباد بالأعمال. ﴿ فَالْفَارِقَاتِ ﴾ قال ابن مسعود: الملائكة تفرّق بين الحق والباطل والحلال والحرام. ﴿ فَالْمُلْقِيَاتِ ﴾ قال ابن عباس: الملائكة تلقي ما حملت من

---

(1) مكية وهي خمسون آية.

(2) ق: فالناشرات.

الوحي إلى الأنبياء عليهم السلام.

والذي يظهر أن المقسَم به شيئان، ولذلك جاء العطف بالواو في ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ﴾ والعطف بالواو يشعر بالتغاير، بل هو موضوعه في لسان العرب. وأما العطف بالفاء إذا كان في الصفات، فيدل على أنها راجعة لموصوف واحد كقوله «والعاديات» «فالموريات» «فالمغيرات»[١] فإنها راجعة إلى العاديات وهي الخيل. وإذا تقرّر هذا فالظاهر أنه أقسم أولاً بالرياح، قال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ۝٥٧﴾ [الأعراف] فهي مرسلاته، ويدلّ عليه عطف الصفة بالفاء كما قلنا. وإن العصف[٢] من صفات الريح في عدة [٥٦٨/أ] مواضع من القرآن. والقَسَم الثاني فيه ترقٍّ إلى أشرف من المقسم به الأول، وهم الملائكة. ويكون «فالفارقات» «فالملقيات» من صفاتهم كما قلنا في عطف الصفات. وإلقاؤهم للذكر - وهو ما أنزل الله تعالى - يصح إسناده إليهم.

وما ذُكر من اختلاف المفسرين في المراد بهذه الأوصاف ينبغي أن يُحمل على التمثيل لا على التعيين. وجواب القسم وما عُطف عليه: «إنما توعدون». و«ما» موصولة بمعنى الذي.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي: أُذهب نورها فاستوت مع جرم السماء.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ صار فيها فروج بانفطارها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ فرّقتها [الرياح] وذلك بعد التسيير. وقيل: كونها هباء.

(١) العاديات ١-٣.

(٢) ق: العطف.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ[١]﴾ أي: بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعظيم لذلك اليوم وتعجيب ممّا يقع فيه من الهول والشدّة. والتأجيل، أي: ليوم عظيم أُخّرت.

﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: بين الخلائق، وهو بدل من «لأي يوم».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ مبالغة في عظم ذلك اليوم على الخلائق. وجواب إذا محذوف لدلالة[٢] ما قبله عليه، تقديره: إذا كان كذا وكذا وقع ما توعدون.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ (١٧) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (١٨)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٍ
مَّعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥)
أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ (٣٠)
لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ (٣٣)
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٣٧) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٠) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٥) كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٦) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ

---

(١) ق: وقت.

(٢) ق: لجواب.

لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ الأمم التي تقدمت قريشاً أجمعها. ويكون «الآخرين» من تأخّر من قريش وغيرهم. وعلى التشريك يكون «الأولين» قوم نوح وإبراهيم عليهما السلام ومن كان معهم، و«الآخرين» قوم فرعون ومن تأخّر وَقَرُبَ من مدّة الرسول عليه السلام. والإهلاك هنا إهلاك عذاب ونكال، ولذلك جاء «كذلك نفعل بالمجرمين» فأتى بالصفة المقتضية لإهلاك العذاب وهي الأجرام.

ولمّا ذكر إفناء الأولين والآخرين ذكر ووقف على أصل الخلقة التي يقتضي النظر فيها تجويز البعث. ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ أي: ضعيف وهو ماء الرجل والمرأة.

﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرّحم. ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: عند الله وهو وقت الولادة. وقرىء: فقدرنا، بالتشديد والتخفيف.

قال أبو عبيدة: الكفات: الوعاء، أي: تكفت [الخلق] أحياءً على ظهرها وأمواتاً في بطنها.

وانتصب ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ بفعل يدلّ عليه ما قبله.

﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثابتات. ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ مرتفعات. ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم﴾ جعلناه سقياً لمزارعكم ومنافعكم.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ الآية، يقال للمكذبين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ أي: من العذاب.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أمرٌ، تكراراً أو بياناً للمنطلَق إليه. [وبفتح اللام][1] كأنهم لمّا أُمروا امتثلوا، فانطلقوا إذ لا يمكنهم التأخير، إذ صاروا مضطرين إلى الانطلاق. ﴿ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ قال عطاء: هو دخان جهنم، روي أنه يعلو من ثلاثة مواضع [٥٦٨/ب] يظن الكافر أنّه مُغْنٍ من النار فيهرعون إليه، فيجدونه على أسوأ وصف.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفي لمحاسن الظلّ. ﴿وَلَا يُغْنِى﴾ أي: ولا مغنٍ عنهم من حرّ اللهب شيئاً.

﴿إِنَّهَا تَرْمِى﴾ الضمير في «إنها» لجهنم. ﴿بِشَرَرٍ﴾ جمع شرارة[2]. ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ كالدار العظيمة المشيدة.

وقرىء: جمالات، بضم الجيم وكسرها. والجمالات: قال ابن عباس: هو قُلوس السفن وهي حبالها[3] العظام إذا جُمعت. والصفر تشبيه بلون الشرر.

وقرىء: يوم، بالرفع مبتدأ وخبر. وبالنصب فيكون «هذا» إشارة إلى الرّمي بالشرر، و«يوم» منصوب باسم الإشارة.

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على «ولا يؤذن» داخل في حيّز نفي الإذن [أي]: فلا إذن فاعتذار. ولم يجعل الاعتذار متسبباً عن الإذن فينصب.

وقال ابن عطية: ولم ينصب في جواب النّفي لتشابه رؤوس الآي،

(١) انظر البحر ٨: ٤٠٦.

(٢) ق: شررة.

(٣) ق: قلوص السفن وهي جباله.

والوجهان جائزان انتهى.

فجعل سبب امتناع النصب هو تشابه رؤوس الآي وقال: الوجهان جائزان. فيظهر من كلامه استواء الرفع والنصب، وأن معناهما واحد. وليس كذلك؛ لأن الرفع كما ذكرنا لا يكون متسبباً بل صريح عطف. والنصب يكون فيه متسبباً فافترقا.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ خطاب للكفار. ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ قوم نوح وغيرهم من الكفار الذين تقدم زمانهم على زمان المخاطبين، أي: جمعناكم للفصل بين السعداء والاشقياء.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ [كَيْدٌ]﴾ أي: في هذا اليوم كما كان لكم] في الدنيا ما تكيدون به دين الله وأولياءه. ﴿فَكِيدُونِ﴾ اليوم. وهذا تعجيز [لهم] وتوبيخ.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ خطاب للمؤمنين في الآخرة على إضمار القول. ويدلّ عليه ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟﴾ خطاب للكفار في الدنيا. ﴿قَلِيلًا﴾ أي: زماناً قليلاً، إذ قصارى أكلكم وتمتّعكم الموت. وهو خطاب تهديد لمن أجرم من قريش وغيرهم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ من قال إنها مكية قال: هي في قريش. ومن قال إنها مدنية هي في المنافقين.

وجاء في هذه السورة بعد كل جملة قوله ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ لأن كل جملة منها فيها إخبار الله تعالى عن أشياء وبأشياء من أحوال الآخرة، وبتقريرات من أحوال الدنيا. فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الآخرة.

والضمير في «بعده» عائد على القرآن. والمعنى أنه تضمّن من الإعجاز والبلاغة والإخبار بالمغيّبات وغير ذلك ممّا احتوى عليه، ما لم يتضمّنه كتاب إلهيّ. فإذا كانوا مكذّبين به، فبأيّ حديث بعده يصدقون به، أي: لا يمكن تصديقهم بحديث بعد أن كذبوا بهذا الحديث الذي هو القرآن.

سورة النبأ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦ ﴾.

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وروي أنه عليه السلام لما بُعث، جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون: ما الذي أتى به؟ ويتجادلون فيما بُعث به فنزلت[2]. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة: لما ذكر «فبأي حديث»[3] أي: بعد هذا الحديث وهو القرآن، وكانوا يتجادلون فيه ويسائلون عنه، قال «عم يتساءلون». والاستفهام عن هذا فيه تفخيم وتهويل وتقرير وتعجيب، كما تقول: أيّ رجل زيد؟ وزيدٌ ما زيد؟. والضمير في «يتساءلون» لأهل مكة. ثم أخبر تعالى أنهم يتساءلون عن النبأ العظيم، وهو أمر رسول الله ﷺ وما جاء به من القرآن العظيم. و«عمّ» متعلق بـ«يتساءلون». ومن قرأ: عمّه، بالهاء في الوصل، أجرى الوصل مجرى

---

(١) مكية وآياتها أربعون.

(٢) انظر اللباب ص٢٢٦.

(٣) الآية الأخيرة من المرسلات.

الوقف. و«عن النبأ» متعلّق بمحذوف أي: يتساءلون عن النبأ.

﴿كَلَّا﴾ ردع للمتسائلين. وهذا التكرار توكيد في الوعيد وحذف ما يتعلّق به العلم على سبيل التهويل، أي: سيعلمون ما يحلّ بهم.

ثم قرّرهم تعالى على النظر في آياته الباهرة وغرائب مخلوقاته التي أبدعها من العدم الصّرف، وأن النظر في ذلك يفضي إلى الإيمان بما جاءت به الرسل من البعث والجزاء فقال «ألم نجعل الأرض مهادا» فبدأ بما هم دائماً يباشرونه. والمهاد: الفراش الموطّأ.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: ثبّتنا الأرض بالجبال كما يُثبَّت البيت بالأوتاد، قال الأفوه الأودي[1]: [من البسيط]

والبيت لايُبْتَنى إلاّ له عَمَدٌ ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أي: أنواعاً في اللون والصورة واللسان.

﴿سُبَاتًا﴾ سكوناً[2] وراحة. سبت الرجل: استراح وترك الشغل.

﴿لِبَاسًا﴾ أي: تستترون به عن العيون فيما لا تحبون أن يُظهر عليه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ﴾ قابل النوم بالنّهار إذ فيه اليقظة. «معاشا» وقت عيش تتصرّفون فيه في حوائجكم.

﴿سَبْعًا﴾ سماوات. ﴿شِدَادًا﴾ محكمة الخلق لا تتأثر بمرور الإعصار إلا إذا أراد الله تعالى.

---

(١) ديوانه ص١٠.
(٢) ق: سكوتاً.

﴿سِرَاجًا﴾ هو الشمس. ﴿وَهَّاجًا﴾ حارّاً مضطرم الاتّقاد[1].

﴿مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ قال ابن عباس: الرياح لأنّها تعصر السحاب. جعل الإنزال منها لمّا كانت سبباً فيه. ﴿ثَجَّاجًا﴾ منصبّاً بكثرة ومنه[2] «أفضل الحجّ العجّ والثّج» أي: رفع الصوت بالتلبية وصبّ دماء الهدي.

﴿حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ بدأ بالحب لأنه الذي يتقوّت به كالحنطة والشعير، وثنّى بالنّبات فشمل كل ما ينبت من شجر وحشيش، ودخل فيه الحب.

﴿أَلْفَافًا﴾ [٥٦٩/ب] أي: ملتفة.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ هو يوم القيامة يفصل فيه بين الحق والباطل. ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ أي: في تقدير الله تعالى وحكمه حدّاً تؤقّت به الدنيا، وتنتهي عنده.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من «يوم الفصل». ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور إلى الموقف. ﴿أَفْوَاجًا﴾ أمماً كل أمة بإمامها.

﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي: تنشقّ حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدران[3].

---

(١) ق: الإيقاد.

(٢) ق: الفجّ. أخرجه الترمذي ٣: ١٧٥ من حديث أبي بكر.

(٣) ق: الجدرات.

﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: فكانت شيئاً كلا شيء.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ الآية، «مرصاداً» مفعال من الرصد يرصد من حقّت عليه كلمة العذاب.

﴿مَئَابًا﴾مرجعاً لهم ويجوز أن يتعلق «للطاغين» بـ«مرصاداً»، ويجوز أن يتعلق بـ«مآباً». و﴿لَّبِثِينَ﴾ حال من «الطاغين». و«أحقاباً» نصب على الظرف.

وقال الزمخشري[(١)]: وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حَقِبَ عامُنا: إذا قلّ مطره وخيره، وحَقِب فلان: إذا أخطأه[(٢)] الرزق، فهو حَقِبٌ، وجَمْعه أحقاب، فينتصب حالاً عنهم، يعني لا بثين فيها حَقِبين جَحِدين[(٣)]. وقوله «لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً» تفسير له، والاستثناء منقطع، يعني لا يذوقون فيها برداً وروحاً ينفس عنهم حرّ النار، ولا شراباً فيسكن من عطشهم، ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً انتهى.

وكان قد قدّم قبل هذا الوجه ما نصّه[(٤)]: ويجوز أن يراد: لابثين فيها أحقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً [إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلّون بعد الأحقاب غير الحميم والغسّاق من جنس آخر من العذاب انتهى. وهذا الذي قاله هو قول للمتقدمين.

(١) الكشاف ٤: ٢٠٩.

(٢) ق: أخطأ.

(٣) جحدين: جمع جَحِد وهو الضيّق القليل الخير.

(٤) الكشاف ٤: ٢٠٩.

قال ابن عطية وقال آخرون: إنما المعنى: لا بثين فيها احقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً]، فبهذه الحال يلبثون ثم يبقى العذاب سرمداً وهم يشربون أشربة جهنم.

والذي يظهر أن قوله «لا يذوقون» كلام مستأنف وليس في موضع الحال، و«إلا حميماً» استثناء متّصل من قوله «ولا شراباً» وأن «أحقاباً» منصوب على الظرف حملاً على المشهور من لغة العرب، لا منصوب على الحال على تلك اللغة التي ليست مشهورة. وقول من قال إن الموصوفين باللبث أحقاباً هم عصاة المؤمنين أواخر الآي يدفعه.

وقول مقاتل إنّ ذلك منسوخ بقوله «فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً» فاسد.

والظاهر أن البرد هو مسّ الهواء القرّ، أي: لا يمسّهم منه ما يستلذّ ويكسر شدة الحرّ.

﴿وِفَاقًا﴾ أي: لأعمالهم وكفرهم. وصف الجزاء بالمصدر لوافَقَ، أو على حذف مضاف أي: ذا وفاق.

﴿لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون، والمعنى هنا: لا يصدقون بيوم الحساب.

وانتصب ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ على الاشتغال، أي: أحصينا كلّ شيء أحصيناه. «وكل شيء» عام مخصوص، أي: وكل شيء مما يقع عليه الثواب والعقاب، وهي جملة معترضة.

و﴿فَذُوقُوا﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات. وفي خطابهم بذلك عن طريق الالتفات توبيخ لهم وشدة غضب عليهم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا

يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

ولمّا ذكر شيئاً من حال أهل النار ذكر ما لأهل الجنة [٥٧٠/أ] فقال ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ أي: موضع فوز وظفر حيث زُحزحوا عن النار، وأُدخلوا الجنة.

﴿حَدَآئِقَ﴾ بدل من «مفازاً» أو فوز، فيكون أبدل الجرم من المعنى على حذف، أي: فوز حدائق أي: بها.

﴿دِهَاقًا﴾ قال الجمهور: مترعة[(١)].

قال الزمخشري[(٢)]: «جزاءً» مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله «إن للمتقين مفازاً»، كأنه قال: جازى المتقين بمفاز. و«عطاء» [نُصب بـ«جزاءً»] نَصْب المفعول به أي: جزاهم عطاء انتهى.

وهذا لا يجوز لأنه جعله مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة التي هي «إن للمتقين مفازاً». والمصدر المؤكد لا يعمل، لأنه ليس ينحلّ بحرف مصدري والفعل، ولا نعلم في ذلك خلافاً.

وقرىء: ربّ، بالرفع على إضمار هو. وبالجرّ بدلاً من «ربك». وقرىء:

(١) فوقها في ق: كذا.
(٢) الكشاف ٤ : ٢١٠.

الرحمن، بالجر والرفع. والضمير في «منه» عائد عليه، والمعنى أنهم لا يملكون من الله أن يخاطبوه في شيء من الثواب والعقاب. و﴿خِطَابًا﴾عام لأنه في سياق النفي.

والعامل في «يوم» إما «لا يملكون» وإما «لايتكلمون». والظاهر عود الضمير في «لا يتكلمون» على «الروح والملائكة» فلا يتكلمون إلا بإذن الله تعالى.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: كيانه ووجوده ﴿فَمَن شَآءَ﴾ وعيد وتهديد.

والخطاب في ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ﴾ لمن حضر النبي ﷺ، واندرج فيه من يأتي بعدهم. ﴿عَذَابًا﴾ هو عذاب الآخرة. ﴿قَرِيبًا﴾ لتحقّق وقوعه، وكلّ آتٍ قريب.

﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾ عام في المؤمن والكافر. ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خيرٍ أو شرٍّ لقيام الحجّة له وعليه.

وقال ابو هريرة وعبد الله بن عمر[1]: إن الله تعالى يحضر البهائم يوم القيامة فيقتصّ من بعضها لبعض، ثم يقول لها بعد ذلك: كوني تراباً. فيعود جميعها تراباً. فإذا رأى الكافر ذلك تمنّى مِثْله له.

(١) انظر القرطبي ١٩ : ١٨٩.

سورة النازعات(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝١١ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ ﴾.

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴾ الآية، هذه السورة مكّية. ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر فيما قبلها الإنذار بالعذاب يوم القيامة، أقسم في هذه(2) على البعث يوم القيامة. ولمّا كانت الموصوفات المقسَم بها محذوفات، وأقيمت صفاتها مقامها، وكان لهذه الصفات متعلقات مختلفة - اختلفوا في المراد بها، فقال علي وابن عباس «النازعات» الملائكة تنزع نفوس بني آدم. و«غرقاً» إغراقاً وهو المبالغة في الفعل، أو غرقاً في جهنم، يعني نفوس الكفار.

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: الملائكة تنشط النفوس عند الموت، أي: تحلّها وتنشط بأمر الله إلى حيث كان، وقيل غير ذلك.

---

(1) مكية وهي ست وأربعون آية.

(2) ق: هذا.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾ [٥٧٠/ب] قال علي ومجاهد: الملائكة تتصرّف في الآفاق بأمر الله تعالى تجيء وتذهب.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾ قال ابن مسعود: أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها، وقد عايَنَتِ السّرور، شوقاً إلى لقاء الله تعالى.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ﴾ قال معاذ: هي الكواكب السبعة، وأضاف التدبير إليها مجازاً أي: يظهر تقلّب الأحوال عند قرانها وتربيعها وتسديسها وغير ذلك.

والذي يظهر أنّ ما عطف بالفاء هو من وصف المقسَم به قبل الفاء، وأن المعطوف بالواو هو مغاير لما قبله كما قررناه في «والمرسلات»[1]. والمختار في جواب القسم أن يكون محذوفاً وتقديره: لتبعثنّ، لدلالة ما بعده عليه.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ قال ابن عباس وغيره: هما [الصيحتان أي: النفختان؛ الأولى تميت كل شيء، والثانية تحيي كل شيء.

﴿وَاجِفَةٌ﴾ مضطربة. ووجيف] القلب يكون من الفزع ويكون من الإشفاق.

﴿أَبْصَٰرُهَا﴾ أي: أبصار أصحاب القلوب. ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة.

﴿يَقُولُونَ﴾ حكاية حالهم في الدنيا، والمعنى: هم الذين يقولون. و﴿ٱلْحَافِرَةِ﴾ قال مجاهد: فاعلة بمعنى مفعولة. وقيل على النسب أي: ذات حفر والمراد القبور، أي: لمردودون أحياء في قبورنا[2].

---

(١) انظر تفسير الآية الأولى من المرسلات.

(٢) ق: قبورها.

وقرىء: نخرة، وناخرة، مثل طَمِعٍ وطامع. والناخرة: المصوّتة بالريح المجوّفة. والنّخرة بمعناها.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: الردّة إلى الحافرة. ﴿إِذًا﴾ أي: إن رُددنا. ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ أي: قالوا ذلك لتكذيبهم بالبعث، أي: لو كان هذا حقّاً لكانت ردّتنا خاسرة إذ هي إلى النّار.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ لما تقدّم «يقولون أإنا لمردودون» تضمّن قولهم استبعاد النشأة الثانية واستصعاب أمرها، فجاء قوله «فإنما» مراعاة لما دلّ عليه استبعادهم، فكأنه قيل: ليس بصعب ما تقولون[1]، فإنما هي نفخة واحدة فإذا هم منشورون أحياء على وجه الأرض.

والساهرة: قال ابن عباس: أرض من فضة يخلقها الله تعالى.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف للرسول عليه السلام على جمع النفس لما يلقيه إليه. وتقدّم إنكارهم البعث وتمرّدهم على الرسول عليه السلام، فقصّ عليه تعالى قصة موسى، وتمرّد فرعون على الله تعالى حتى ادّعى الإلهية.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ لطف في الاستدعاء لأن كل عاقل يجيب مثل هذا

---

(١) ق: نقول.

السؤال بنعم. و﴿تَزَكَّىٰ﴾ تتحلّى بالفضائل وتتطهر[١] من الرذائل. والزكاة هنا يندرج فيها الإسلام وتوحيد الله تعالى. وقرىء: تزكى، بالتشديد والتخفيف. وتقول العرب: هل لك في كذا؟ وهل لك إلى كذا؟ فيحذفون المبتدأ الذي يتعلق به إلى، أي: هل لك رغبة أو حاجة إلى كذا، أو سبيل إلى كذا.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي: جمع السحرة[٢] وأرباب دولته. ﴿فَنَادَىٰ﴾ أي: قام فيهم خطيباً.

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [٥٧١/أ] قال ابن عطية: نهاية في المَخْرَقة[٣]، ونحوها باقٍ في ملوك مصر وأتباعهم انتهى.

إنما قال ذلك ابن عطية لأن مُلْك مصر في زمانه كان إسماعيلياً، وهو مذهب يعتقدون فيه إلهيّة ملوكهم. وكان أول من ملكها منهم المعزّ بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله، وآخرهم[٤] العاضد. وطهّر الله مصر من هذا المذهب بظهور الملك صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً.

وانتصب ﴿نَكَالَ﴾ على المصدر بمعنى التنكيل، والناصب له قوله «فأخذه». و«الآخرة والأولى» قال ابن عباس: «الآخرة» قوله ﴿مَا عَلِمۡتُ[٥] لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴿٣٨﴾﴾ [القصص]، ﴿وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

---

(١) ق: ونظهر.

(٢) ق: السحر.

(٣) المخرقة: الاختلاق والكذب، مولّدة.

(٤) ق: ولاهم.

(٥) ق: عملت.

وكان بين قولتيه أربعون سنة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: فيما جرى لفرعون وأَخْذه تلك الأخذة. ﴿لَعِبْرَةً﴾ لعظة.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾ الآية، الخطاب ظاهره أنه عام والمقصود الكفّار منكرو البعث، وقفهم على قدرة الله تعالى. ﴿أَشَدُّ خَلْقًا﴾ أي: أصعب إنشاء أم السماء. فالمسؤول عن هذا يجيب ولا بدّ بقوله: السماء، لما يرى من ديمومة بقائها وعدم تأثّرها.

ثمّ بيّن تعالى كيفية خلقها: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي: جعل مقدار ذهابها في العلوّ مديداً رفيعاً مسيرة خمس مئه عام. والسَّمك: الارتفاع الذي[1] بين سطح السماء التي تلينا وسطحها الذي يلي ما فوقها. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: جعلها ملساء مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض، أو تمّمها وأتقن[2] إنشاءها بحيث إنها محكمة الصنعة.

﴿وَأَغْطَشَ﴾ أي: أظلم ليلها. ﴿وَأَخْرَجَ﴾ أي: أبرز ضوء شمسها[3]. والضحى: هو [نور] سراجها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد خلق السماء وما فعل فيها. ﴿دَحَىٰهَآ﴾ أي:

---

(١) ق: التي.

(٢) ق: وأيقن.

(٣) ق: ضوءها أي: شمسها. وفوقها: كذا.

بسطها، فخلق الأرض ثم السماء ثم دحا الأرض.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي: من الأرض. وأضيف الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يظهران منها. «أخرج منها» لم يدخل حرف العطف عليه، لأن معنى «دحاها» بسطها ومهّدها للسكنى. ثم فسّر التمهيد بما لا بدّ منه في تأتّي سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وإمكان القرار عليها.

وقرىء: متاعاً، بالنصب أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم. وبالرفع، أي: ذلك متاع.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ﴾ قال ابن عباس: القيامة.

وقوله ﴿الْمَأْوَى﴾ مذهب البصريين أن الضمير العائد على «مَن» محذوف تقديره: المأوى له. ومذهب الكوفيين أن الألف واللام نابت عن الضمير كأنه قال: مأواه.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: مقاماً بين يدي ربّه يوم القيامة للجزاء. وفي إضافة المقام إلى الربّ تفخيم للمقام وتهويل عظيم واقع من النفوس موقعاً عظيماً.

﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: قريش. [٥٧١/ب] وكانوا يلحّون في البحث عن وقت

الساعة؛ إذ كان يتوعّدهم بها، ويكثر ذلك، فنزلت هذه الآية[1]. ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ أي: متى يقيمها الله ويثبتها[2] ويكوّنها.

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ هي ما الاستفهامية، وحذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها كقوله ﴿عَمَّ ①﴾ [النبأ] و﴿بِمَ يَرْجِعُ ٣٥﴾ [النمل]، كأنه قال: في أي شيء أنت من تذكّرها؟.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلى علم ربك. ﴿مُنتَهَاهَا﴾ أي: انتهاؤها.

﴿مَن يَخْشَاهَا﴾ أي: يخشى الساعة. ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ أي: كأن السؤال عنها.

﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ لم يقيموا في الحياة الدنيا. ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ أعاد الضمير في قوله «أو ضحاها» على العشية لأنهما طرفان للنهار، والإضافة تكون بأدنى ملابسة.

---

(١) انظر اللباب ص٢٢٦.

(٢) فوقها في ق: كذا.

سورة الأعمى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝١٦ ﴾ .

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها[2] مجيء ابن أم مكتوم عليه السلام. ومناسبتها لما قبلها أنه لمّا ذكر ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ ﴾ [النازعات] ذكر[3] في هذه الآية من ينفعه الإنذار ومن لم ينفعه الإنذار.

﴿ أَن جَآءَهُ ﴾ مفعول من أجله، أي: لِأَنْ جاءه، ويتعلق بـ«تولّى» على مختار البصريين في الإعمال، وبـ«عبس» على مختار أهل الكوفة.

﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ الكاف للخطاب، انتقل من ضمير الغيبة في «عبس وتولى» إلى ضمير الخطاب. وقرىء: يزكّى، بتشديد الزاي أصله يتزكّى، أدْغم التاء في الزاي.

---

(١) مكية وهي اثنتان وأربعون آية. واسمها في القرآن الكريم «عبس».

(٢) انظر أسباب النزول ص٢٩٧، واللباب ص٢٢٧.

(٣) ق: فذكر.

وقرأ عاصم: فتنفعَه، بنصب العين. وتقدم الكلام في نظيره في قوله «فَأَطَّلِعَ»[١] في قراءة حفص.

﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾ ظاهره من كان ذا ثروة وغنى، وهم الذين كان الرسول عليه السلام يناجيهم في شأن الإسلام، عتبة وربيعة وأبو جهل وأبيّ وأميّة، ويدعوهم إليه.

وقرىء: تصدّى، بتخفيف الصاد. وقرىء بشدّها.

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴾ «ما» مبتدأة استفهامية، تقديره: أَيُّ شيء عليك؟. وهذا تحقير لأمر الكافر وحضٌّ على الإعراض عنه وترك الاهتمام به في كونه لا يفلح ولا يتطهّر من دنس الكفر.

﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴾ أي: يمشي بسرعة في أمر دينه.

﴿ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴾ أي: يخاف الله ويخاف الكفار وأذاهم والعثار والسقوط لكونه أعمى، وقد جاء بلا قائد يقوده. وهي جملة حالية.

﴿ تَلَهَّىٰ ﴾ تشتغل، يقال: لَهِيَ عن الشيء يلهى، إذا اشتغل عنه. وقرأ البزي[٢]: عنهو تَّلَهّى، بإدغام تاء المضارعة في تاء تفعّل وصلة الضمير بواوٍ.

﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ أي: سور القرآن أو الآيات. ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ عظة ينتفع بها .

﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ أي: فمن شاء أن يذكر هذه الموعظة ذكره. أتى بالضمير مذكّراً [٥٧٢/ أ] لأن التذكرة هي الذكر.

---

(١) انظر شرح الآية ٣٧ من غافر.

(٢) كتب «البزي» في ق بلا نقط وفوقها: كذا.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ قيل: اللوح المحفوظ. وقيل: صحف الأنبياء المنزلة. ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله تعالى. ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء، أو مرفوعة المقدار.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ قال ابن عباس: هم الملائكة لانهم كتبة [عمل الإنسان].

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ قيل: نزلت[١] في عتبة بن أبي لهب، غاضب أباه فأسلم، ثم استصلحه أبوه وأعطاه مالاً وجهّزه إلى الشام. فبعث إلى رسول الله ﷺ أنه كافر بربّ النجم إذا هوى. فروي أنه عليه السلام قال[٢] «اللهم ابعث عليه كلبك حتى يأكله». فلما انتهى إلى الغاضرة ذكر الدعاء فجعل لمن معه ألف دينار إن أصبح حيّاً، فجعلوه في وسط الرفقة والمتاع حوله، فأقبل الأسد إلى الرّحال ووثب فإذا هو فوقه فمزّقه. فكان[٣] يندبه ويبكي عليه ويقول[٤]: ما قال محمد شيئاً قط إلا كان. والآية وإن نزلت في مخصوص فـ«الإنسان» يراد به الكافر.

﴿قُتِلَ﴾ دعاء عليه. والقتل أعظم شدائد الدنيا.

﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ الظاهر أنه تعجّب من إفراط كفره. والتعجّب بالنسبة للمخلوقين؛ إذ هو مستحيل في حق الله تعالى، أي: هو ممّن يقال فيه: ما

(١) انظر اللباب ص٢٢٧، والقرطبي ١٩: ٢١٧.
(٢) رواه الأصبهاني في الدلائل ٢: ٤٥٤. وصحّح الاسم فيه من عتبة إلى عتيبة، انظر حاشية المحقّقين في الصفحة المذكورة.
(٣) ق: فإذا أبوه.
(٤) ق: وقال.

أكفره.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ استفهام على معنى التقرير على حقارة ما خُلق منه.

ثم بيّن ذلك الشيء الذي خُلق منه فقال ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ أي: فهيّأه لما يصلح له.

﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي: ثم يسّر السبيل، أي سهّله. وهذا من باب الاشتغال.

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ أي: جعل له قبراً صيانة لجسده أن تأكله الطير والسباع.

﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾ أي: أراد إنشاره أنشره. والمعنى: إذا بلغ[1] الوقت الذي شاءه الله تعالى وهو يوم القيامة.

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان. ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ يفي من أول مدّة تكليفه إلى حين إقباره ما أمره به الله تعالى. فالضمير في «يقض» عائد على الإنسان.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾
فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾
مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ
مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ
الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ﴾ لمّا عدّد تعالى نعمه في نفس الإنسان، ذكر النعم فيما به

(١) ق: أراد.

قوام حياته، وأمره بالنظر إلى طعامه وكيفيات الأحوال التي اعتورت على طعامه حتى صار بصدد أن يُطعَم - والظاهر أن الطعام هو المطعوم - وكيف يسّره الله تعالى بهذه الوسائط المذكورة.

﴿أَنَّا صَبَبْنَا﴾ أسند تعالى الصبّ والشّق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب. وصبّ الماء هو المطر.

﴿حَبًّا﴾يشمل كل ما يسمّى حبّاً من حنطة وشعير وذرة وسُلْت وعَلَس[١] وغير ذلك.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: العلف، وقيل غير ذلك.

﴿غُلْبًا﴾ قال ابن عباس: غلاظاً. وعنه: طوالاً.

﴿وَفَٰكِهَةً﴾ ما يأكله الناس من ثمر الشجر كالخوخ والتين. ﴿وَأَبًّا﴾ ما تأكله البهائم من العشب.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ اسم من أسماء القيامة يُصِمُّ نَبَؤُها الآذان[٢]. تقول العرب: صخَّتْهم [٥٧٢/ب] الصاخّة.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ﴾ بدل من إذا. وجواب إذا محذوف تقديره: اشتغل كل إنسان بنفسه، يدلّ عليه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس]. وفراره من شدة هول يوم القيامة. ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ بدأ أولاً بالأخ ثم بالأبوين ثم بالصاحبة ثم بالبنين.

---

(١) سلت وعلس: فوقهما في ق: كذا. والسُّلت: ضرب من الشعير. والعَلَس: ضرب من الحنطة.

(٢) ويجوز أن نقرأ: تصمُّ نبأتها الآذان، أي: صوتها.

﴿يُغْنِيهِ﴾ أي: عن النظر في شأن الآخر، من الإغناء.

﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ نيّرة مضيئة، من أسفر الصبح: أضاء.

﴿تَرْهَقُهَا﴾ تغشاها. ﴿قَتَرَةٌ﴾ أي: غبار. والأولى يغشاها من العبوس عند الهمّ، والثانية من غبار الأرض. والقترة: ما ارتفع إلى السماء.

سورة التكوير(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها في غاية الظهور. «كورت» قال ابن عباس: أدخلت في العرش.

و﴿ ٱنكَدَرَتْ ﴾ قال ابن عباس: تساقطت.

و﴿ سُيِّرَتْ ﴾ أي: في الجو تسيير السحاب.

﴿ ٱلْعِشَارُ ﴾ أنفس ما عند العرب من المال وتعطيلها: تركها مسيّبة مهملة.

﴿ حُشِرَتْ ﴾ أي: جمعت من كل ناحية. قال ابن عباس: جمعت بالموت فلا تبعث ولا تحضر يوم القيامة.

---

(١) مكية وآياتها تسع وعشرون.

و﴿سُجِّرَتْ﴾ تقدم الكلام عليه في الطور[1].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أي: المؤمن مع المؤمن والكافر مع الكافر كقوله ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة].

و﴿ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ البنت. ووَأْدها: دفنها في التراب كقوله ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ ۝٥٩﴾ [النحل]. ﴿سُئِلَتْ﴾ هذا السؤال لتوبيخ الفاعلين للوأد، لأن سؤالها يؤدي إلى سؤال الفاعلين. وجاء ﴿قُتِلَتْ﴾ بناء على أن الكلام إخبار عنها، ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل: قُتِلْتِ.

والصحف المنشورة: صحف الأعمال، كانت مطوية على الأعمال، فنشرت يوم القيامة ليقرأ كل إنسان كتابه.

وكَشْطُ السماء: طيُّها كطيّ السجل. ﴿سُعِّرَتْ﴾ أُضرمت. ﴿أُزْلِفَتْ﴾ قُرِّبت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خير تدخل به الجنة، أو شرّ تدخل به النار.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾.

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال الجمهور: الدراري السبعة: الشمس والقمر وزحل وعطارد والمريخ والزهرة والمشتري، تجري الخمسة مع الشمس والقمر، وترجع

(١) انظر تفسير الآية ٦ من الطور.

حتى تخفى مع ضوء الشمس. فخنوسها رجوعها، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس.

﴿عَسْعَسَ﴾ أقسم بإقباله وإدباره وتنفّسه، كونه يجيء معه روح ونسيم، فكأنه نَفَس له على المجاز.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الجمهور على أنه جبريل عليه السلام. ووصفه بـ[الكريم] يقتضي[1] نفي المذامّ كلّها وإثبات صفة المدح اللائقة به.

﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى «قوة عند ذي العرش» أي: أنه مطاع في ملائكته [٥٧٣/أ] المقرّبين، يصدرون عن أمره. «أمين» مقبول القول يُصدَّق فيما يقوله، مؤتمن على ما يُرسَل به من [وحي وامتثال أمر.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ نفى عنه ما كانوا ينسبون إليه ويبهتونه به من] الجنون.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي: رأى الرسول جبريل. والأفق: الناحية من السماء القريبة[2].

﴿بِضَنِينٍ﴾ من قرأ بالظاء، أي: بمتّهم. ومن قرأ بالضاد معناه: ببخيل.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي: الذي يتراءى له إنما هو ملَك لا مثل الذي يتراءى للكهّان.

---

(١) ق: وصفه تقتضي.

(٢) ق: العربية.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ استضلال لهم حيث نسبوه مرة إلى الجنون، ومرة إلى الكهانة، ومرة إلى غير ذلك ممّا هو بريء منه.

﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿ذِكْرٌ﴾ تذكرة وعظة. ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدل من «للعالمين».

ثم عذق[1] مشيئة العبد بمشيئة الله تعالى.

(١) أي: ربطها بها.

سورة الانفطار[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا
ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ كَلَّا بَلۡ
تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢
إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ۝١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا
بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ
نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ۝١٩ ﴾ .

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. الانفطار: تقدم الكلام عليه[2].

﴿ ٱنتَثَرَتۡ ﴾ تساقطت من موضعها كالنظام[3].

﴿ فُجِّرَتۡ ﴾ من امتلائها، فتفجّر من أعلاها وتفيض على ما يليها، أو من أسفلها فيُذهب الله ماءها حيث أراد.

﴿ بُعۡثِرَتۡ ﴾ قال ابن عباس: بُحثت. ﴿ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴾ تقدّم الكلام على

---

(١) مكية وهي تسعة عشرة آية.

(٢) انظر شرح الآية ٩٠ من مريم.

(٣) النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ.

شبهه في القيامة[١].

﴿مَا غَرَّكَ﴾ استفهام على سبيل الإنكار عليه. و«غرّك» بمعنى أدخلك في الغرّة. وروي[٢] أنه عليه السلام قرأ «ما غرك بربك الكريم» فقال: [غرّه] جَهْلُه. وقاله عمر وقرأ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب].

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ جعلك سوياً في أعضائك. ﴿فَعَدَلَكَ﴾ صيّرك معتدلاً متناسب الخَلْق من غير تفاوت.

والظاهر أن قوله ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ﴾ يتعلق بـ«ركّبك»[٣] أي: وضعك في صورة اقتضتها مشيئته من حسن وطول وذكورة وشبه ببعض الأقارب أو مقابل ذلك. و«ما» زائدة. و«شاء» في موضع الصفة لـ«صورة». ولم يعطف «ركّبك» بالفاء كالذي قبله لأنه بيان لـ«عدلك». والتركيب: التأليف وجمع شيء.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لما دلّ عليه ما قبله من اغترارهم بالله تعالى. ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ﴾ خطاب للكفار.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ استئناف إخبار أن عليهم من يحفظ أعمالهم ويضبطها. ويظهر أنها جملة حالية والواو واو الحال، أي: تكذّبون بيوم الجزاء والكاتبون الحفظة يضبطون أعمالكم لأن تُجازَوْا عليها. وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزاء.

---

(١) انظر شرح الآية ١٣ من القيامة.

(٢) انظر القرطبي ١٩: ٢٤٤.

(٣) ق: بربك.

﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيكتبون ما تعلّق به الجزاء.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ أي: عن الجحيم، أي: لا يمكنهم الغيبة. لمّا أخبر عن صَلْيهم يوم القيامة أخبر بانتفاء غيبتهم عنها قبل الصّلي، أي: يرون مقاعدهم من النار.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ تعظيم لهول ذلك اليوم. ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ﴾ عامّ في كل نفس. ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ[٥٧٣/ ب]لِّلَّهِ﴾ أي: لا يدّعي أحد منازعته.

سورة المطففين(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧ ﴾.

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية، وقيل مدنية. وسبب نزولها أنه كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيالان: يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص فنزلت(2). والمناسبة بين السورتين ظاهرة: لمّا ذكر السعداء والأشقياء ويوم الجزاء وعظّم من شأن يومه، ذكر ما أعدّ لبعض العصاة، وذكرهم بأخسّ ما يقع من المعصية، وهي التطفيف الذي لا يكاد يجدي شيئاً في تثمير المال(3) وتنميته.

---

(1) مكية وآياتها ست وثلاثون.

(2) انظر أسباب النزول ص٢٩٨.

(3) ق: تمييز.

﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قبضوا منهم[١]. ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أَقْبَضُوهم. وكال ووزن ممّا يتعدى بحرف الجر فتقول: كِلْتُ لك ووزنت لك.

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ توقيف على أمر القيامة وإنكار عليهم في فعلهم ذلك.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة. و«يوم» ظرف، العامل فيه مقدر، أي: يبعثون يوم يقوم الناس. ويجوز أن يعمل فيه «مبعوثون» ويكون معنى «ليوم» أي: لحساب يوم. ووصفه برب العالمين دليل على عظم هذا الذنب وهو التطفيف.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لما كانوا فيه من التطفيف. وهذا القيام يختلف الناس فيه بحسب أحوالهم. وفي هذا القيام إلجام الناس بالعرق، وأحوالهم فيه مختلفة كما ورد في الحديث[٢]. و﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ الكفّار. وكتابهم: هو الذي فيه تحصيل أعمالهم. و﴿سِجِّينٍ﴾ قال الجمهور: فِعّيل من السجن كسكّير، أو[٣] في موضع ساجن، فجاء بناء مبالغة، فسجّين على هذا صفة لموضعِ المحذوف. والظاهر أن سجّيناً كتاب، ولذلك أبدل منه «كتاب مرقوم».

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلم.

﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: مثبت كالرقم لا يبلى ولا يمحى.

﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ﴾ صفة ذمّ. ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ متجاوز الحدّ ﴿أَثِيمٍ﴾ صفة مبالغة.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ﴾ قيل: نزلت في النضر بن الحارث.

---

(١) ق: البهم. ويصح إذا عاد الضمير للقابض لا للناس.

(٢) انظر مثلاً صحيح مسلم ٤: ٢١٩٦، حديث المقداد بن الأسود.

(٣) ق: أي.

﴿بَلْ رَانَ﴾ أي: غطّى وغشّى كالصدأ يغطي السيف وقال(١): [من الطويل]

وكم ران من ذنبٍ على قلبِ فاجرٍ فتاب من الذنب الذي ران فانجَلَى

والضمير في قوله ﴿إِنَّهُمْ﴾ للكفّار. فمن قال بالرؤية - وهو قول أهل السّنة - قال إنّ هؤلاء لا يرون ربهم فهم محجوبون عنه. واحتجّ بهذه الآية مالك على مسألة الرؤية.

﴿ثُمَّ يُقَالُ(٢)﴾ أي: يقول لهم خزنة النار. ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب وَصَلْيُ النار، أو هذا اليوم الذي كنتم به تكذّبون.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ الآية، [٥٧٤/أ] لمّا ذكر تعالى أمر كتاب الفجّار، عقبه بذكر كتاب ضدّهم، ليبين الفرق. ﴿عِلِّيُّونَ﴾ جمعٌ واحده عِلِّيّ، مشتق من العلوّ وهو للمبالغة. و﴿عِلِّيُّونَ﴾ الملائكة. وإعراب «لفي عليين» و«كتاب مرقوم» كإعراب «لفي سجين».

و﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ هنا، قال ابن عباس وغيره: هم الملائكة أهل كل سماء، ينظرون إلى ما أعدّ لهم من الكرامات.

وقرىء: تعرف، بتاء الخطاب للرسول عليه السلام. والنّضرة: تقدم

(١) ق: لم أجده.

(٢) ق: يقال لهم.

شرحها في قوله «نضرة وسرورا»[١].

﴿مَّخۡتُومٍ﴾ الظاهر أن الرحيق ختم عليه تهمّماً[٢] وتنظّفاً بالرائحة المسكية كما فسّره ما بعده. ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ أي: خلطه ومزاجه، قاله ابن عباس.

﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾ قال ابن عباس: هو أشرف شراب الجنّة، وهو اسم مذّكر لماءِ عينٍ في الجنة. ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾ أي: يشربها أو منها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

روي أن عليّاً وجمعاً معه من المؤمنين مرّوا بجمع من كفار مكة، فضحكوا منهم، واستخفّوا بهم عبثاً، فنزلت «إن الذين أجرموا» قبل أن يصل عليّ إلى رسول الله ﷺ. وكفار مكة هؤلاء قيل: أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل، والمؤمنون عمّار وصهيب وخبّاب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين[٣].

والضمير في ﴿رَأَوۡهُمۡ﴾ عائد على المجرمين، أي: إذا رأوا المؤمنين نسبوهم إلى الضّلال.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ﴾ على المؤمنين حفظة يحفظون عليهم أحوالهم.

(١) انظر تفسير الآية ١١ من الإنسان، ولم يتقدّم شرحها ثَمَّ.

(٢) تهمم الشيء: طلبه.

(٣) انظر القرطبي ١٩: ٢٦٧.

ولمّا تقدم ذكر يوم القيامة قيل ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. و«اليوم» منصوب بـ«يضحكون»، أي: إن كان قد ضحك الكفار من المؤمنين في وقت ما في الدنيا، فالمؤمنون يضحكون منهم في الآخرة.

و﴿يَنظُرُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿يَضْحَكُونَ﴾ أي: يضحكون ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والعذاب بعد العزّة والنعيم. وقال كعب: لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار.

﴿ثُوِّبَ﴾ أي: جوزي، يقال: ثوّبه وأثابه إذا جازاه. وقال الشاعر[1]:

سَأَجْزيكِ أو يَجْزيكِ عني مُثَوِّبٌ ... وَحَسْبُكِ أن يُثنى عليكِ وتُحمدي

وهو استفهام بمعنى التقرير للمؤمنين، أي: هل جُوزوا بأفعالهم السيئة، أي: قد جوزوا بها. وفي قوله ﴿مَا كَانُوا۟﴾ حذف تقديره: جزاء أو عقاب ما كانوا يفعلون.

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص٢٧.

سورة الانشقاق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا
وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ
سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ
بَصِيرًا ۝١٥ ﴾.

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ الآية هذه السورة مكية. واتصالها بما قبلها ظاهر. قال ابن عباس: انشقت لنزول الملائكة.

﴿ وَأَذِنَتْ ﴾ أي: استمعت وسمعت أمره ونهيه. ﴿ وَحُقَّتْ ﴾ قال ابن عباس: وحقّ لها [٥٧٤/ب] أن تسمع. وهذا الفعل مبني للمفعول والفاعل هو الله تعالى، أي: وحَقَّ اللهُ عليها الاستماع.

﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ سُوّيت، وقيل: بُسطت. ومنه الحديث[2] «تُمدّ الأرض مدّ الأديم العكاظي حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه». وذلك أن الأديم إذا مُدّ زال ما فيه من تثنٍّ وانبسط، فتصير الأرض إذ ذاك كما قال

(١) مكية وهي خمس وعشرون آية.

(٢) جاء بعضه في المسند ١: ٣٧٥ من حديث ابن مسعود.

تعالى ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ۝ ﴾ [طه].

﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴾ ما في بطنها من الأموات. ﴿ وَتَخَلَّتْ ﴾ ممّن على ظهرها من الأحياء. ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا ﴾ أي: في إلقاء ما في بطنها وتخلّيها.

و﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ يراد به الجنس، والتقسيم بعد ذلك يدل عليه. وقال مقاتل: المراد به الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، جادل أخاه أبا سلمة في أمر البعث فقال أبو سلمة: إي والذي خلقك لتركبنّ الطبقة ولتوافين العقبة. فقال الأسود: فأين الأرض والسماء وما حال الناس في ذلك اليوم؟. ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ أي: جاهد في عملك من خير وشرّ. ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: طول حياتك إلى لقاء ربك وهو أجل موتك. ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾ أي: ملاقي كدحك، أي: جزاءه من ثواب وعقاب.

﴿ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها: تُقرّر ذنوبه ثم يُتجاوز عنه.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ ﴾ أي: إلى من أعدّ الله تعالى له في الجنّة من نساء المؤمنين ومن الحور العين أو إلى عشيرته المؤمنين، ليخبرهم بخلاصه وسلامته.

﴿ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ روي أن شماله يدخل من صدره حتى يخرج من وراء ظهره فيأخذ كتابه بها. والظاهر من الآية أن الإنسان انقسم إلى هذين القسمين.

﴿ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴾ يقول: واثبوراه. والثّبور: الهلاك وهو جامع لأنواع المكاره.

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴾ أي: في الدنيا فرحاً بطراً مترفاً، لا يعرف الله، ولا يفكر في عاقبة الأمور.

﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أي: لن يرجع إلى الله تعالى. وهذا تكذيب بالبعث.

﴿ بَلَىٰٓ ﴾ إيجاب بعد النفي، أي: بلى ليحورنّ. ﴿ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴾ أي: لا تخفى عليه أفعاله، فلا بدّ من جوره ومجازاته.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾ ﴾.

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾ أقسم تعالى بمخلوقاته تشريفاً لها وتعريضاً للاعتبار بها. والشفق: بياض يتلو الحمرة.

﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ أي: وما ضَمَّ [من] الحيوان وغيره، إذ جميع ذلك ينضمّ ويسكن في ظلمة الليل. وقال ابن عباس: وما غطّى عليه من الظلمة.

وقرىء: لتركبنّ، بضم الباء معناه: أيها الناس. وبفتحها: أيها الإنسان[1]. ﴿ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ أي: حالاً بعد حال.

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ تعجّب من انتفاء إيمانهم وقد وضحت الدلائل.

﴿ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴾ لا يتواضعون ويخضعون.

﴿ بِمَا يُوعُونَ ﴾ بما يجمعون من الكفر والتكذيب، كأنهم يجعلونه في أوعية، يقال وعيت العلم [٥٧٥/أ] وأوعيت المتاع.

---

(١) ق: الناس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: سبق لهم في علمه أنهم يؤمنون. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍۭ﴾ غير مقطوع. وقال ابن عباس: «ممنون» معدَّد عليهم محسوب منغّص بالمَنّ.

سورة البروج[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ ﴾ .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ الآية هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها [أنه] لمّا ذكر أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول والمؤمنين من المكر والخداع وإذاية من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والصّلب والحرق، بإحماء الصخر بالشمس[2]، ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه - ذكر أن هذه الشِّنْشِنة[3] كانت فيمن تقدّم من الأمم، يعذّبون بالنار، وأن أولئك الذين عُرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم، أو يُحرقوا، وأن أولئك الذين عذّبوا

---

(١) مكية وآياتها اثنتان وعشرون.

(٢) ق: بالشمس وإحماء الصخر.

(٣) الشِّنشنة: الخُلق والطبيعة.

عباد الله ملعونون، فكذلك[1] الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش ملعونون. فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذَّب.

﴿ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ قال ابن عباس: هي المنازل التي عرفتها العرب وهي اثنا عشر على ما قسّمَتْه، وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في ثمانية وعشرين يوماً.

﴿ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ هو يوم القيامة، أي: الموعود به.

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ هذان منكّران وينبغي حملهما على العموم كقوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ [التكوير]. وجواب القسم قيل محذوف، وقيل: لتبعثُنّ ونحوه. وقيل «قتل» وهذا الذي نختاره. وحذفت اللام أي: لَقُتِلَ، وحَسُن حذفها كما حسن في قوله ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ ﴾ ثم قال ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس] أي: لقد أفلح. ويكون الجواب دليلاً على لعنة من فعل ذلك وطرده من رحمة الله تعالى، وتنبيهاً لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين، ليفتنوهم عن دينهم على أنهم ملعونون، بجامع ما اشتركا فيه من تعذيب المؤمنين. وذكر المفسرون في أصحاب الأخدود أقوالاً كثيرة ومضمنها أن ناساً من الكفار خَدُّوا أخدوداً في الأرض، وسجّروه ناراً، وعرضوا المؤمنين عليها. فمن رجع عن دينه تركوه، ومن أصر على الإيمان أحرقوه. و«أصحاب الأخدود» هم المحرقون للمؤمنين.

وقال الربيع وأبو العالية: بعث الله على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود.

---

(١) ق: فلذلك.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدٌ﴾ وعيد لهم، أي: أنه علم ما فعلوا، فهو مجازيهم.

والظاهر أن ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ عامّ في كل من [٥٧٥/ب] ابتلى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذى، وأنّ لهم عذابين: عذاباً لكفرهم وعذاباً لفتنتهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ المراد به العموم لا المطرحون في النار. والبطش: الأخذ بقوة.

﴿يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ قال ابن عباس: عامّ في جميع الأشياء، أي: كل ما يُبدأ وكل ما يعاد.

ولمّا ذكر شدة بطشه ذكر كونه غفوراً ساتراً لذنوب عباده، ودوداً لطيفاً بهم محسناً إليهم. وهاتان صفتا فعل. و«الودود» مبالغة في الوادّ.

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ خصّص العرش بإضافته إلى نفسه تشريفاً للعرش، وتنبيهاً على أنه أعظم المخلوقات. وقرىء: المجيد، بالضمّ صفة لـ«ذو». وبالخفض صفة لـ«العرش».

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ۝١٧ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ۝٢٠ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾ تقرير لحال الكفرة، أي: قد أتاك حديثهم وما جرى لهم مع أنبيائهم، وما حلّ بهم من العقوبات بسبب تكذيبهم، فكذلك يحلّ بقريش من العذاب مثل ما حلّ بهم. و«الجنود» الجموع المعدّة للقتال.

﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾ بدل من «الجنود» وكأنه على حذف مضاف، أي: جنود

فرعون.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من قومك. ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ حسداً[(١)] لك، لم يعتبروا بما جرى لمن قبلهم حين كذبوا أنبياءهم.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي: هو قادر على أن ينزل بهم ما أنزل بفرعون وثمود. ومن كان محاطاً به، فهو محصور في غاية لا يستطيع دفعاً[(٢)]. والمعنى دنوّ هلاكهم.

ولمّا ذكر أنهم في تكذيب، وأن التكذيب عمّهم حتى صار كالوعاء، وقد كان عليه السلام كذبوه وكذبوا ما جاء به وهو القرآن - أخبر تعالى عن الذي جاء به وكذّبوا به فقال ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: بل الذي كذبوا به قرآن مجيد، ومَجادَتُه شرفُه على سائر الكتب بإعجازه في نظمه وصحة معانيه، وإخباره بالمغيبات وغير ذلك من محاسنه. وقرىء: مجيدٌ، صفة لقرآن.

و﴿مَّحْفُوظٍۭ﴾ صفة لـ«لوحٍ». [وقرىء بالرفع صفة لـ«قرآن»] كما قال تعالى ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] أي: هو محفوظ في القلوب، لا يلحقه خطأ ولا تبديل.

---

(١) ق: جَسَد.

(٢) ق: هلاكاً.

سورة الطارق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ ﴾.

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن، نبّه هنا على حقارة الإنسان، ثم استطرد[2] منه إلى أنّ هذا القرآن قولٌ فصلٌ جدٌّ لا هزل فيه، ولا باطل يأتيه. ثم أمر نبيّه عليه السلام بإمهال أولئك الكفرة المكذبين، وهي آية موادعة منسوخة بآية السيف[3]. ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ هي السماء المعروفة. ﴿ وَالطَّارِقِ ﴾ هو الآتي ليلاً [٥٧٦/أ] أي: يظهر بالليل، أتى بالطارق مقسماً به، وهي صفة مشتركة بين النجم الثاقب وغيره، ثم فسّره بقوله ﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ إظهاراً لفخامة ما أقسم به. و﴿ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴾ قال ابن عباس: هو الجدي.

﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ ﴾ [«إنّ»] هي المخففة من الثقيلة، و«ما» زائدة، [و«حافظ» خبر «كل»، و«عليها» متعلق به. وعند الكوفيين «إنْ» نافية، واللام بمعنى

---

(١) مكية وآياتها سبع عشرة.

(٢) ق: استطرده.

(٣) الآية ٥ من التوبة.

إلاّ، و«ما» زائدة»]، و«كل» و«حافظ» مبتدأ وخبر. والظاهر عموم «كل نفس».

ولمّا ذكر أنّ[١] كل نفس عليها حافظ، أتبع ذلك بوصيّة الإنسان بالنظر في أول نشأته الأولى، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه، فيعمل لذلك، ولا يملي على حافظه إلا ما يسّره في عاقبته. و«مم خلق» استفهام. و«مِن» متعلقة بـ«خُلق» والجملة في موضع نصب بـ«فلينظر» وهي معلّقة. وجواب الاستفهام ما بعده وهو ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ وهو منيّ الرجل والمرأة لما امتزجا في الرحم واتّحدا، عبّر عنهما، وهو مفرد. و﴿دَافِقٍ﴾ بمعنى مدفوق.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ أي: تُختبر. و«السرائر» ما أكنّته من العقائد والنّيات، وما أخفته الجوارح [من الأعمال]. والظاهر عموم «السرائر».

ولمّا كان الامتناع في الدنيا إمّا بقوة في الإنسان، وإمّا بناصر خارج نفسه، نفى عنه تعالى ما يمتنع به، وأتى بـ«مِن» الدّالة على العموم في نفي القوة والناصر.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أقسم ثانياً بالسماء وهي المظلّة. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ قال ابن عباس: «الرّجع» السحاب فيه المطر. و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ ما تنصدع عنه الأرض من النبات.

والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ عائد على الكلام الذي أخبر فيه ببعث الإنسان يوم

---

(١) ق: والظاهر.

القيامة وابتلاء سرائره. أي: إنّ ذلك لقول جزم مطابق للواقع لا هزل فيه. ويكون الضمير قد عاد على مذكور، وهو الكلام الذي تضمّن الإخبار عن البعث، وليس من الأخبار التي فيها هزل بل جدٌّ كلّه.

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكافرين. ﴿يَكِيدُونَ﴾ أي: في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق.

﴿وَأَكِيدُ﴾ أي: أجازيهم على كيدهم، فسّمى الجزاء كيداً على سبيل المقابلة، نحو قوله ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران].

ثم أمر رسوله عليه السلام فقال ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي: انتظر عقوبتهم ولا تستعجل ذلك. ثم أكّد أمره فقال ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ مصدر أَرْوَد يرود، مصغر تصغير الترخيم إذ أصله إرواداً. وقيل[١] هو تصغير رَوْدٍ، من قول الشاعر[٢]:

[من البسيط]

يكاد لا تَثْلِمُ[٣] البطحاءَ وطأتُه ... كأنه ثَمِلٌ يمشي على رُوْدِ

أي: على مهل. وتستعمل مصدراً نحو: رويد عمروٍ، بالإضافة أي: إمهال عمرو. ونعتاً لمصدر نحو: ساروا سيراً رويداً. وحال نحو سار القوم رويداً. ويكون اسم فعل بمعنى أمهل، قال الشاعر[٤]: [من الطويل]

رُويدَ بني شيبانَ بعضَ وعيدكم ... تُلاقُوا غداً خيلي على سَفَوانِ

---

(١) ق: أو قيل.

(٢) البيت في القصائد السبع الطوال ص٤٠٣ غير منسوب، وهو في اللسان «رود» منسوب للجموح الظَّفري.

(٣) ق: تلثم.

(٤) البيت لودّاك بن سنان في شرح الحماسة١: ١٢٧ وشرح المفصل ٤: ٤١.

[٥٧٦/ب] سفوان: موضع. ونصب «بعض» برويد اسم الفعل. فسيحيط بهم العذاب كما كان في يوم بدر وغيره. لما كرّر الأمر توكيداً خالف بين اللفظين، على أن الأول مطلق والثاني مقيّد بقوله «رويدا».

سورة الأعلى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ
ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا
يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا
ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣ قَدْ أَفْلَحَ مَن
تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ الآية، هذا السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ ﴾ [الطارق] كأن قائلاً قال: مَن خلقه على هذا المثال؟ فقيل: «سبح اسم ربك الأعلى» وأيضاً لما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ ﴾ [الطارق] قيل: هو «سنقرئك» أي: ذلك[2] القول الفصل. و﴿ سَبِّحِ ﴾ نزّه عن النقائص. ﴿ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾ الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي: نزِّهْه عن أن يُسمّى به صنم أو وثن، فيقال له ربٌّ أو إله. وإذا كان قد أمر بتنزيه اللفظ أن يطلق على غيره، فهو أبلغ، وتنزيه الذات أحرى. وقيل: الاسم هنا بمعنى المسمّى. قيل: لما نزل «سبح اسم ربك الأعلى» قال

---

(١) مكية وهي تسع عشرة آية.

(٢) ق: ذا.

رسول الله ﷺ[1] «اجعلوها في سجودكم». وكانوا يقولون في الركوع: اللهم لك ركعت. وفي السجود: اللهم لك سجدت. والأظهر أن «الأعلى» صفة لـ«ربك».

﴿ٱلَّذِى﴾ صفة أيضاً. ﴿خَلَقَ﴾ أي: كل شيء. ﴿فَسَوَّىٰ﴾ أي: لم يأت متفاوتاً بل متناسباً على إحكام وإتقان، على أنه صادر عن عالم حكيم.

و﴿فَهَدَىٰ﴾ عام لجميع الهدايات. و﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾ النبات الذي يُرعى.

والغثاء: ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وغير ذلك. والأحوى: السواد المائل إلى الخضرة. ولما تغايرت الصفات، وتباينت، أتى لكل صلة بموصول، وعطف على كل صلة ما يترتب عليها فجاء الموصول الأول «الذي خلق فسوى» والثاني «الذي قدّر فهدى» والثالث: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء. فـ«أحوى» حال من «المرعى» وأخّر لكونه فاصلة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ هذا في معنى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة] وعده الله أن يقرئه، وأخبره أنه لا ينسى نسياناً لا يكون بعده ذكر، إذ كان يحرك شفتيه مبادرة، خوفاً من أن ينسى. وهذه آية للرسول عليه السلام في أنه أمّي وحفظ الله عليه الوحي وآمنه من نسيانه.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الظاهر أنه استثناء مقصود معناه: ممّا قضى الله بنسخه، وأن ترتفع تلاوته وحكمه. ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ أي: جهرك بالقرآن. ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ أي: في نفسك من خوف التفلّت، وقد كفاك ذلك لكونه تكفّل بإقرائك إياه،

---

(١) أخرجه ابن ماجة ١ : ٢٨٧ من حديث عقبة بن عامر الجهني.

وإخباره أنك لا تنسى إلا [٥٧٧/أ] ما استثناه. وتضمّن ذلك إحاطة علمه بالأشياء.

﴿ وَنُيَسِّرُكَ ﴾ معطوف على «سنقرئك» وما بينهما من الجملة المؤكدة اعتراض، أي: نوفقك للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني في حفظ الوحي.

ولما أخبر أنه يقرئه وييسّره، أمره بالتذكير إذ ثمرة الإقراء هي انتفاعه في ذاته وانتفاع من أُرسل إليهم. والظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى. وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي: إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة. ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى.

﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ أي: يتذكر بذكراك من يخاف، فإن الخوف حامل على النظر في الذي ينجيه مما يخافه.

﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ﴾ أي: الذكرى. ﴿ ٱلْأَشْقَى ﴾ أي: البالغ في الشقاوة لأن الكافر بالرسول عليه السلام هو أشقى الكفار، كما أن المؤمن به وبما جاء به هو أفضل ممّن آمن برسول قبله.

ثم وصفه(١) بما يؤول إليه حاله في الآخرة وهو صلي النّار. ووصفها بـ«الكبرى» وهي(٢) نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا.

﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ ﴾ فيستريح ﴿ وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة هنيّة. وجيء بـ«ثمّ» المقتضية للتراخي إيذاناً بتفاوت مراتب الشّدة، لأن التردد بين الحياة والموت أشد

(١) ق: وصف.

(٢) ق: هي.

وأقطع من الصّلي.

﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ أي: فاز وظفر بالبغية. ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ من تطّهر من الشرك وقال: لا إله إلا الله، قاله ابن عباس.

﴿ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾ أي: وحده لم يقرنه بشيء من الأنداد. ﴿فَصَلَّىٰ﴾ أي: الصلاة المفروضة وما أمكنه من النوافل. والمعنى أنه لمّا تذكر آمن بالله. ثم أخبر تعالى عنه أنه أفلح من أتى بهاتين العبادتين الصلاة والزكاة.

وقرىء: يؤثرون، بياء الغيبة، وبالتاء خطاباً للكفار.

[﴿ إِنَّ هَٰذَا﴾ أي قوله]: «والآخرة خير وأبقى». ﴿ لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ لم ينسخ إفلاح من تزكّى والآخرة خير وأبقى في شرع من الشرائع، فهو في الأولى وفي آخر الشرائع. وتقدم الكلام على صحف إبراهيم وموسى في سورة النجم[١].

(١) انظر تفسير الآيتين ٣٦، ٣٧ من النجم.

سورة الغاشية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿فَذَكِّرْ ۝٩﴾ [الأعلى] وذكر النار والآخرة قال «هل أتاك حديث الغاشية». و«الغاشية» الدّاهية التي تغشى الناس بشدائدها، يعني القيامة. وهذا استفهام توقيف فائدته[2] تحريك نفس السامع إلى تلقي الخبر.

﴿خَٰشِعَةٌ﴾ [٥٧٧/ب] ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ عاملة في النار، ناصبة: تَعِبَة فيها، لأنها تكبّرت عن العمل في الدنيا. وعملها في النار جرّها السلاسل والأغلال وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل.

---

(١) مكية وهي ست وعشرون آية.

(٢) ق: فائدة.

﴿حَامِيَةً﴾ مستعرة. ﴿ءَانِيَةٍ﴾ قد انتهى حرّها، كقوله ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الرحمن].

والضّريع في اللغة: يبس العرفج[١] إذا تحطّم. وقال ابن عباس: شجر من نار.

قال الزمخشري[٢]: «لا يسمن» مرفوع المحلّ أو مجروره على وصف «طعام» أو «ضريع»، يعني أن طعامهم من شيء ليس من طعام الإنس، وإنما هو شوك، والشوك ممّا ترعاه الإبل وتتولع [به]. وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه، ومنفعتا الغذاء[٣] منتفيتان عنه، وهما إماطة الجوع، وإفادة القوة والسّمن في البدن انتهى.

فقوله: مرفوع المحل أو مجروره على وصف «طعام» أو «ضريع»: - أما جرّه على وصفه لـ«ضريع» فيصحّ لأنه مثبت منفي عنه السمن والإغناء من الجوع. وأما رفعه على وصفه لـ«طعام» فلا يصح؛ لأن الطعام منفي و«لا يسمن» منفيّ، فلا يصح تركيبه إذ يصير التقدير: ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا من ضريع. فيصير المعنى أن لهم طعاماً يسمن ويغني من جوع من غير الضريع، كما تقول: ليس لزيد مال لا ينتفع به إلا من مال عمرو. فمعناه أن له مالاً ينتفع به من غير مال عمرو.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ صحّ الابتداء في هذا وفي قوله ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾﴾ [الغاشية] بالنكرة لوجود مسوّغ ذلك وهو التفصيل. «ناعمة»

---

(١) العرفج: شجر ينبت في السهل.

(٢) الكشاف ٤: ٢٤٦.

(٣) ق: الغثان.

لحسنها ونضارتها، أو متنعّمة.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي: لعملها[1] في الدنيا بالطاعة راضية، إذا كان ذلك العمل جزاؤه الجنّة.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي: مكاناً ومكانة.

وقرىء: لا تُسمَع، بتاء التأنيث بالبناء للمفعول، لاغيةٌ، رفعٌ أي: كلمة لاغية. وقرىء لا تسمع، بتاء الخطاب عموماً، لاغيةً، بالنصب.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ «عين» اسم جنس أي: عيون، أو مخصوصة ذكرت تشريفاً لها.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ من رفعة المنزلة أو رفعة المكان ليرى ما خوّله ربه من الملك والنعيم. ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ أي: بأشربتها معدَّة لا تحتاج إلى مالىء[2].

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ أي: وسائد صفّ بعضها إلى جنب بعض للاستناد إليها والاتكاء عليها.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ أي: متفرقة هنا وهنا في المجالس. والزرابي: بسط عراض فاخرة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ

(١) ق: بعملها.
(٢) فوقها في ق: كذا.

ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

ولمّا ذكر تعالى أمر القيامة وانقسام أهلها إلى أشقياء وسعداء، وعُلم أنه لا سبيل إلى اثبات ذلك إلا بواسطة الصانع الحكيم، أتبع ذلك بذكر هذه الدلائل، وذكر ما العرب مشاهدوه وملابسوه دائماً فقال ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ﴾ وهي الجمال، فإنه اجتمع فيها ما تفرّق من المنافع في غيرها من أكل لحمها، وشرب [٥٧٨/أ] لبنها، والحمل عليها، والتنقّل عليها إلى البلاد الشاسعة، وعيشها بأي نبات أكلته، وصبرها على العطش حتى أن فيها ما يرد الماء لعشر، وطواعيتها لمن يقودها، ونهضها وهي باركة بالأحمال الثقال، وكثرة حنينها، وتأثّرها بالصوت الحسن، على غلظ أكبادها. ولا شيء من الحيوان جمع هذه الخصال غيرها، ولكونها أفضل ما عند العرب حتى جعلوها ديةً. وناسب التنبيه بالنظر إليها وإلى ما حوت من عجائب الصفات، ما ذكر معها من السماء والجبال والأرض، لانتظام هذه الأسماء في نظر العرب في أوديتهم وبواديهم، وليدلّ على [أنّ] الاستدلال على إثبات الصانع ليس مختصاً بنوع دون نوع، بل هو عام في كل موجوداته، كما قال(١):

وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنّه واحدُ

و﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ جملة استفهامية في موضع البدل من «الإبل». و«ينظرون» تعدى إلى «الإبل» بوساطة «إلى» أي: إلى كيف خلقت، على سبيل التعليق.

وقد تبدل الجملة وفيها الاستفهام، من الاسم الذي قبلها كقولهم: عرفت

---

(١) البيت لأبي العتاهية في ديوانه ص١٠٤.

زيداً أبو من هو، على أصح الأقوال. على أن العرب قد أدخلت إلى على كيف، فحكي أنهم قالوا: انظر إلى كيف يصنع. و«كيف» سؤال عن حال والعامل فيها «خلقت». وإذا عُلّق الفعل عمّا فيه الاستفهام، لم يبق الاستفهام على حقيقته.

﴿سُطِحَتْ﴾ أي: صارت كالمهاد للمتقلّب عليها.

ولمّا حضّهم على النظر، أمر رسوله عليه السلام بتذكيرهم فقال ﴿فَذَكِّرْ﴾ ولا يهمّنك كونهم لا ينظرون. ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ كقوله ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۝٤٨﴾ [الشورى].

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمسلّط، كقوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۝٤٥﴾ [ق].

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ «إلا» حرف استثناء، فقيل متصل، أي: فأنت مسيطر[1] عليه. وقيل منقطع من «فذكّر» أي: فذكّر إلا من انقطع طمعك من إيمانه، وتولّى فاستحقّ العذاب الأكبر، وما بينهما اعتراض. وقرأ ابن عباس: ألا، حرف تنبيه واستفتاح، ومَن: مبتدأ. و﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ هو عذاب جهنم.

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: إلى جزائنا رجوعهم.

وأتى بلفظ ﴿عَلَيْنَا﴾ دليلاً على تحتّم الحساب منه تعالى عليهم.

---

(١) ق: متصل.

سورة الفجر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾.

﴿وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ الآية، هذا السورة مكية في قول الجمهور. ولمّا ذكر فيما قبلها ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢﴾ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ [الغاشية] أتبعه بذكر الطوائف المكذبين، وأشار إلى الصنف الآخر الذين [٥٧٨/ب] وجوههم ناعمة بقوله ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر]. والظاهر أن «الفجر» هو المشهور أقسم به كما أقسم بالصبح. ويراد به الجنس لا فجر يوم مخصوص.

﴿عَشْرٍ﴾ العشر الأواخر من رمضان، قاله ابن عباس، للحديث المتفق على صحته[2] «قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله».

---

(١) مكية وآياتها ثلاثون.

(٢) البخاري ٢: ٧١١، ومسلم ٢: ٨٣٢.

﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ روى أبو أيوب عنه عليه السلام[١]: «الشّفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النّحر».

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ قَسَمٌ بجنس الليل. و«يسري» يذهب وينقرض كقوله[٢] ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر]. وجواب القسم محذوف.

قال الزمخشري[٣]: وهو ليعذّبن، يدلّ عليه قوله ﴿أَلَمۡ تَرَ ٦﴾ إلى قوله ﴿فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣﴾ [الفجر]. وقال ابن الأنباري: الجواب قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر]. والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية وهو قوله ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ وتقديره: لإِيابُهم إلينا وحسابهم علينا.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾ تقرير على عظم هذه الأقسام، أي: هل فيها مقتنع في القسم لذي عقل فيزدجر، ويفكر في آيات الله تعالى.

ثم وقف المخاطب على مصارع الأمم الكافرة الماضية، مقصوداً بذلك توعُّد قريش ونَصْب المَثَل لها. وعاد: هم قوم هود. و«إرم» تسمية لهم باسم جدّهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة. وذكر المفسّرون أنّ «ذات العماد» مدينة ابتناها شدّاد بن عاد لمّا سمع بذكر الجنّة، على أوصافٍ بعيدٌ أو مستحيل عادة أن يُبنى في الأرض مثلها، وأنه تعالى بعث عليه وعلى أهله صيحة قبل أن يدخلوها فهلكوا[٤] جميعاً. والضمير في «مثلها» عائد على المدينة التي

---

(١) أخرجه أحمد ٣: ٣٢٧ من حديث جابر، بألفاظ مختلفة.

(٢) ق: لقوله.

(٣) الكشاف ٤: ٢٥٠.

(٤) ق: هلكوا.

هي «ذات العماد». ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ أي: في بلاد الدنيا.

﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ خرقوه ونحتوه فاتخذوا في الحجارة منها بيوتاً. قيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفاً وسبع مئة مدينة كلها بالحجارة ﴿بِٱلْوَادِ﴾ وادي القرى. وقيل: جابوا[١] واديهم وجلبوا ماءهم في صخر وشقّوه فِعْل ذوي القوة والآمال.

﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ تقدّم الكلام عليه في صّ[٢]. «الذين» صفة لعاد وثمود وفرعون، أو منصوب على الذّم، أو مرفوع على إضمار: هم.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ﴾ أبهم هنا وأوضح في الحاقّة وفي غيرها[٣] يقال: صبَّ عليه السّوط وغشّاه وقنّعه. واستعمل الصبّ في السوط لاقتضائه السرعة في النزول على المضروب. وخصّ السوط، فاستعبر العذاب، لأنه يقتضي من التكرار والتّرداد ما لا يقتضيه السيف و لاغيره.

والمرصاد والمرصد: المكان الذي يترتّب فيه الرّصد، مفعال مِن: رَصَده. وهذا مَثَل لإرصاده العصاة بالعقاب، وأنّهم لا يفوتونه.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا
ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا
تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾
وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ
صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ

---

(١) ق: صابوا، وفوقها: كذا.

(٢) انظر تفسير الآية ١٢ من ص.

(٣) انظر شرح الآيات ٤-١٠ من الحاقة، وانظر مثلاً الأعراف: ٦٥-٧٩، ١٠٣-١٣٧.

ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

[٥٧٩/أ] ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ ذكر تعالى ما كانت قريش تقوله وتستدلّ به على إكرام الله تعالى وإهانته لعبده؛ فيرون المكرَم مَن عنده الثروة والأولاد، والمهان ضدّه. ولمّا كان هذا غالباً عليهم وبّخوا بذلك. و«الإنسان» اسم جنس. ويوجد هذا في كثير من [أهل] الإسلام.

و﴿فَيَقُولُ﴾ في الموضعين خبر مبتدأ محذوف تقديره: فهو يقول، وهو جواب «إذا». وقرىء: أكرمني، وأهانني، بياء الإضافة وحذفها.

وقرىء: تكرمون، بالتاء والياء، والمعاطيف عليه. وقرىء: تُحاضّون.

﴿ٱلتُّرَاثَ﴾ التاء بدل من الواو. وكانوا لا يورثون النساء ولا صغار الأولاد، فياكلون نصيبهم، ويقولون: لا يأخذ الميراث إلا من يقاتل ويحمي الحوزة. واللّم: الجمع واللّف. والجمّ: الكثير.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك، وإنكار لفعلهم. ثم أتى بالوعيد، وذكر تحسّرهم على ما فرطوا في دار الدنيا. ﴿دَكّٗا دَكّٗا﴾ حال كقوله(١): باباً باباً، أي: مكرراً عليها الدّك.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قدرته وسلطانه(٢). ﴿وَٱلۡمَلَكُ﴾ اسم جنس يشمل الملائكة. روي أنهم ملائكة كل سماء [يكونون

---

(١) مثاله: علمته الحساب باباً باباً.

(٢) هذه العبارة من كلام الزمخشري، انظر الكشاف ٤: ٢٥٣.

صفّاً حول الأرض في يوم القيامة. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ تنزل ملائكة كل سماء] فيصطفّون صفّاً بعد صف محدقين[1] بالجن والإنس[2].

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ﴾ كقوله ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات]. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ﴾ «يومئذ» بدل من «إذا»[3] [الفجر] أي: يتذكر ما فرّط فيه. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: منفعة الذكرى، لأنه لا ينفع فيه التذكير، لو اتّعظ في الدنيا نفعه ذلك في الأخرى.

﴿لِحَيَاتِى﴾ الهنيّة وهي حياة الآخرة.

وقرىء: لا يعذِّب، ولا يُوثِق، مبنيّين للفاعل، فـ«أحد» فاعل، والمعنى أنه لا يعذِّب احدٌ مثل عذاب الله في الآخرة للكافر. وقرىء بفتح الذّال والثّاء[4]، فـ«أحد» مفعول لم يُسمَّ فاعله.

ولمّا ذكر تعالى شيئاً من أحوال من يعذّب، ذكر شيئاً من حال المؤمن فقال ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾. وهذا النداء، الظاهر أنه على لسان ملك مخبراً عن الله تعالى. ﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ الآمنة التي لا يلحقها خوف ولا حزن.

﴿ٱرْجِعِىٓ﴾ أي: ردّي. ﴿إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ إلى موعد ربك، ﴿رَاضِيَةً﴾ بما أُوتِيَتْهُ ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله تعالى.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: في جملة الصالحين. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم.

---

(١) فوقها في ق: كذا.

(٢) وهذه العبارة ايضاً للزمخشري في الكشاف ٤ : ٢٥٣.

(٣) الآية ٢١ السابقة.

(٤) يعني في قوله «ولا يوثق»

سورة البلد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ۝١٤ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ۝١٧ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠ ﴾.

﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور. ولما ذكر تعالى ابتلاءه للإنسان بحالة التنعيم وحالة التقدير، وذكر من صفاته الذّميمة ما ذكر وما آل إليه [٥٧٩/ ب] حاله وحال المؤمن - أتبعه بنوع من ابتلائه ومن حاله السيئ وما آل إليه في الآخرة. والإشارة بـ«هذا البلد» إلى مكة.

﴿ وَأَنتَ حِلُّۢ ﴾ جملة حالية تفيد تعظيم المقسَم به، أي: وأنت مقيم به، وهذا هو الظاهر.

﴿ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴾ لا يراد به معيّن، بل ينطلق على كل والد وولد، وقيل:

---

(١) مكية وهي عشرون آية.

على آدم وجميع ولده.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ هذه الجملة المقسَم عليها. والجمهور على [أنّ] «الإنسان» اسم جنس. ﴿فِى كَبَدٍ﴾ يكابد مشاقّ الدنيا والآخرة، ومشاقّه لا تكاد تنحصر من أول قطع سرّته إلى أن يستقر [في] قراره، إما إلى جنة فتزول عنه المشقات جميعها، وإما إلى نار فتتضاعف مشقاته وشدائده.

والظاهر أن الضمير في ﴿أَيَحْسَبُ﴾ عائد على الإنسان، أي: هو لشدّة شكيمته وعزّته وقوّته، يحسب أنه لا يقاومه أحد، ولا يقدر عليه لاستعصامه بعدده وعُدده.

﴿يَقُولُ﴾ على سبيل الفخر ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي: كثيراً في المكارم وما يحصل به الثناء.

﴿أَيَحْسَبُ﴾ أن أعماله تخفى، وأنه لا يراه أحد، ولا يطّلع عليه في إنفاقه ومقصده مما يبتغيه، مما ليس لوجه الله تعالى منه شيء. بل عليه حَفَظَةٌ يكتبون ما يصدر عنه من عمل في حياته، ويحصونه إلى يوم الجزاء.

ثم عدّد تعالى نعمه على الإنسان فقال ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾ أي: يبصر بهما.

﴿وَلِسَانًا﴾ يفصح عمّا في باطنه. ولم يتعرّض للسمع لأنه يلزم من الكلام السمع. ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يطبقهما على فيه، ويستعين بهما على الأكل والشرب والنفخ وغير ذلك.

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ قال ابن عباس: الخير والشر، وقيل: الثّديان.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يشكر تلك النعم السابقة. و«لا» نافية،

والمعنى: لم يقتحم. و«العقبة» استعارة لهذا العمل الشّاق على النفس من حيث [هو] بذل مال، تشبيه بعقبة الجبل[١]، وهو ما صعب منه وكان صعوداً، فإنه يلحقه مشقة في سلوكها. واقتحمها: دخلها بسرعة وضغط وشدّة. والقحمة: الشدّة والسّنة الشديدة، يقال: قحم في الأمر قحوماً: رمى نفسه فيه من غير رويّة.

وقرىء: فَكَّ، فعلاً ماضياً. رقبةً، نصباً. أو أطعَمَ، فعلاً ماضياً. وقرىء: فكُّ، مرفوعاً خبر مبتدأ محذوف أي: هي فكّ رقبةٍ، مجروراً بالإضافة.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ﴾ مصدر منوّن معطوف على «فكُّ». وفيه دليل على إعمال المصدر منوّناً، إذ نصب به «يتيماً» ونظيره قول الشاعر[٢]: **[من الوافر]**

بضـربٍ بـالسيـوف رؤوسَ قـومٍ أَزَلْنـا هـامَهُـنَّ عـن المَقيـلِ

ووصف «يوم» بـ«ذي مسغبة» على الاتّساع. والمسغبة: المجاعة. ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ لتجتمع صدقة وصلة.

﴿أَوْ مِسْكِينًا﴾ «أو» للتنويع. ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [٥٨٠/أ] هم المطروحون على ظهر الطريق قعوداً على التراب، لا بيوت لهم.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا معطوف على قوله «فلا اقتحم العقبة» ودخلت «ثم» لتراخي الإيمان في الرتبة والفضيلة لا للتراخي في الزمان، لأنه لا بدّ أن يسبق تلك الأعمال الحسنة الإيمان؛ إذ هو شرط في صحة وقوعها من الطائع. ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان

---

(١) ق: الجمل.

(٢) البيت للمرار الأسدي، من شواهد سيبوية ١: ١١٦، ١٩٠.

والطاعات وعن المعاصي.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ أي: بالتعاطف[١] والتراحم، أو بما يؤدي إلى رحمة الله تعالى.

﴿ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ و﴿ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تقدّم الكلام عليهما في الواقعة[٢].

﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ قرىء بالهمز وبالواو. يقال: أوصدت الباب وآصدته إذا أغلقته وأطبقته، وقال الشاعر[٣]: [من الطويل]

تحــنُّ إلــى أجبــالِ مكّــةَ نــاقتــي ومن دونها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ

---

(١) ق: بالمعاطيف.

(٢) انظر تفسير الآيتين ٨، ٩ من الواقعة.

(٣) البيت في شرح شواهد الكشاف ص٣٩١ غير منسوب.

سورة الشمس(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا
يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا
فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ
بِطَغۡوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ۝١٣
فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ
عُقۡبَٰهَا ۝١٥﴾.

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الآية، هذه السوره مكية. ولما قدّم القَسَم ببعض المواضع الشريفة وما بعدها، أقسم هنا بشيء من العالم العلوي والعالم السفلي، وبما هو آلة(٢) التفكر في ذلك وهو النفس. وكان آخر ما قبلها مختتماً بشيء من أحوال الكفار في الآخرة، فاختتم آخر هذه بشيء من أحوالهم في الدنيا، وفي ذلك مآلهم في الآخرة إلى النار وفي الدنيا إلى الهلاك المستأصل. وتقدم الكلام على ضحى في طه(٣).

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ معناه تبعها دأباً في كل وقت لأنه يستضيء منها فهو

---

(١) مكية وآياتها خمس عشرة.

(٢) ق: له.

(٣) انظر تفسير الآية ٥٩ من طه.

يتلوها لذلك.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الظاهر أن مفعول «جلاّها» وهو الضمير، عائد على «الشمس»، لأنه عند انبساط النهار تنجلي الشمس في ذلك الوقت تمام الانجلاء.

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ أي: يغشى الشمس، فبدخوله تغيب وتظلم الآفاق. ونسبة ذلك إلى الليل مجاز. وأتى بالمضارع في «يغشاها» لأنه الذي ترتّب فيه، ولو أتى بالماضي كالذي قبله وبعده[1]، كان يكون التركيب: إذا غشيها، فتفوت الفاصلة وهي مقصودة.

و«ما» في «وما بناها» و«وما طحاها» و«وما سواها» بمعنى الذي، وقيل مصدرية.

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: لم نُكّرت النفس؟ قلت فيه وجهان: أحدهما أن يريد نفساً خاصة من النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس انتهى.

وهذا فيه بُعد، للأوصاف المذكورة بعدها فلا تكون إلا للجنس. ألا ترى إلى قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ كيف يقتضي التغاير في المزكّى والمدسّى؟.

﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ قال ابن عباس: عرّفها.

[٥٨٠/ب] ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ جواب القسم وحذفت اللام لطول المعاطيف على

---

(١) ق: وبعدها.

(٢) الكشاف ٤: ٢٥٨.

القسم. و﴿ زَكَّىٰهَا﴾ طهّرها ونمّاها بالعمل الصالح.

و﴿ دَسَّىٰهَا ﴾ أخفاها وحقّرها بالمعاصي. والتدسية: الإخفاء، أصله دسس، فأبدل من ثالث المضاعف حرف علّة[١]. والظاهر أن فاعل زكّى ودسّى ضمير يعود على «مَن».

ولمّا ذكر تعالى خيبة من دسّى[٢] نفسه، ذكر فرقة فعلت ذلك وهي ثمود صالح، فعلت ذلك ليُعتبر بهم، لأنهم أقرب البلاد إلى الحجاز.

﴿ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ الباء سببيّة، أي: كذبت ثمود نبيّها بسبب طغيانها. قال ابن عباس: الطغوى هنا: العذاب، كذبوا به حتى نزل بهم. وهو من الطغيان، قلبت فيه الياء واواً فصلاً بين الاسم وبين الصفة.

﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أي: خرج لعقر الناقة بنشاط وحرص. والناصب لـ«إذ»: «كذبت». و﴿ أَشْقَىٰهَا﴾ هو قدار بن سالف.

والضمير في «لهم» عائد على «ثمود». ﴿ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ هو صالح عليه السلام. وقرىء: ناقة الله، بنصب التاء وهو منصوب على التحذير مما يجب إضمار عامله، لأنه قد عُطف عليه، فصار حكمه بالعطف حكم المكرّر [كقولك]: الأسد الأسد. أي: احذروا ناقة الله، أي: عَقرها وعاقبة أمرها، أو ذروا عَقْرها وسقياها فلا تمنعوها من السّقيا.

﴿ فَعَقَرُوهَا﴾ أسند العقر للجميع لكونهم راضين به ومتمالئين عليه.

---

(١) ق: ثالث المضارع حرف علّته.

(٢) ق: دسّ.

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ يقال: دمدم عليه القبر: أطبقه. وقال مؤرج: الدّمدمة: الهلاك باستئصال. وفي الصحاح[١]: دمدمتُ الشيء: ألزقْتَه بالأرض وطَحْطَحْتَه.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي: سوّى القبيلة في الهلاك، عاد عليها بالتأنيث كما عاد في «بطغواها». وقيل: سوّى الدمدمة أي سوّاها بينهم فلم يُفلت منهم صغيراً ولا كبيراً.

والضمير في «يخاف» عائد على «أشقاها» أي: انبعث بعقرها، وهو لا يخاف عقبى فعله لكفره وطغيانه. والعقبى: خاتمة الشيء وما يجيء من الأمور بعقبه.

(١) مادة دمم.

سورة الليل (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤
فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ
وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١ إِنَّ
عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا
ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨
وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١ ﴾ .

﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس] ذكر هنا من الأوصاف ما يحصل به الفلاح وما يحصل به الخيبة. ومفعول «يغشى» محذوف، فاحتمل أن يكون النهار لقوله ﴿ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ ۝٥٤ ﴾ [الأعراف]. وأن يكون الشمس لقوله ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ ﴾ [الشمس].

و﴿ تَجَلَّىٰ ﴾ انكشف وظهر إما بزوال ظلمة الليل وإما بنور الشمس. أقسم بالليل الذي فيه كل حيوان [٥٨١/أ] يأوي إلى مأواه، وبالنهار الذي ينتشر(٢) فيه.

---

(١) مكية وهي إحدى وعشرون آية.

(٢) ق: يتيسر.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ «ما» مصدرية أو بمعنى الذي. والظاهر عموم الذكر والأنثى.

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾ أي: مساعيكم. ﴿لَشَتَّىٰ﴾ أي متفرقة.

ثم فصّل هذا السعي [فقال]: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ الآية، روي أنها نزلت[1] في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. كان يعتق ضَعَفة العبيد الذين أسلموا، وينفق في رضا رسول الله ﷺ ماله، وكان الكفار بضدّه. ﴿أَعْطَىٰ﴾ أي: حقّ الله، ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله. ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ هي الجنّة.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي: نهيّئه للحالة التي هي أيسر عليه وأهون، وذلك في الدنيا والآخرة. وهذا من التجنيس المغاير: «فسنيسره» فعل و«اليسرى» اسم.

وقابل «أعطى» بـ«بخل» و«اتّقى» بـ«استغنى» لأنه زهد فيما عند الله تعالى بقوله «واستغنى».

﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ وهي الحالة السيئة في الدنيا والآخرة. وجاء: نيسّره للعسرى، على سبيل المقابلة لقوله: نيسّره لليسرى. والعسرى لا تيسير فيها. وقد يراد بالتيسير التّهيئة، وذلك يكون في اليسرى والعسرى.

﴿وَمَا يُغْنِي﴾ يجوز أن تكون «ما» نافية، واستفهامية أي: وأيّ شيء يغني عنه ماله؟. ﴿إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ تفعّل، من الرّدى أي: هلك.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ التعريف بالسّبل ومَنْحهم الإدراك كما قال ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ (٩)﴾ [النحل].

(١) انظر أسباب النزول ص٣٠٠.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: ثواب الدّارين.

﴿الْأَشْقَى﴾ جعل مختصاً بالصّلي كأن النار لم تُخلق إلّا له. و﴿الْأَتْقَى﴾ جعل مختصاً بالنجاة كأن الجنة لم تُخلق إلا له. ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ أي: يكون عند الله زاكياً.

﴿مِن نِّعْمَةٍ﴾ «مِن» زائدة. و«نعمة» مبتدأ. و﴿تُجْزَىٰ﴾ صفة لـ«نعمة». خبره «لأحد».

﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ﴾ مفعول له، لأن معنى ما قبله: ما آتى المال إلا ابتغاء وجه ربه.

﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعدٌ بالثواب له.

سورة الضحى[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾.

﴿ وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزولها قال ابن عباس: أبطأ الوحي مرة على رسول الله ﷺ وهو بمكة حتى شقّ ذلك عليه. فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: يا محمد ما أرى[2] شيطانك إلّا قد تركك فنزلت الآية[3]. ولما ذكر فيما قبلها ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝١٧ ﴾ [الليل] وكان سيد الأتقياء رسول الله ﷺ، ذكر هنا نعمه تعالى عليه.

﴿ مَا وَدَّعَكَ ﴾ أي: ما تركك. وقرأ أبو بحريّة[4] وابن أبي عبلة بالتخفيف: ما وَدَعَك. ﴿ وَمَا قَلَىٰ ﴾ ما أبغضك. واللغة الشهيرة في مضارع قلى: يَقلى.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ [٥٨١/ ب] رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ ذلك في الآخرة. وقال ابن

---

(١) مكية وهي إحدى عشرة آية.

(٢) ق: أدري.

(٣) انظر البخاري ٤: ١٨٩٢، وأسباب النزول ص٣٠١.

(٤) فوقها في ق: كذا.

عباس: رضاه أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار واللام في ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ لام الابتداء أكّدت مضمون الجملة.

ولمّا وعده هذا الموعد الجليل، ذكّره بنعمه عليه في حال نشأته. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ يَعْلَمْك[1]. ﴿يَتِيمًا﴾ توفّي أبوه عليه السلام وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر، وماتت أمه عليه السلام وهو ابن ثماني سنين، فكفله عمّه أبو طالب وأحسن تربيته. وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: لِمَ يُتِّمَ النبي ﷺ من أبويه؟. فقال لئلا يكون عليه حقّ لمخلوق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ قال ابن عباس: هو ضلاله وهو صغير في شعاب مكة، ثم ردّه الله إلى جدّه عبد المطّلب. ورأيت في النّوم أني أفكّر في هذه الجملة، فأقول على الفور: ﴿وَوَجَدَكَ﴾ أي: وجد رهطك ضالاً فهداه بك!.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ أي: فقيراً، عال الرجل: افتقر، وأعال: كثر عياله. ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ رضّاك بما أعطاك من الرزق.

ولمّا عدّد عليه هذا النّعم الثلاث، وصّاه بثلاث كأنها مقابلة لها. ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي: لا تحقره.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ﴾ ظاهره المستعطي. «فلا تنهر» أي: تزجره لكن أعطه أو رُدَّه ردّاً جميلا.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ معناه بُثَّ القرآن وبَلِّغْ ما أُرسلتَ به.

والظاهر أنه لما تقدّم ذكر الامتنان عليه بذكر الثلاثة، أمره بثلاثة، فذكر اليتيم أوّلاً وهي البداية، ثم ثانياً [السائل] وهو العائل، وكان أشرف ما امتنّ

(١) فوقها في ق: كذا.

به عليه هي الهداية، فترقّى من هذين إلى الأشرف وجعله مقطع السورة.
وإنما وسّط ذلك عند ذكر الثلاثة، لأنه بعد اليُتم هو زمان التكليف، وهو عليه السلام معصوم من اقتراف ما لا يُرضي الله تعالى في القول والفعل والعقيدة، فكان ذكر الامتنان بذلك على حسب الواقع بعد اليُتم وحالة التكليف، وفي الآخر ترقّى إلى الأشرف، فهما مقصدان في الخطاب.

سورة الانشراح(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨ ﴾ .

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. وشرح الصدر(٢): تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقّي ما يوحى إليه. وقيل: إشارة إلى شقّ جبريل صدره في وقت صغره.

وقرأ أبو جعفر المنصور: ألم نشرحَ، بنصب الحاء. وخرّجه ابن عطية على أنه: ألم نشرحن، فأبدل من النون ألفاً ثم حذفها تخفيفاً. وأحسنُ من هذا التخريج ما ذكره اللحياني في نوادره عن بعض العرب(٣) أنهم يجزمون [٥٨٢/ أ] بلن وينصبون بلم.

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس، عبّر عن ذلك بالحطّ على سبيل المبالغة في انتفاء ذلك كما يقول القائل: رفعت عنك مشقّة الزيارة، لمن لم تصدر منه زيارة، على طريق

---

(١) مكية وهي ثمان آيات.

(٢) ق: والشرح تنويره.

(٣) ق: العجم.

المبالغة في انتقاء زيادته.

وقال أهل اللغة: أنقض الحمل ظهر الناقة إذا سمعت له صريراً من شدّة الحمل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو أنْ قرنه بذكره تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهّد والخُطب وفي غير موضع من القرآن وفي تسمية رسول الله ﷺ ونبيّ الله، وذكره في كتب الأوّلين والأخذ على الأنبياء وأمّتهم أن يؤمنوا به. وقال حسان فيه عليه السلام[١]: [من الطويل]

أغـرُّ عليـه للنبـوّة خـاتَـمٌ   مـن الله مشهـودٌ يلـوح ويُشْهَـدُ
وضمّ الإلهُ اسم النبي إلى اسمه   إذا قال في الخمس المؤذن: أشهد

وتعديد هذه النّعم عليه ﷺ يقتضي أنه تعالى كما أحسن إليك[٢] بهذه المراتب، فإنه يحسن إليك[٣] بظفرك بأعدائك وبنصرك عليهم. وكان الكفار يعيّرون المؤمنين بالفقر، فذكره هذه النّعم وقوّى رجاءه بقوله ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أي: إن مع الضيق فرجاً. ثم كرّر ذلك مبالغة في حصول اليسر.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ أي: من فرضك. ﴿فَٱنصَبْ﴾ من التنفّل عبادة لربك.

﴿فَٱرْغَب﴾ أمرٌ مِن رَغِبَ ثلاثياً، أي: اصرف وجه الرغبات إليه لا إلى سواه.

---

(١) ديوانه ص١٣٤.

(٢) ق: إليه.

(٣) فوقها في ق: كذا.

سورة التين(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾.

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها مَن كمَّله الله تعالى خَلْقاً وخُلُقاً وفضّله على سائر العالم، ذكر(٢) هنا حالة من يعاديه، وأنه يردّه إلى أسفل السافلين في الدنيا والآخرة. وأقسم تعالى بما أقسم به أنه خلقه مهيّأً لقبول الحق، ثم نقله كما أراد إلى الحالة السافلة. والظاهر أن «التين والزيتون» هما المشهوران بهذا الاسم. وفي الحديث(٣) مدح التّين وأنه يقطع البواسير وينفع في النقرس. قال تعالى ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون] أقسم تعالى بمنابتهما، والتين ينبت كثيراً بدمشق والزيتون بإيلياء، فأقسم بالأرضَيْن. وقيل هما جبلان بالشام على أحدهما دمشق وعلى الآخر بيت المقدس. ومعنى «سينين» ذو الشجر.

(١) مكية وهي ثماني آيات.

(٢) ثم ذكر، وفوقها: كذا.

(٣) أورد القرطبي في ذلك ٢٠: ١١٠ حديثاً عن أبي ذرّ.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو مكة. وأمين للمبالغة أي: أمِنَ مَنْ فيه [٥٨٢/ب] ومن دخله وما فيه من طير وحيوان. ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين، فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشؤه، والطور: المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام. ومكة: مكان مولد الرسول ﷺ ومبعثه، ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين.

﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في حسن صورته(١) وحواسّه، و«الإنسان» هنا اسم جنس. و«أحسن» صفة لمحذوف تقديره: في تقويمٍ أحسنِ تقويم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ﴾ أي: بالهرم وذهول العقل وتغلّب الكِبَرِ(٢) حتى يصير لا يعلم شيئا. أما المؤمن فمرفوع عنه القلم، والاستثناء على هذا منقطع. وليس المعنى أن كل إنسان يعتريه هذا، بل في الجنس من يعتريه ذلك ومن لا يعتريه. وفي الحديث(٣) «إذا بلغ الرجل مئة ولم يعمل شيئاً كُتب له مثلُ ما كان يعمل في صحته ولم يُكتب عليه سيئة». وفيه أيضاً(٤) «إن المؤمن إذا رُدَّ إلى أرذل العمر كُتب له خير ما كان يعمل في قوّته» وذلك أجر غير ممنون، أي: غير ممنوع ولا مقطوع أي: محسوب(٥) يمنّ به عليهم.

والخطاب في ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ للإنسان الكافر، أي: ما الذي يجعلك مكذّباً

(١) ق: أحسن. وفوق «صورته»: كذا.
(٢) ق: وتقلب الكثرة. وفوقها: كذا.
(٣) روى ابن جرير ٣٠: ١٥٦ عن ابن عباس حديثاً بمعناه.
(٤) رواه ابن جرير ٣٠: ١٥٨ عن حماد عن إبراهيم بألفاظ مقاربة.
(٥) ق: غير ممنون وممنوع مقطوع أو محسوب. وفوقها: كذا.

بالدين تجعل لله أنداداً وتزعم أنْ لا بعث بعد هذه الدلائل.

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ وعيد للكفار وإخبار بعدله تعالى.

سورة العلق[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ .

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وصدرها أول ما نزل من القرآن وذلك في غار حراء على [ما] ثبت في صحيح البخاري[2] وغيره. ولما ذكر تعالى فيما قبلها خَلْق الإنسان في أحسن تقويم، ثم ذكر ما عرض له بعد ذلك، ذكره هنا منبّهاً على شيء من اطواره وذكر نعمته عليه، ثم ذكر طغيانه بعد ذلك، وما يؤول إليه حاله في الآخرة. والظاهر تعلّق الباء بـ«اقرأ» وتكون للاستعانة. ومفعول «اقرأ» محذوف تقديره: اقرأ ما يوحى إليك.

و﴿ الْإِنسَانَ ﴾ هنا اسم جنس. والعلق: جمع علقة، فلذلك جاء ﴿ مِنْ عَلَقٍ ﴾. وإنما ذَكَر من خلق من علق لأنهم مقرّون به[3].

ثم جاء الأمر ثانياً تأنيساً له كأنه قيل: امض لما أُمرت به، وربك ليس كهذه الأرباب، بل هو الأكرم الذي لا يلحقه نقص. و﴿ الْأَكْرَمُ ﴾ صفة تدل

---

(١) مكية وآياتها تسع عشرة.

(٢) انظر صحيح البخاري ٤ : ١٨٩٤، وانظر مثلاً صحيح مسلم ١ : ١٣٩.

(٣) ق: بهم.

على المبالغة في الكرم.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ دليل على كمال كرمه بأنه علّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم. ونبّه على فضل[1] علم الكتابة لما فيه من المنافع [٥٨٣/أ] العظيمة التي لا يحيط بها إلاّ هو. ولا دُوّنت العلوم ولا قُيّدت الحِكَم إلا بالكتابة، ولولا هي لما استقامت أمور الدنيا والدين.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ نزلت[2] بعد مدة في أبي جهل، ناصب رسول الله ﷺ العداوة، ونهاه عن الصلاة في المسجد. فروي[3] أنه قال: لئن رأيت محمداً يسجد عند الكعبة، لأطأنّ عنقه. فروي أن رسول الله ﷺ ردّ عليه وانتهره وتوعّده. فقال أبو جهل: أيتوعّدني محمد؟ والله ما بالوادي أعظم ندياً منّي، أي: مجلساً. وقيل إنهّ همّ أن يمنعه من الصلاة فكُسِع[4] عنه.

﴿كَلَّآ﴾ ردعٌ لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه، وإن لم يتقدم ذكره لدلالة الكلام عليه. ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ أي: يجاوز الحدّ.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ الفاعل ضمير «الإنسان»، وضمير المفعول عائد عليه

---

(١) ق: أفضل.

(٢) انظر اللباب ص٢٣٢، والقرطبي ٢٠: ١٢٢.

(٣) انظر ما رواه الترمذي ٩: ٧٨ من حديث ابن عباس.

(٤) الكسع: أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك.

أيضاً. ورأى هنا من رؤية القلب، ويجوز أن يتَّحد[١] فيها الضميران متّصلين فتقول: رأيتني صديقك، وكذلك فقد وعدم بخلاف غيرها، فلا يجوز: زيد ضَرَبَه، وهما ضميرا زيد.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ أي: الرجوع، مصدر على وزن فُعلى، الألف فيه للتأنيث. وفيه وعيد للطاغي المستغني وتحقير لما هو فيه حيث مآله إلى البعث والحساب[٢] والجزاء على طغيانه.

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ تقدّم [أنه] أبو جهل. والخطاب في «أرأيت» الظاهر أنه للرسول عليه السلام، وكذا «أرأيت» الثاني والثالث. والتناسق في الضمائر هو الذي يقتضيه النظم. وقيل: «أرأيت» الثاني خطاب للكافر، التفت إلى الكافر فقال: أرأيت يا كافر إن كانت صلاته هدى ودعاءً إلى الله وأمراً[٣] بالتقوى، أتنهاه مع ذلك؟. والضمير في «إن كان» وفي «إن كذّب» عائد على النّاهي.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ ويطّلع على أحواله من هداه وضلاله، فيجازيه على حسب ذلك؟ وهذا وعيد.

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لأبي جهل ومن في طبقته عن نهي عباد الله عن عبادة الله. ﴿لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾ أي: عمّا هو فيه، وعيد شديد. ﴿لَنَسۡفَعَۢا﴾ أي: لنأخذن بالناصية. وعبّر بها عن جميع الشخص، أي: سحباً إلى النار، كقوله ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ۝٤١﴾ [الرحمن]. واكتفى بتعريف العهد عن الإضافة إذ عُلم أنها

---

(١) ق: يتخذ.

(٢) ق: ويحاسب.

(٣) ق: وأمر.

ناصية الناهي.

﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ﴾ إشارة إلى قول أبي جهل: وما بالوادي أكثر نادياً مني. والمراد أهل النادي. وقرىء: سيُدعى، مبنيّاً للمفعول. الزّبانيةُ، رفع.

﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل وردّ عليه. ﴿لَا تُطِعۡهُ﴾ أي: لا تلتفت إلى نهيه وكلامه. ﴿وَٱسۡجُدۡ﴾ أمرٌ له بالسجود، والمعنى: دُمْ على صلاتك. وعبّر عن الصلاة بأفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها [أقرب] إلى الله تعالى ﴿وَٱقۡتَرِب ۩﴾ وتقرّب إلى ربك.

وثبت في الصحيحين[1] سجود رسول الله ﷺ في ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ[٥٨٣/ب] ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾[2] [الانشقاق] وفي هذه السورة. وهي من العزائم عند علي بن أبي طالب. وكان مالك يسجد فيها في خاصة نفسه.

(١) انظر البخاري ١: ٣٦٥، ٣٦٦، ومسلم ١: ٤٠٧، وسنن أبي داود ٢: ٥٩.
(٢) آية السجود هي الآية ٢١.

سورة القدر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥ ﴾.

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ الآية، هذه السورة مدنية في قول الأكثر. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة: لمّا قال ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ۝١ ﴾ [العلق] فكأنه قال: اقرأ ما أنزلناه عليك من كلامنا: إنا أنزلناه في ليلة القدر. والضمير عائد على ما دلّ عليه المعنى وهو ضمير القرآن. قال ابن عباس: أنزله الله تعالى ليلة القدر إلى سماء الدنيا جملة، ثم نجّمه على محمد ﷺ في عشرين سنة.

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ تفخيم لشأنها، أي: لم تبلغ درايتك غاية فضلها، ثم بيّن له ذلك. قيل: ما كان في القرآن «وما أدراك»، فقد أُعْلِمَهُ، وما كان[2] «وما يدريك» فإنه لم يُعْلَمْهُ.

والظاهر أن ﴿ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ يراد به حقيقة العدد وهي ثمانون سنة وثلاثة أعوام وثلث عام. والعمل في ليلة القدر أفضل من العمل في هذه الشهور.

---

(١) مكية وهي خمس آيات.

(٢) ق: قال.

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ تقدّم الكلام عليه[١]. ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ متعلّق بـ«تنزّل». ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ متعلق بـ«تنزّل». و«مِن» للسبب أي: تنزّل من [أجل] كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل.

﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ أي: هي سلام، جعلها سلاماً لكثرة السلام فيها. قيل: لا يلقون مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلّموا عليه في تلك الليلة. وقرىء: مطلع، بفتح اللام وكسرها.

(١) انظر شرح الآية ٢ من النّحل.

سورة البيّنة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ
عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما ذكر إنزال القرآن في ليلة القدر وفي السورة التي قبلها ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴿١﴾﴾ [العلق]، ذكر هنا أن الكفار لم يكونوا منفكّين عمّا هم عليه حتى جاءهم الرسول عليه السلام يتلو عليهم ما أُنزل عليه من الصحف المطهرة التي أُمر بقراءتها. وقسم الكافرين هنا إلى أهل كتاب وأهل إشراك. وأهل الكتاب اليهود والنصارى، والمشركون عبدة الأوثان من العرب.

﴿مُنفَكِّينَ﴾ اسم فاعل من انفكّ وهي التامة، وليست الداخلة، على المبتدأ

---

(١) مدنية وهي ثماني آيات.

والخبر.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: من المشركين وانفصل بعضهم من بعض فقال كلٌّ ما يدلّ عنده على صحة [٥٨٤/ أ] قوله.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ وكان يقتضي مجيء البيّنة أن يُجمعوا على اتّباعها.

﴿حُنَفَآءَ﴾ أي: مستقيمي الطريقة مائلين عن طرق الضلال إلى طريق الهداية.

﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ أي: الأمة المستقيمة.

وذكر تعالى مقر الأشقياء وجزاء السعداء. و﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ جميع الخلق. وحكم على الكفار من الفريقين بأمرين: بالخلود في النار وبكونهم شر البرية، وبدأ بأهل الكتاب، لأنهم كانوا يطعنون في نبوّته، وجنايتهم أعظم لأنهم أنكروه مع العلم به.

و﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ ظاهره العموم.

سورة الزلزلة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ الآية هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها كون الكفار يكونون في النار، وجزاء المؤمنين، فكأن قائلاً قال: متى ذلك؟ فقال ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴾. قيل: والعامل فيها مضمر تدلّ عليه الجمل الآتية، تقديره: تحشرون. وأضيف الزلزال إلى الأرض؛ إذ المعنى: زلزالها الذي يستحقه ويقتضيه جِرْمها وعظمها.

﴿ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ جعل ما في بطنها أثقالاً.

﴿ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴾ على معنى التعجّب لما يرى من الهول. والظاهر عموم «الإنسان».

﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي: يوم إذ زلزلت وأخرجَتْ تُحدّث. والظاهر أنه حديث حقيقة، وقيل، مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال ما يقوم مقام

---

(١) مدنية وهي ثماني آيات.

التحديث باللسان. وفي سنن ابن ماجة[١] حديث في آخره «تقول الأرض يوم القيامة: ياربّ هذا ما استودعتَني». وعن ابن مسعود: تحدّث بقيام الساعة إذا قال الإنسان: مالها، فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأمر الآخرة قد أتى، فيكون ذلك جواباً لهم عن[٢] سؤالهم.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: بسبب إيحاء الله تعالى لها. فالباء متعلقة بـ «تحدّث».

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ انتصب «يومئذ» بـ«يصدر»، والصَّدَر يكون عن وِرْد، فقال الجمهور: هو كونهم في الأرض مدفونين، والصدر قيامهم للبعث. و﴿أَشْتَاتًا﴾ جمع شتّ، أي: فِرَقاً مؤمن وكافر ومؤمن عاصٍ سائرون إلى العرض ليُروا أعمالهم.

والظاهر تخصيص العامل، أي: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من السعداء، لأن الكافر لا يرى خيراً في الآخرة - وتعميم «[من يعمل] مثقال ذرة شراً» من الفريقين، لأنه تقسيم جاء بعد قوله «يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم». وقرىء: ليروا، بضم الياء وفتحها. ونبّه بقوله «مثقال ذرة» على أن ما فوق الذرة يراه، قليلاً كان أو كثيراً. وهذا يسمّى مفهوم الخطاب؛ وهو أن يكون المذكور والمسكوت عنه في حكم [٥٨٤/ب] واحد، بل يكون المسكوت عنه بالأولى في ذلك الحكم.

والظاهر انتصاب «خيراً» و«شراً» على التمييز لأن «مثقال ذرة» مقدار. وقيل: بدل من «مثقال». وقرىء: يره، بالفتح في الياء فيهما أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب.

---

(١) انظر ٢: ٤٢٠ (ط الألباني).

(٢) ق: عند.

سورة العاديات[(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤
فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ
لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى
ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. لمّا ذكر فيما قبلها ما يقتضي تهديداً ووعيداً بيوم القيامة، أتبع ذلك بتعنيف لمن لا يستعدّ لذلك اليوم ومن آثر أمر دنياه على أمر آخرته. و«العاديات» الجاريات بسرعة. والضَّبح: تصويت جهير عند العَدْو الشديد، ليس بصهيل ولا رُغاء.

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ الإيراء: إخراج النار، أي: تقدح بحوافرها الحجارة، فيتطاير منها النار لصكّ بعض الحجارة ببعض.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ أي: تغير على العدوّ في الصبح. وفي هذا دليل على أن هذه الأوصاف لذاتٍ واحدة، لعطفها بالفاء التي تقتضي التعقيب.

والضمير في «به» عائد في الأول على الصبح، أي: هيجن في ذلك الوقت غباراً. وفي «به» الثاني على الضَّبْحِ. قيل: أو النقع، أي: وسطن

---

(١) مكية وهي إحدى عشرة آية.

النقع الجمع، فتكون الباء للتعدية. وقيل الضمير في «به»[١] يعود على المكان الذي يقتضيه المعنى، وإن لم يَجْرِ له ذكر، لدلالة «والعاديات» وما بعدها عليه.

والظاهر أن المقسم به هو جنس العاديات وليست أل فيه للعهد، والمقسم عليه ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾. وفي الحديث[٢] «الكنود الذي يأكل وحده ويمنع رِفْدَه ويضرب عبده».

والظاهر عود الضمير في ﴿ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ أي: لشهيد على كنوده ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره.

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ أي: وإن الإنسان. ﴿ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ ﴾ أي: المال. ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ أي: قوي في حبّه، وقيل: لبخيل بالمال ضابط [له].

﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴾ توقيف على ما يؤول إليه الإنسان. ومفعول لـ «يعلم» محذوف وهو العامل في الظرف أي: فلا يعلم مآله إذا بُعثر. ويجوز أن يكون «يعلم» معلّقة، والجملة المعلّقة قوله «إن ربهم»، كما تقول: علمت أنّ زيداً لقائم. فالجملة في موضع نصب ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ أي: جُمع.

(١) ق: به معاً. وفوقها: كذا.

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي أُمامة، انظر ضعيف الجامع الصغير ٤ : ١٦٧.

سورة القارعة(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾.

﴿ٱلۡقَارِعَةُ مَا ٱلۡقَارِعَةُ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها [٥٨٥/أ] لما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر وقت بعثرة القبور، وذلك هو وقت الساعة. وقال الجمهور: «القارعة» القيامة نفسها لأنها تقرع القلوب بهولها. «ما» استفهام فيه معنى الاستعظام والتعجّب، وهو مبتدأ. و«القارعة» [خبره.] وتقدّم تقرير ذلك في الحاقة(2).

﴿يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ﴾ هو الطير الذي يتساقط في النار.

والعهن: الصوف. وقرن بين الناس والجبال تنبيهاً على تأثير تلك القارعة في الجبال حتى صارت كالعهن المنفوش، فكيف يكون حال الإنسان عند سماعها؟.

---

(1) مكية وهي إحدى عشرة آية.

(2) انظر تفسير الآيتين الأوليين من الحاقة.

وتقدم الكلام في الموازين وثقلها في الأعراف[1]، و﴿عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [في الحاقّة[2]].

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ قيل: دركة من دركات النار. و«أمّه» معناه مأواه، كما قيل للأرض أم الناس لأنها تؤويهم.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ «هي» ضمير يعود على «هاوية». والهاء في «ماهيه» هاء السكّت، وحذفت في الوصل.

﴿نَارٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي نار.

---

(١) انظر تفسير الآية ٨ من الأعراف.

(٢) انظر تفسير الآية ٢١ من الحاقة.

سورة التكاثر(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾.

﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ الآية. هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. وسبب نزولها(2) فيما روي أنه كان بين بني سهم وبني عبد مناف لِحاء(3)، فتعادّوا الأشراف الأحياء أيّهم أكثر، فكثرهم بنو عبد مناف. ثم تعادّوا بالأموات فكثرهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية و«ألهاكم» شغلكم. المعنى أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى استوعبتم عددهم.

وسمع بعض الأعراب ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ فقال بُعث القوم للقيامة ورب الكعبة، فإن الزائر منصرف لا مقيم.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في القبور، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ في البعث. غاير بينهما بحسب التعلّق. وتبقى «ثم» على بابها من المهلة في الزمان.

---

(1) مكية وهي ثماني آيات.

(2) انظر أسباب النزول ص٣٠٥.

(3) لاحاه لِحاءً: نازعه.

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي: ما بين أيديكم مما تُقْدمون عليه. وجواب «لو» محذوف تقديره: ما ألهاكم التكاثر.

واللام في ﴿ لَتَرَوُنَّ ﴾ جواب قسم محذوف، والجملة بعدها تأكيد لها. ونصّ على قوله ﴿ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾ دفعاً للمجاز الذي قبله.

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ الظاهر العموم في «النعيم» وهو كل ما يُتلذّذ به من مطعم ومشرب ومفرش ومركب. فالمؤمن يُسأل سؤال إكرام وتشريف، والكافر يُسأل سؤال توبيخ وتقريع.

سورة العصر(١)

[٥٨٥/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ الآية، هذه السورة مكية. لمّا قال فيما قبلها ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١﴾ ووقع التهديد بتكرار ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [التكاثر] بيّن حال المؤمن والكافر. ﴿وَالْعَصْرِ﴾ قال ابن عباس: هو الدهر، يقال فيه عَصْر وعُصْر وعُصُر. أقسم به تعالى لما في مروره من أصناف العجائب.

و«الإنسان» اسم جنس والظاهر العموم، ولذلك صحّ الاستثناء منه. والخُسْر: الخسران، كالكفر والكفران. وأي: خسران أعظم ممّن خسر الدنيا والآخرة.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أي: بالأمر الثابت من الذين عملوا به وتواصوا به. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله تعالى، وعن المعاصي.

---

(١) مكية وآياتها ثلاث.

سورة الهمزة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾﴾.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا قال فيما قبلها ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر] بيّن حال الخاسر فقال «ويل لكل». ونزلت(٢) في الأخنس بن شريق أو العاصي بن وائل أو جميل بن معمر، ويمكن(٣) أن [تكون] نزلت في الجميع. وهي مع ذلك عامة فيمن اتّصف بهذه الأوصاف. وتقدّم الكلام في الهَمْز في ﴿نٓ وَالْقَلَمِ ﴿١﴾﴾(٤)، وفي اللَّمْز في براءة(٥). وفُعَلَةٌ من أبنية المبالغه كنُوَمة وعُيَبَة وسُخرة وضُحَكة.

﴿الَّذِي﴾ بدل معرفة من نكرة. ﴿جَمَعَ﴾ المال وضبط عدده.

---

(١) مكية وهي تسع آيات.

(٢) انظر اللباب ص٢٣٤.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) انظر تفسير الآية ١١ من القلم.

(٥) انظر تفسير الآية ٥٨ من براءة.

﴿أَخْلَدَهُۥ﴾ أي: أبقاه حيّاً. يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن حسبانه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾ أي: ليُرمينّ. ﴿ٱلْحُطَمَةِ﴾ أصله الوصف، من[1] قولهم: رجل حُطَمة أي: أكول. ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ وهي النار التي من شأنها أن تحطم كلّ ما يلقى إليها. ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ أي: هي الحطمة.

﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ ذكرت «الأفئدة» لأنها ألطف ما في البدن وأشدّه تألّماً بأدنى شيء من الأذى. واطّلاع النار عليها هو أنها تعلوها وتشتمل عليها. وهي تعلو الكفار في جميع أبدانهم، لكن نبّه على الأشرف لأنه مقر العقائد.

﴿إِنَّهَا﴾ أي: نار الآخرة، أُوْيِسُوا من الخروج بإطباق الأبواب عليهم وتمدّد العمد، كل ذلك إيذاناً بالخلود إلى غير نهاية.

---

(١) ق: في من.

سورة الفيل(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها عذاب الكفار في الآخرة، أخبر هنا بعذاب ناسٍ منهم [٥٨٦/أ] في الدنيا. والظاهر أن الخطاب للرسول عليه السلام، يذكر نعمته عليه إذ كان صَرْفُ ذلك العدد العظيم عام مولده السعيد عليه السلام، وإرهاصاً بنبوّته إذ مجيء تلك الطيور المنقول، من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدي الأنبياء عليهم السلام. ومعنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، قرّره على وجود علمه بذلك، إذ هو أمر منقول نقل التواتر فكأنه قيل: قد علمتَ فِعْلَ الله ربك بهؤلاء الذين قصدوا حرمه، ضلّل كيدهم،وأهلكهم بأضعف جنوده وهي الطير التي ليست من عادتها أن تقتل.

وقصة الفيل ذكرها أهل التفسير مطولة. وأصحاب الفيل أبرهة بن الصباح الحبشي ومن كان معه من جنوده. والظاهر أنه فيل واحد، وكان العسكر

---

(١) مكية وآياتها خمس.

ستين ألفاً لم يرجع منهم أحد إلا أميرهم في شرذمة قليلة، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا. وكان الفيل يوجّهونه نحو مكة لما كان قريباً منها فيبرك، ويوجّه نحو الشام واليمن فيسرع. و«تَرَ» معلّقة، والجملة التي فيها الاستفهام في موضع نصب بـ«تَرَ». و«كيف» معمولة لـ«فعل».

وفي خطابه تعالى لنبيه ﷺ بقوله ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ تشريف له عليه السلام وإشادة[1] من ذكره، كأنه قال: ربك معبودك هو الذي فعل ذلك لا أصنام قريش أساف ونائلة وغيرهما.

﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ في تضييع وإبطال، يقال: ضلل: كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً. وتضييع كيدهم هو بأن أحرق الله البيت الذي بنوه قاصدين أن يرجع حجّ العرب إليه، وبأن أهلكهم لما قصدوا هدم بيت الله الكعبة، بأن أرسل عليهم طيراً جاءت من جهة البحر ليست نجديّة ولا تهامية ولا حجازية، سوداء وقيل خضراء، على قدر الخطاف.

والطير: اسم جمع يذكر ويؤنث. وقيل: الضمير عائد على «ربك».

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ كان كل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران، كل حجر فوق حبة العدس ودون حبّة الحمّص، مكتوب في كل حجر اسم مرميّه، ينزل على رأسه، ويخرج من دبره. ومرض أبرهة فتقطّع أنملة أنملة، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت أبو يكسوم[2] وزيره، وطائر يتبعه حتى وصل إلى النجاشي، وأخبره بما جرى للقوم. فرماه الطائر بحجر، فمات بين يدي الملك.

(١) ق: وإشارة.

(٢) ق: مكسور. وأبو يكسوم كنية أبرهة، انظر السيرة النبويّة ١: ٦١.

﴿أَبَابِيلَ﴾ أي: جماعات، قال الفرّاء[١]: لا واحد له من لفظه. وذكر الرقاشي أنه سمع في واحده: أبالة. وحكى الفراء[٢]: إبالة بالتخفيف.

﴿سِجِّيلٍ﴾ تقدم شرحه في هود[٣]، والعصف: في الرحمن[٤]. شُبّهوا بالعصف الذي أُكل أي: وقع فيه الأَكال، والتبن الذي أكلته الدواب [٥٨٦/ب] وراثَته.

وقال ابن إسحاق[٥]: لما ردّ الله الحبشة عن مكة، عظّمت العرب قريشاً وقالوا: أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤونة[٦] عدوّهم، فكان ذلك من الله نعمة عليهم. وقيل هو إجابة لدعاء الخليل عليه السلام.

(١) معاني القرآن ٣: ٢٩٢.
(٢) نفسه. وفيه: إبّالة لا ياء فيها.
(٣) انظر شرح الآية ٨٢ من هود.
(٤) انظر تفسير الآية ١٢ من الرحمن.
(٥) انظر السيرة النبوية ١: ٥٩.
(٦) ق: مؤنة.

سورة قريش(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾.

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة ولا سيما إن جعلت اللام(٢) متعلقة بنفس ﴿ فَجَعَلَهُمْ ۝٥ ﴾ [الفيل] أو بإضمار: فعلنا ذلك لإيلاف قريش حتى تطمئن في بلدها، فذكر ذلك للامتنان(٣) عليهم؛ إذ لو سلّط عليهم أصحاب الفيل، لتشتّتوا في الأقاليم، ولم تجتمع لهم كلمة.

وقال الخليل: اللام تتعلق بقوله «فليعبدوا» والمعنى: لِأَنْ فعل الله بقريش هذا ومكّنهم من إلْفِهم هذه النعمة فَلْيَعْبُدوا، أَمَرَهُمْ أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلة. وإيلاف(٤) الرحلة كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف: هاشم، كان يؤلف(٥) ملك الشام، أخذ منه حبلاً(٦) فأمن به في تجارته إلى الشام. وعبد

---

(١) مكية وهي أربع آيات.

(٢) يعني لام «لإيلاف».

(٣) ق: الامتنان.

(٤) الإيلاف والإلاف: مصدر آلفه إياها: جعله يألفها.

(٥) يؤلف: يجير.

(٦) ق: خيلاً. والحبل: العهد والأمان.

شمس [كان] يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس. فكان هؤلاء يسمّون المجيرين، فتختلف تَجْر قريش إلى الأمصار بحبل[١] هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم أحد. ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ هو الكعبة. وتمكّن[٢] هنا هذا اللفظ لتقدّم حمايته في السورة التي قبلها.

و﴿مِّن﴾ هنا للتعليل، أي: لأجل الجوع. كانوا قطّاناً ببلدٍ غير ذي زرع، عرضة للجوع والجدب لولا لطف الله تعالى بهم، وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ۝٥٧﴾ [القصص]. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ فضلهم على العرب بكونهم يأمنون حيثما حلّوا، يقال: هؤلاء قُطّان بيت الله. فلا يتعرض إليهم أحد، وغيرهم خائفون. وقال ابن عباس: «وآمنهم من خوف» معناه: من الجذام. فلا ترى بمكة مجذوماً.

---

(١) ق: بخيل.

(٢) ق: ويمكن.

سورة الماعون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ الآية، هذه السورة مكية في قول الجمهور، مدنية في قول ابن عباس. وقال هبة [الله] الضرير: نزل نصفها بمكة في العاصي، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبيّ المنافق. ولما عدّد تعالى نعمه على قريش وكانوا [٥٨٧/أ] لا يؤمنون بالبعث والجزاء، أتبع امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه.

والظاهر أن ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هي التي بمعنى أخبِرْني، فيتعدى إلى اثنين أحدهما «الذي» والآخر محذوف تقديره: أليس مستحقاً عذاب الله.

﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفعه عن حقه. كان [أبو] سفيان بن حرب ينحر في كل أسبوع جزوراً، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعة بعصا[2].

﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ إشارة إلى أنه هو لا يطعم إذا قدر. وهذا من باب الأولى،

(١) مكية وآياتها سبع.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٦.

لأنه إذا لم يحضّ غيره بخلاً فَلأَنْ يترك هو ذلك فعلاً [أولى]. وفي إضافة «طعام» إلى «المسكين» دليل على أنه مستحقّه.

ولما ذكر أولاً عمود الكفر وهو التكذيب بالدين، ذكر ما يترتب على التكذيب من الإيذاء والمنع من النفع، وذلك مما يتعلق بالمخلوق. ثم ذكر ما يترتب عليه ممّا يتعلّق بالخالق وهو عبادته بالصلاة فقال ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ والظاهر أن المصلّين هم غير المذكور قبلُ وهو داعُ اليتيم غير الحاضّ، وإن كان كلّ من الأوصاف الذميمة ناشئاً عن التكذيب بالدين. فالمصلّون هنا - والله أعلم - هم المنافقون، أثبت لهم الصلاة وهي التي يفعلونها، ثم قال ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ نظراً إلى أنهم لا يوقعونها كما يوقعها المسلم من اعتقاد وجوبها والتقرب بها إلى الله تعالى. وفي الحديث[١] «عن صلاتهم ساهون» يؤخرونها عن وقتها تهاوناً بها. وتقدم الكلام في الرياء في البقرة[٢].

﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ قال ابن عباس وجماعة: ما يتعاطاه الناس بينهم كالفأس والدّلو والآنية والمقصّ. وفي الحديث[٣] «سئل[٤] عليه السلام عن الشيء الذي لا يحلّ منعه، فقال: الماء والملح والنار». وفي بعض الطرق «الإبرة والخميرة».

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٢: ٢١٤ من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) انظر تفسير الآية ٢٦٤ من البقرة.

(٣) أخرجه أحمد ٣: ٤٨١، وأبو داود ٢: ١٢٧ عن امرأة يقال لها بهيسة عن أبيها.

(٤) ق: يسأل.

سورة الكوثر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾. هذه السورة مكية. ولما ذكر فيما قبلها وصف المنافق بالبخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة، قابل في هذه السورة البخل بـ«إنا أعطيناك الكوثر»، والسهو عن الصلاة بقوله «فصل»، والرياء بقوله «لربك»، ومنع الزكاة بقوله «وانحر» أراد به التصدق بلحم الأضاحي. فقابل أربعاً بأربعٍ.

ونزلت[2] في العاصي بن وائل، كان يسمي الرسول عليه السلام بالأبتر، وكان يقول: دعوه إنما هو رجل أبتر لا عَقِب له، لو هلك انقطع ذكره [٥٨٧/ب] واسترحتم منه. وذكر [الفخر][3] في «الكوثر» أقوالاً كثيرة. والصحيح هو ما فسّره به رسول الله ﷺ فقال[4] «هو نهر في الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدّر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من

---

(١) مكية وهي ثلاث آيات.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٦.

(٣) انظر تفسير الرازي ٣٢: ١٢٤.

(٤) أخرجه الترمذي ٩: ٨٤ من حديث عبد الله بن عمر. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٩٠٠.

العسل وأبيض من الثلج». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي صحيح مسلم - واقتطعناه[1] منه - فقال «أتدرون ما الكوثر؟. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: نهر وَعَدَنِيْهِ ربي عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم». قال ذلك عليه السلام عندما نزلت هذه السورة وقرأها.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك. تقدم أنه العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل. قال ابن عباس: لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال: بُتر محمد. فأنزل الله «إن شانئك هو الأبتر».

(١) ق: وأقطعناه، وفوقها: كذا.

سورة الكافرون[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ
أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ
دِينِ ۝٦﴾.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وذكروا من أسباب نزولها[2] أنهم قالوا له عليه السلام: دع ما أنت فيه، ونحن نموّلك ونزوّجك من شئت من كرائمنا ونملّكك علينا. وإن لم تفعل هذا فلتعبد آلهتنا، ونعبد إلهك حتى نشترك فحيث كان الخير نلناه جميعاً. ولما [كان] أكبر[3] شانئيه قريشاً، وطلبوا منه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، أنزل الله تعالى هذه السورة تبرُّؤاً منهم وإخباراً لا شكّ فيه أنّ ذلك لا يكون أبداً. وفي قوله «قل» دليل على أنه مأمور بذلك من عند الله تعالى. وخطابه لهم بـ«يا أيّها الكافرون» في ناديهم ومكان بسطة أيديهم - مع ما في الوصف من الإرذال بهم - دليل على أنه محروس من عند الله تعالى لا يبالي بهم.

(١) مكية وآياتها ست.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٧، واللباب ص٢٣٦.

(٣) ق: أكثر.

و﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ناس مخصوصون وهم الذين قالوا له تلك المقالة: الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأميّة وأبيّ ابنا خلف وأبو جهل وابنا الحجاج ونظراؤهم ممّن لم يسلم، ووافى على الكفر تصديقاً للإخبار في قوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد».

وللمفسرين في هذه الجمل أقوال: أحدها[1] أنها للتوكيد؛ فقوله «ولا أنا عابد ما عبدتم» توكيد لقوله «لا أعبد ما تعبدون». وقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» ثانياً توكيد لقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» أولاً. والتوكيد في لسان العرب كثير جداً. وفائدة هذا التوكيد قطع أطماع الكفار، وتحقيق الإخبار بموافاتهم على الكفر، وأنهم لا يسلمون أبداً. والثاني أنه ليس للتوكيد، واختلفوا [٥٨٨/أ] فقال الأخفش: المعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة[2] ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد. فزال التوكيد إذ قد تقيّدت كلّ جملة بزمان مغاير.

وقال [أبو] مسلم: «ما» في الأولين بمعنى الذي، والمقصود المعبود، و«ما» في الأخريين[3] مصدرية، أي: لا أعبد عبادتكم المبنيّة على الشك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون مثل عبادتي المبنيّة على اليقين.

وقال ابن عطية: لما كان قوله «لا أعبد» محتملاً أن يراد به «الآن» ويبقى المستأنف منتظراً ما يكون فيه، جاء البيان بقوله «ولا أنا عابد ما عبدتم» أي:

---

(١) ق: أحدهما.

(٢) ق: السنة. وفي الهامش: يظهر أن تكون الساعة فتأمل!.

(٣) ق: في الأولين.. وفي الاخرين.

أبداً وما حييت، ثم جاء قوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» الثاني حتماً عليهم أنهم لا يؤمنون به أبداً، كالذي كشف الغيب، فهذا كما قيل لنوح عليه السلام ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ ﴿٣٦﴾﴾ [هود]. إلاّ أن هذا في معيّنين[1]، وقوم نوح عُمّوا بذلك. فهذا معنى الترديد الذي في السورة، وهو بارع الفصاحة وليس بتكرار فقط بل فيه ما ذكرتهُ انتهى.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أي: لكم شِرْككم ولي توحيدي، وهذا غاية في التبرّؤ. ولما كان الأهمّ انتفاؤه عليه السلام من دينهم بدأ بالنفي في الجمل السابقة بالَمنسوب إليه. ولما تحقّق النّفي رجع إلى خطابهم في قوله «لكم دينكم» على سبيل المهادنة، وهي منسوخة بآية السيف[2].

(١) ق: أما أن هذا في معنيين.

(٢) الآية ٥ من التوبة.

سورة النصر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾.

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ الآية، هذه السورة مدنية، نزلت منصرَفَه عليه السلام من غزوة خيبر، وعاش بعد نزولها سنتين. وقيل: نزلت في أيام التشريق بمنى في حجّة الوداع، وعاش بعدها ثمانين[2] يوماً. ولما كان في قوله ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ ۝٦ ﴾ [الكافرون] موادعة، جاء في هذه بما يدلّ على تخويفهم وتهديدهم [وأنه] آن مجيء نصر الله وفتح مكة واضمحلال ملّة الأصنام وإظهار دين الله تعالى.

«والفتح» فتح البلاد.

﴿ أَفْوَاجًا ﴾ أي: جماعات كثيرة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين.

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أي: ملتبساً بحمده على هذه النعم التي خوّلكها من نصرك على الأعداء، وفتحك البلاد، وإسلام الناس. وأي نعمة أعظم من هذه؟ إذ كل حسنة يعملها المسلمون فهي في ميزانه.

---

(١) مدنية وهي ثلاث آيات.

(٢) ق: وثمانين.

وعن عائشة[1] «كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك [٥٨٨/ب] أستغفرك وأتوب إليك».

وقد علم عليه السلام من هذه السورة دنوّ أجله. وحين قرأها عليه السلام استبشر الصحابة وبكى العباس فقال[2]: «وما يبكيك يا عمّ؟ قال: نُعِيَتْ إليك نفسُك[3]. فقال: إنها لَكَما تقول». فعاش بعدها سنتين.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فيه ترجية عظيمة للمستغفرين.

(١) أخرجه البخاري ٤: ١٩٠١ بألفاظ مقاربة.

(٢) انظر قريباً منه في البخاري ٤: ١٩٠١ من حديث ابن عباس.

(٣) فقال وما يبكيك.. إليك نفسك، مكررة في ق.

سورة تَبَّتْ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾.

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولمّا ذكر فيما قبلها دخول الناس في دين الله أتبع بذكر من لم يدخل في الدين وخسر، ولم يدخل فيما دخل فيه أهل مكة من الإيمان. والتّب: الخسران. وأسند الهلاك إلى اليدين لأن العمل أكثر ما يكون بهما، وهو في الحقيقة للنفس.

والظاهر أن «تبت» دعاء، و«وتب» إخبار بحصول ذلك. روي[2] أنه لما نزل ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾ [الشعراء] قال عليه السلام «يا صفية بنت عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنكما[3] من الله شيئاً، سلاني من مالي ما شئتما». ثم صعد الصّفا فنادى بطون قريش: يا بني فلان يا بني فلان. وروي أنه صاح بأعلى صوته: يا صباحاه. فاجتمعوا إليه من

---

(١) مكية وآياتها خمس. وهي في القرآن الكريم باسم «المسد».

(٢) انظر البخاري ٤: ١٩٠٢.

(٣) ق: لكما. وفوقها: كذا.

كل وجه فقال لهم: أرأيتم لو قلت لكم إني أنذركم خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدّقيّ؟. قالوا نعم. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟. فافترقوا عنه ونزلت هذه السورة. وأبو لهب اسمه عبد العزّى بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ.

والظاهر أن «ما» في ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ﴾ نفي، أي: لم يغن عنه ماله الموروث عن آبائه وما كسب هو بنفسه أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها. ويجوز أن تكون «ما» استفهاماً في موضع نصب، أي: أيَّ شيء يغني عنه ماله، على وجه التقرير والإنكار. والمعنى: أين [الغنى] الذي لماله ولكَسبه.

والظاهر أن «ما» في قوله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ موصولة، وأجيز أن تكون مصدرية. وإذا كانت «ما» في «ما أغنى» استفهاماً فيجوز أن يكون «ما» في قوله «وما كسب» استفهاماً أيضاً.

﴿سَيَصۡلَىٰ﴾ وعدٌ له بأنه يصلى النار في الآخرة.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾ يجوز أن تكون مبتدأ، و﴿حَمَّالَةَ﴾ خبره.

ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير المستكنّ في «سيصلى» وحسّن ذلك الفصل بينهما. وعلى هذا التأويل تكون «حمّالة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: هي حمّالة. وقرأ عاصم: حمالةَ، نصباً على [٥٨٩/أ] الذّم، فيتعيّن أن يكون «وامرأته» [عطفاً على الضمير المستكنّ في «سيصلى». وامرأته] اسمها أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان، وكانت عوراء.

والظاهر أنها كانت تحمل الحطب الذي فيه شوك لتؤذي بإلقائه في

طريق[١] رسول الله ﷺ وأصحابه لتعقرهم[٢]، فذُمّت بذلك وسميت حمّالة الحطب. وقيل: «حمّالة الحطب» [كناية عن] المشي بالنميمة.

الجيد: العنق. والظاهر أن الحبل من مسد. والمسد: الليف. ولمّا سمعت أم جميل هذه السورة أتت أبا بكر وهو مع رسول الله ﷺ في المسجد وبيدها فِهْر[٣] فقالت: بلغني أن صاحبك هجاني ولأفعلنّ وأفعلنّ. وأعمى الله بصرها عن رسول الله ﷺ، فروي أن أبا بكر قال لها: هل ترين معي أحداً؟. فقالت: أتهزأ بي؟ لا أرى غيرك. وإن كان شاعراً فأنا مثله أقول:

مُـذَمَّـماً أَبَيْنـا ودِيْنَـهُ قَلَيْنـا
وأمْرَه عصَيْنا [من م. الرجز]

فسكت أبو بكر ومضت هي. فقال رسول الله ﷺ: «لقد حجبني عنها ملائكة فما رأتني وكفى الله شرَّها»[٤]. وذُكر أنها ماتت مخنوقة بحبلها، وأبو لهب رماه الله بالعدسة[٥] بعد وقعة بدر بسبع ليال.

---

(١) بإلقائه إلى رسول.

(٢) أي: تجرحهم.

(٣) الفهر: الحجر ملء الكفّ.

(٤) رواه ابن كثير ٧: ٤٠٢ بألفاظ أخر، وانظر ذلك كله فيه ٧: ٤٠١، وفي دلائل الأصفهاني ١: ١٩٣.

(٥) العدسة: بثرة تخرج بالبدن فتقتل.

سورة الصّمد[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ الآية، هذه السورة مكية. ولما تقدّم فيما قبلها عداوة أقرب الناس إليه وهو عمّه أبو لهب، وما كان يقاسي من عُبّاد الأصنام الذين اتّخذوا مع الله آلهةً، جاءت هذه السورة مصرّحة بالتوحيد، رادّةً على عبّاد الأوثان والقائلين بالثّنوية والتثليث وبغير ذلك من المذاهب المخالفة للتوحيد. وعن ابن عباس أن اليهود قالوا: يا محمد، صف لنا ربّك وانسبه، فنزلت[2] «قل هو الله أحد».

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر. و«الصمد» فَعَل بمعنى مفعول، كالقَنَص بمعنى المقنوص، مِن: صَمَد إليه، إذا قصده، وهو السيد المصمود إليه في الحوائج، [قال الشاعر][3]:

ألا خَبَّر الناعي بِخَيْرَيْ بني[4] أَسَدْ   بِعَمْرِو بنِ مسعودٍ وبالسيّدِ الصَّمَدْ

---

(١) مكية وهي أربع آيات. وهي في القرآن الكريم باسم «الإخلاص».

(٢) انظر أسباب النزول ص٣٠٩.

(٣) البيت في الطبري ٣٠: ٢٢٤ غير منسوب.

(٤) ق: بخير.

قال الزمخشري[١]: «لم يلد» لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا[٢]. وقد دلّ على هذا [المعنى] بقوله ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام]. «ولم يولد» لأن كل مولود[٣] مُحْدَث وجسم، [والله تعالى] قديم[٤] لا أول لوجوده وليس بجسم. ولم يكافئه أحد أي: لم يماثله ولم يشاكله. ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح، نفياً للصاحبة[٥] انتهى.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ يقال: كفو، بضم الكاف وفتحها وكسرها مع سكون الفاء.

وقال [٥٨٩/ب] الزمخشري[٦]: فإن قلت: الكلام العربي الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدّم، وقد نصّ سيبويه على ذلك في كتابه[٧]، فما باله مقدّماً في أفصح الكلام وأعربه؟. قلت: هذا الكلام إنما سيق لنفي المكافأة عن ذات الباري سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مصبّه ومركزه هو هذا الظرف، فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه انتهى.

وهذه الجملة ليست من هذا الباب وذلك أن قوله «ولم يكن له كفوا أحد» ليس الجار والمجرور فيه تامّاً إنما هو ناقص، لا يصلح أن يكون

(١) الكشاف ٤: ٢٩٨.
(٢) ق: فيتوالد.
(٣) ق: مولد.
(٤) ق: وقديم.
(٥) ق: نعتاً للمصاحبة.
(٦) الكشاف ٤: ٢٩٩.
(٧) انظر الكتاب ٢: ٥٢.

خبراً لكان، بل هو متعلق بـ«كفواً» وقُدّم عليه، فالتقدير: ولم يكن أحد كفواً له، أي: مكافئه فهو في معنى المفعول متعلق بـ«كفواً». وتقدم على «كفواً» للاهتمام به إذ فيه ضمير الباري تعالى. وتوسّط الخبر وإن كان الأصل التأخير؛ لأن تأخير الاسم هو فاصلة فحَسُن ذلك. وعلى هذا الذي قررناه يبطل إعراب مكّي[١] وغيره أن «له» الخبر، و«كفواً» حال من «أحد» لأنه ظرف ناقص لا يصلح أن يكون خبراً. وبذلك يبطل سؤال الزمخشري وجوابه.

وسيبويه إنما تكلّم في الظرف الذي يصلح أن يكون خبراً، ويصلح أن يكون غير خبر. قال سيبويه[٢]: «[وتقول]: ما كان فيها أحد خير منك، وما كان أحدٌ مثلُك فيها، وليس أحد فيها خيرٌ منك، إذا جعلت «فيها» مستقَرّاً ولم تجعله على قولك: فيها زيد قائم، أجريتَ الصفة على الاسم فإن جعلتَه على: فيها زيد قائم، نصبتَ فتقول: ما كان فيها أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ خيراً منك فيها. إلا أنك إذا أردت الإلغاء فكلما أخّرت الملغى[٣] كان أحسن، وإذا أردت أن يكون مستقراً فكلما قدّمته كان أحسن. والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار[٤] عربي جيد كثير، قال تعالى «ولم يكن له كفوا أحد».

---

(١) انظر الإملاء ٢: ٢٩٧.

(٢) الكتاب ١: ٥٥.

(٣) ق: المعنى.

(٤) ق: والاستقرا، وفوقها: كذا.

سورة الفلق(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ الآية، هذه السورة مكية. وسبب نزول(2) المعوّذتين قصّة لبيد وما حُكي عنه. ولما شرح أمر الإلهيّة(3) في السورة قبلها، شرح ما يستعاذ منه بالله من الشر الذي في العالم، ومراتب مخلوقاته. و﴿ٱلْفَلَقِ﴾ الصبح، قاله ابن عباس.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ عام يدخل فيه جميع من يوجد منه الشّر من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد، كالإحراق بالنار والإغراق بالبحر والقتل بالسم.

[٥٩٠/أ] والغاسق: الليل. و﴿وَقَبَ﴾ أظلم ودخل على الناس، قاله ابن عباس.

و﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾ النساء السواحر يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها، ويرقين عليها. والاستعاذة من شرّهن هو ما يصيب الله به من الشر

---

(١) مدنية وهي خمس آيات.

(٢) انظر أسباب النزول ص٣١٠، واللباب ص٢٣٨.

(٣) ق: إلاهية.

عند[1] فعلهنّ ذلك. وقيّد الغاسق والحاسد بالظرف، لأنه إذا لم يدخل الليل لا يكون شرّ منسوب إليه، والحاسد لا يؤثّر حسده إلا إذا أظهره بأن يحتال للمحسود فيما يؤذيه. أما إذا لم يُظهر الحسد فما يتأذّى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره.

---

(١) ق: عن.

سورة الناس[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ الآية، تقدم أنها نزلت مع ما قبلها[2]. وأضيف الربّ إلى «الناس» لأن الاستعاذة من شرّ الموسوِس في صدورهم، فهم استعاذوا[3] بربّهم مالكهم وإلههم، كما يستعيذ العبد بمولاه إذا دهمه أمر.

والظاهر أن ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ صفتان.

و﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الراجع على عقبه المستتر أحياناً، وذلك في الشيطان متمكن: إذا ذكر العبدُ اللهَ تأخّر.

و«مِن» في ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ للتبعيض، أي: كائناً من الجنة والناس، فهو في موضع الحال، أي: ذلك الموسوس هو بعض الجنّة وبعض الناس. «وكان عليه السلام إذا أوى إلى فراشه جمع كفّيه ونفث فيهما وقرأ

---

(١) مدنية وهي ستّ آيات.

(٢) انظر شرح الآية الأولى من الفلق.

(٣) ق: استعانوا.

«قل هو الله أحد» والمعوذتين، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ برأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاثاً»[١]. تمت[٢].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ناشَدْتُكَ اللهَ إنْ عايَنْتَ لي خطأً ... فَاَسْتُرْ فإنَّ خيارَ الناسِ مَن سَتَرا

[من البسيط]

(١) أخرجه أبو داود ٤ : ٣١٣ من حديث عائشة.

(٢) ما بعده يبدو أنه من إضافة الناسخ.

فهرس المجلد الخامس

اسم السورة	الرقم